الفتى الطائش

تأليف

نَتْصُميه صُوسِكِ

ترجمة

ماهر أحمد محمد الشربيني

سنابل للكتاب
٥ شارع صبرى أبو علم
باب اللوق - القاهرة
الإدارة :
(+202) 23 92 65 93
(+202) 01001094302
المكتبة :
(+202) 23 93 56 56
e-mail
sanabooks@maktoob.com
web:www.sanabil.net
المدير العام:
أحمد مرجان

الفتى الطائش
تأليف:
نتصَميه صوسبكِ
ترجمة:
د. ماهر أحمد محمد الشربينى

تصميم الغلاف:
محمد سيد حسن

رقم الإيداع: 2012/21351
الترقيم الدولى: 978-977-5255-07-5
الطبعة الأولى :2012

حقوق الطبع محفوظة للناشر

بالتعاون مع
مؤسسة اليابان الثقافية

JAPANFOUNDATION 国際交流基金

مقدمة المترجم

هذه ترجمة لرواية يابانية رائعة، تُعتبر من أروع الأعمال الأدبية اليابانية، ولقد قرأتها أول مرة فى عام ١٩٨٣ م عندما كنت فى اليابان بهدف الدراسة من أجل الحصول على درجة الماجستير والدكتوراة، وسألت أصدقائى اليابانيين أن يرشحوا لى رواية أقرأها من أجل زيادة حصيلتى اللغوية اليابانية ولمزيد من معرفة الأدب اليابانى، فرشحوها لى، فبدأت قرائتها ولكنى لم أفهم مضمونها جيدًا، لكونها مكتوبة بلغة يابانية قديمة، إلا أنها جذبتنى بشدة فظللت أقرأها رغم عدم فهمى الجيد للتفاصل إلى أن انتهيت من قراءتها، ثم بعد ذلك بعدة سنوات سافرت من المكان الذى كنت فيه إلى موقع أحداث الرواية رغم أن المسافة عدة مئات من الكيلومترات، وسرت فى موقع الأحداث ودخلت

العين الساخنة التى تحدث عنها البطل، فعشت الأحداث وكأنها أمامى وليست رواية مكتوبة، ثم رجعت إلى مصر بعد حصولى على درجة الدكتوراه عام ١٩٩٢م، وكنت أفكر فى ترجمتها إلى اللغة العربية، ولذلك احتفظت بالرواية منذ أن اشتريتها عام ١٩٨٣م وظللت محتفظًا بها إلى الآن، رغم أننى أمضيت سبع سنوات فى اليابان وانتقلت من مسكن إلى آخر عدة مرات وكذلك عندما عدت إلى مصر أحضرتها معى وانتقلت فى مصر أيضًا من مسكن إلى آخر، ولكن كان هناك شىء ما فى قلبى يجعلنى احتفظ بها، وأخيرًا جاء الوقت الذى أترجمها من اللغة اليابانية إلى اللغة العربية بعد مرور نحو ثلاثين عامًا، وشعرت بالسعادة وأنا أقرأها مرة أخرى لكى أترجمها.

وعندما بدأت فى ترجمتها كنت أقرئها وكأننى أقرأها لأول مرة، فقد مضت حوالى ثلاثين عامًا على قرأتها أول مرة، وفى البداية قرائتها للمرة الثانية من أجل الترجمة، كنت أضحك على بطل الرواية لما يقوم به من أشياء طفولية مضحكة ولكنى رويدًا رويدًا بدأت اشعر أن شخصية البطل ليست موجودة فى اليابان فقط، بل موجودة فى كل مكان، فشخصية الإنسان الساذج الذى يتصرف على طبيعته، لا يضمر الخبث ولا اللؤم، يتصرف بتلقائية وشرف وأمانة وشهامة وكرامة، شخصية موجودة فى كل مكان. فهى موجودة فى مكان عملى، ورويدًا رويدًا بدأت أشعر أن شخصية البطل تتشابه مع شخصيتى وقلت لنفسى ربما انجذابى إلى تلك الرواية أن شخصيتى مثل شخصية البطل

ولكنى لم أكن أدرك ذلك من قبل، أو ربما أننى اندمجت بشدة فى الرواية فتقمصت شخصية البطل دون وعى ورأيت من حولى يتشابهون مع من هم حول البطل، المهم أننى قارنت ما يحدث له من أحداث، وما حوله من شخصيات بما يحدث لى من أحداث ومن هم حولى من شخصيات فوجدت أنها نفس الأحداث ونفس الشخصيات، فالبطل إنسان جاد ملتزم يحترم العمل ويتعامل بشرف وأمانة وادعى أننى هكذا، كما أن البطل أحيانًا يقع فى بعض المطبات ويكمن وراء ذلك أساتذة آخرون يحرضون على ذلك، وأحيانًا يحدث لى ذلك، وأن مستقبل البطل كان دائمًا غير معروف، هل يستمر فى مهنة التدريس أم لا ؟، وكذلك الوضع بالنسبة لى، فإننى الآن وأنا اكتب هذه المقدمة أعانى من بعض المشكلات مع الزملاء ولا اعلم هل سوف أستمر فى عملى هذا أم لا ؟، وفى مكان عمل البطل توجد شخصيات مختلفة، أستاذ مثل "أبو قميص أحمر" الذى يدعى الفضيلة وهو شيطان، يتصنع الحكمة والهدوء ويتحدث بطريقة مؤدبة جدًا ويتعامل بطريقة ناعمة جذابة جدًا، ولكنه فى الواقع خبيث ولئيم وشرير ومؤذٍ، نار مثل لون القميص الذى يرتديه بصفة دائمة، كما يوجد أستاذ مثل "عاصفة الجبل"، صادق وشريف وأمين ولكنه متسرع وأهوج وسريع الغضب ولا يستطيع التغلب على شخص مثل أبو قميص أحمر بالعقل فيرى أن الحل الوحيد هو العنف، كما يوجد شخص مثل " القرع الأزرق "، خانع وخاضع ومؤدب أكثر من اللازم ويحنى رأسه للجميع ويفضل الجميع على نفسه ولا يدافع

عن نفسه، إنسان طاهر ونقىٰ ولكنه ضعيف جدًا ومستسلم جـدًا، ويوجد شخص مثل " صبى العالمة "، منافق إلى أبعـد الحـدود، ينافق رؤساءه ويشاركهم تصرفاتهم حتى إذا كانـت تصـرفات شريرة، ويرتضى لنفسه القيام بدور الخادم، ليس له كرامـة ولا حياء، كل ما يفكر فيه إرضاء رؤسائه الذين هـم بالنسـبة لـه أسياده، كما يوجد شخص مثل المدير، الذى هـو مثـل" الكلـب الراكون "، فدائمًا ينبح بصوت عالى متحدثًا عن المثـل العليـا والمفروض ويبدو عادلاً وقويًا، فهو رئيس يقول كلامًـا مثاليًـا معسولاً ولكنه فى الواقع عكس ما يقول، فهو يتحدث عن مُثُل لا يطبقها، ويُظْهِر العدل ولكنه ليس عادلاً ويُظْهِـر القـوة ولكنـه ضعيف، يخشى أن يتخذ موقف ضد الأقوياء من مرؤسيه، فيقوم بعمل موائمات ويقف مع الأقوى ولكن إذا رأى ميـزان القـوى يتغير فيغير موقفه، فموقفه يتحدد بناءً على الضغط الأكثر عليه، فإذا كان الضغط أكثر عليه من فريق فلان فيقف بجانـب ذلـك الفريق، كالكلب الذى ينبح ولكن عندما تنهـره بقـوة يـنحفض صوته ويذعن لك ويخضع وينسحب، فهو رئيس شرفى، رئـيس ديكور، وليس المحرك الفعلى للأحداث.

وفى البداية وجدت شخصيات مثل هذه موجودة فـى مكـان عملى الذى هو الجامعة، فأنا أستاذ والرواية تتحدث عـن عـالم الأساتذة، نعم بعض زملائى تنطبق عليهم تلك الصفات وإن لـم يكن من المحرج أن أقول أن زميلى فلان هو أبو قميص أحمـر وزميلى علان هو صبى العالمة وزميلى عـلان العلانـى هـو

عاصفة الجبل وزميلى فلان الفلانى هو القرع الأزرق لقلت، ولكن هذا سوف يجعل زملائى يتخذون موقفًا عدائيًا ضدى، ولذلك لن اقول ذلك، علمًا بأن من بين زملائى من هم على مستوى علمى وأخلاقى رفيع المستوى.

ولكنى بعد ذلك سألت نفسى: "هل مثل هذه الشخصيات موجودة فى مكان عملى أنا وليست موجودة فى جامعة أخرى أو فى المدارس؟"، وتوقعت أن تكون الإجابة " نعم توجد "، ثم سألت نفسى " هل توجد مثلك تلك الشخصيات فى أماكن أخرى غير الجامعات والمدارس ؟، شركات أو مؤسسات مثلاً ؟ "، وتوقعت أيضًا أن تكون الإجابة " نعم توجد "، إذًا، هذه الشخصيات التى تقدمها الرواية ليست موجودة فى الرواية فقط، بل موجودة فى الواقع وموجودة فى كل مكان وليس اليابان فقط، إن الرواية تتحدث عن البشر فى كل مكان، عن طبائعهم وبما بداخلهم من شر وخير وصراع بين الشر والخير ومشاعر الحب والكره والتعالى والتواضع والوضوح واللؤم والظاهر والباطن والسخرية والتهكم والطمع والرغبة فى جمع المال والزهد والسذاجة والجدية وما إلى ذلك من مشاعر واحاسيس وطبائع بشرية مختلفة موجودة فى بشر كل زمان ومكان.

إذن، هذه الرواية تخطت حاجز الزمن، فبرغم أنها كتبت عام ١٩٠٦م، أى أكثر من مائة عام لكنها تتحدث عن الطبائع الإنسانية التى لا تتغير بتغير الزمان، ولذلك عندما تقرأها الآن،

تشعر وكأنك تقرأ أحداثًا تحدث الآن، فهى رواية عالمية للبشر عامة فى كل زمان وكل مكان.

فأنت تشعر وأنت تقرأ هذه الرواية أنه ليس هناك فرق بين يابانى وأجنبى، كلنا بشر، ليس بيننا فرق فى المشاعر والاحاسيس والطبائع، أن نقاط الالتقاء بيننا وبين الأجانب كثيرة جدًا، أى عندنا الأساس الذى يجعلنا جميعًا نتقارب ويكون بيننا سلام عالمى، وهذا هو أحد أسباب أنها رائعة من أهم روائع الأدب اليابانى الذى وصل إلى العالمية.

بعض الملاحظات:

- **العنوان الأصلى للروايـــة** (بُتْشَـــنْ / botchan / ؟؟؟؟؟) وهى كلمة تُستخدم فى الأصل للنـــداء علـــى أولاد الآخـــرين بطريقة تدل على الاحترام، ومن الممكن أن نترجمها حرفيًـــا إلى السيد الصغير، ولكنها فى هذه الرواية تشير إلى كثير من المعانى، مثل الدلوع، النـــوس، ســـيدى الصـــغير، العيـــل، الأهطل، المتسرع، الغبى، الساذج، الطائش وذلك يرجع إلـــى الموقف الذى تم استخدامها فيه وبالتالى لـــيس هنـــاك كلمـــة عربية واحدة تدل على كل تلك المعانى، ولذلك اخترت كلمة " الفتى الطائش " كعنوان، ولكنى استخدمت بقية الكلمـــات فـــى الرواية كل حسب الموقف.
- لقد قام بطل الرواية بعمل أسماء شهرة لـــبعض الأشـــخاص وأحيانًا كان يستخدم اسم الشهرة وأحيانًا كان يستخدم الاســـم الحقيقى ولكى لا يحدث ارتباك لدى القارئ أو لكى لا ينســـى الاسم الحقيقى الخاص باسم الشـــهرة فلقـــد وضـــعت الاســـم الحقيقى ثم بعده فى داخل أقواس اسم الشهرة، ولكـــن بصـــفة عامة فإن البطل يستخدم اســـم الشـــهرة كاســـم ســـرى، أى يستخدمه عندما يتحدث إلى نفسه أو إلى السيدة كيو أو صديق مقرب جدًا ولا يستخدم أسماء الشـــهرة للمنـــاداة علـــى ذات الأشخاص أو أمام الغرباء، فمثلاً عندما يتحدث إلى " صـــبى العالمة " لا ينادى عليه " يا صبى العالمة " ولا يقول ذلك عنه أمام المدير.

- **أهم الشخصيات** التى أطلق عليها البطل أسماء شهرة هى الآتى علمًا بأن الاسم الحقيقى على اليمين واسم الشهرة بين أقواس:

المدير (الكلب الراكون)

نُضَ أو يُشكَوَ(صبى العالمة)

كُجَ (القرع الأزرق)

هُطَّ (عاصفة الجبل)

- **أهم شخصيات الرواية هم:**

الفتى الطائش: وهو بطل الرواية مدرس شاب وحديث التخرج.

كيو: الخادمة التى قامت على تربية البطل.

المدير (الكلب الراكون): مدير المدرسة التى يعمل فيها البطل.

أبو قميص أحمر: ناظر المدرسة التى يعمل فيها البطل.

هُطَّ (عاصفة الجبل) مدرس الرياضيات الأول فى المدرسة التى يعمل فيها البطل.

يُشكَوَ أو نُضَ (صبى العالمة) مدرس رسم يعمل فى المدرسة التى يعمل فيها البطل.

كُجَ (القرع الأزرق) مدرس لغة إنجليزية يعمل فى المدرسة التى يعمل فيها البطل.

• **نبذة عن المؤلف:**

اسم الشهرة: نَتْصُميه صُوسِـكِ (NATSUME SOUSEKU) والاسم الحقيقى كِنْنُسْكِيه (KINNOSUKE)، عام المولد: ١٨٦٧، مكان المولد: اليابان (طوكيو)، تخرج عام ١٨٩٢ مـن جامعـة طوكيو الإمبراطورية كلية الآداب قسم الأدب الإنجليـزى، ثـم عمل كمدرس فى مدرسة إعدادية ثم مدرسة ثانوية، ثم سافر فى بعثة دراسية إلى إنجلترا عام ١٩٠٠، ثم كتب بعض الروايـات منها هذه الرواية، ثم عمل فى صحيفة الشـروق وهـى أكبـر صحيفة فى اليابان عام ١٩٠٩، ثم استمر فى كتابة الروايات إلى أن مات عام ١٩١٦ بسبب المرض.

الترجمة من اللغة اليابانية إلى اللغة العربية مـع الاسـتعانة ببعض التراجم إلى اللغة الإنجليزية كمراجع فقط.

• **المصادر**

http://www.aozora.gr.٢٠٠٤

• **المراجع**

SOUSEKI NATSUME BOTCHAN translated by UMEJI SASAKI CHARLES E. Frist edition, ١٩٦٨(Ninth edition) TUTTLE COMPANY Rutland Vermont Tokyo Japan

Natsume souseki BOTCHAN NEWLY TRANSLATED by J.cohn ٢٠٠٥published by kodansha International Ltd Tokyo Japan

NATSUME SOUSEKI BOTCHAN translated by Alan Turney Frist edition, ١٩٧٢(Tenth printing ١٩٨٨) published by kodansha International Ltd Tokyo Japan

الفصل الأول

دائمًا كنت سببًا فى حدوث المشكلات منذ طفولتى، وذلك بسبب التسرع الذى ورثته عن أبى، فعندما كنت فى المدرسة الابتدائية قفزت من الطابق الثانى، فمرضت ولم أستطع الوقوف لمدة تقترب من أسبوع، وربما هناك من يتسائل:

"لماذا ارتكبت تلك الحماقة؟"

فى الواقع ليس هناك سبب مهم لذلك، كل ما فى الأمر أنه عندما كنت أطل برأسى من الطابق الثانى فى المبنى الجديد، إذ بزميل من زملاء الفصل يصيح فى وجهى مداعبًا إياى فيقول بسخرية:

" أنت مغرور، تعتقد أنك شجاع ولكن الحقيقة أنت جبان، والدليل على ذلك أنك لاتستطيع القفز من هنا. "

ففزت. وعدت إلى المنزل محمولاً على ظهر عامل المدرسة، فاندهش أبى بشدة وقال:

"هل هناك عاقل يقفز من الطابق الثانى فيتسبب فى إصابة نفسه "

فرددت عليه:

"المرة القادمة سوف أقفز دون أن أُصيب نفسى"

ومرة أهدانا أحد أقاربنا سكينًا أجنبيًا، فأريته لأصدقائى متفاخرًا بجمال نصله، وذلك بأن وضعته تحت أشعة الشمس ليلمع، فإذا بأحدهم يقول لى

"من ناحية أنه يلمع فهو يلمع، ولكن يبدو أنه لايستطيع القطع".

فقلت له مستنكرًا

"لا يستطيع القطع ؟ أنا واثق أنه يستطيع أن يقطع أى شىء".

فقال:

"إذا كان هذا صحيحًا، فاقطع إصبعك لتبرهن على ذلك".

فقلت له:

"إن طلب قطع إصبع لأمر يسير كما ترى".

ثم غرست نصل السكين فى إبهام يدى اليمنى من أعلى ولكن لحسن حظى أن عظمة إبهامى كانت قوية فلم تُقطع ولكن أثر الجرح الذى سبّبه غرس ذلك السكين، مازال واضحًا على إبهامى حتى يومنا هذا ولن يزول ما حييت.

وإذا سرنا عشرين خطوة فى الحديقة من ناحية الشرق، فتوجد منطقة جنوبها مرتفعة وفى تلك المنطقة المرتفعة، يوجد

حقل به قليل من الخضار، وتوجد فى وسط ذلك الحقل شجرة كستناء، وهذه الشجرة أكثر أهمية من حياتى نفسها. ففى وقت نضوج ثمار الكستناء، كنت أول ما أفعله بعد الاستيقاظ كل يوم، هو الخروج من الباب الخلفى للمنزل، وجمع الثمار الساقطة على الأرض من تلك الشجرة، وأخذها إلى المدرسة حيث أتناولها هناك، وقد كانت الجهة الغربية للحقل تلتصق بحديقة صاحب " مكتب رهن الأشياء " اسمه " يَمَشرُيا " وكان له ابن فى الثالثة أو الرابعة عشرة من العمر اسمه " كَنْطَرُو" وكان جبانًا جدًا، وعلى الرغم من ذلك فقد كان يتسلق السور ويحضر ليسرق ثمار الكستناء، وفى عصر أحد الأيام وقفت خلف الباب حتى لايرانى أحد وفى النهاية استطعت الإمساك به، فهو يكبرنى بعامين، جبان لكنه قوى، وبما أنه لم يجد طريقة للهروب فقد انقض علىّ بكل قوة، دخل برأسه الكبير فى صدرى فدفعنى بقوة، ولكن بينما كان يدفعنى انزلقت رأسه فدخلت فى كم جلبابى، ولذلك لم أستطع استخدام يدى، فإذا حركت يدى، تحركت رأسه التى داخل الكم يمينًا ويسارًا تبعًا لحركة يدى، وفى النهاية قام بعض الجزء العلوى من ذراعى، فشعرت بألم شديد، فدفعته فى اتجاه السور، فالتصق به، ثم وضعت قدمى بين قدميه وطرحته أرضًا، وقد كانت حديقة منزله منخفضة عن حديقتنا بحوالى مترين، مما جعله يسقط على السور المصنوع من الخيزران فيحطمه إلى نصفين، ثم يسقط فى حديقته رأسًا على عقب وصوته يعلو بالأنين، وعندما كان يسقط تشبث بكم جلبابى بقوة، فانقطع كم

الجلباب وتحررت يدى وأصبحت أستطيع الحركة، وفى ذلك المساء ذهبت أمى إلى منزل عائلته لكى تعتذر لهم عما بدر منى تجاه نجلهم، وفى نفس الوقت تسترد كم الجلباب.

وبجانب ذلك قمت بكثير من الأفعال الشقية؛ فمثلاً، اصطحبت ابن النجار واسمه " كَنَقُو " وابن السماك واسمه " كَكُ " وذهبنا إلى حقل جزر السيد " مُصَكُ "فخرّبناه، وقد كان هناك قش مفروش فوق الجزر الذى لم تخرج براعمه بعد، فلعبنا نحن الثلاثة مصارعة يابانية لمدة نصف يوم هناك، ونتيجة ذلك دهسنا جميع الجزر فأفسدناه.

وقمت بردم بئر حقل الأرز التى يملكها السيد " فُرُكَوَ " مما جلب لى المشكلات، فلقد كان السيد " فُرُكَوَ " قد ابتكر فكرة لجلب الماء من باطن الأرض وذلك بأن أخذ عُقْلَة من خيزران طويل وعريض، وغرسها فى داخل الأرض على عمق كبير، فكانت المياه الجوفية تصعد من خلال ذلك الخيزران إلى السطح لتروى شتلات الأرز، ولم أكن أعلم فى ذلك الوقت تفاصيل ابتكاره هذا ولكنى غرست كمية كبيرة من الأحجار وقطع العصيان فى وسط البئر وعندما لاحظت أن المياه توقفت عن الصعود، رجعت منزلى وتناولت الطعام وأثناء ذلك جاء السيد " فُرُكَوَ " ودخل المنزل وهو أحمر الوجه ويصيح غضبًا، وسمعت بعد ذلك أن تلك المشكلة تم حلها بدفع تعويض.

ولم يكن أبى يدللنى أبدًا، وكانت أمى معجبة فقط بأخى الأكبر، وكان أخى الأكبر ذا بشرة شديدة البياض وكان يحب أن

يقلد حركات الممثلين الذين يقومون بأداء دور النساء، وفى كل مرة كان أبى يرانى كان يقول لى:

" لن تفلح فى أى شىء "

وكانت أمى تقول عنى:

" أنا قلقة على مستقبله، بسبب سوء تصرفاته "

وفعلاً كما قالا فأنا لم أفلح فى أى شىء كما ترون، ومن الطبيعى أن تقلق أمى علىّ ولكنى أعيش دون فعل ما يجعلنى أدخل السجن.

وقبل عدة أيام من موت أمى بالمرض، كنت فى المطبخ وقمت بعمل حركة شقلبة فوقعت على حافة الموقد فانكسر لى ضلع وشعرت بألم فظيع، فغضبت أمى غضبًا جمًا وقالت لى:

" لا أريد أن أرى وجهك "

فذهبت إلى أقاربى للإقامة عندهم، وبعد فترة فوجئت بوصول خبر وفاتها، ولم أكن أتوقع أن تموت هكذا بسرعة، فعدت إلى المنزل وأنا أقول لنفسى لو كنت أعلم أن مرضها خطير هكذا لآثرت الهدوء، وحينذاك قال لى أخى الأكبر سابق الذكر:

" أنت سبب تعاسة أبينا وأمنا، ولقد ماتت أمنا بسرعة بسببك أنت"

فشعرت بالأسى مما جعلنى ألطمه على وجه فعُنِّفت بشدة على ذلك.

وبعد وفاة أمى عشنا نحن الثلاثة أنا وأبى وأخى الأكبر معًا، وأما أبى فكان رجلا لا يفعل شيئا، وكان دائمًا عندما يرى شخصا يقول له

" أنت لا شيء، لا شيء "

وحتى الآن لا أستطيع أن أفهم

" لا شيء فى ماذا! "

لقد كان أبى غريب الأطوار، وأما أخى فكان يقول:

" أنا أريد أن أصبح رجل أعمال ولذلك أدرس اللغة الإنجليزية باجتهاد "

وهو أصلاً ماكر فى طبيعته مثل النساء، ولذلك لم نكن على وفاق، وكنا نتشاجر بمعدل مرة فى كل عشرة أيام. وفى مرة كنا نلعب الشطرنج اليابانى فوضع حصانه الجبان أمام مَلِكِى فلم يستطيع الملِك الهروب، ثم أخذ يتلذذ بالسخرية منى لعدم قدرتى على تحريك الملِك، فانفعلت وضربته بالطابية بين عينيه، فجُرِح ونزف قليلا من الدم، فذهب واشتكى إلى أبى، فقال أبى:

" سوف أُقاطعك "

فتوقعت أن يفعل أبى ذلك واستسلمت للأمر، ولكن الخادمة التى كانت تعمل عندنا منذ عشرة أعوام واسمها " كَيو " ذهبت إليه تبكى وتعتذر عما حدث منى وفى النهاية هدأ أبى وتراجع، وبالرغم من كل ما يحدث تجاهى من أبى فإننى لم أكن أعتقد أنه إنسان شرير ومخيف، وبالنسبة للسيدة " كَيو " فكنت أشعر أنها مسكينة، فلقد سمعت أنها من أسرة عريقة لها تاريخ، ولكن بسقوط نظام الحاكم " طوكو جاوا "، تغير حالها، فأصبحت خادمة تعمل فى بيوت الآخرين، ولذلك فهى الآن سيدة عجوز جدًا، وهذه السيدة العجوز تدللنى بشدة ولا أعلم لماذا تفعل ذلك

معى !، فهذا أمر عجيب، فرغم أن أمى تجاهلتنى فى الأيام الثلاثة السابقة على موتها، وكان أبى دائمًا يحتار فى كيفية التعامل معى، وأهل المدينة ابتعدوا عنى لما أقوم به من أفعال شريرة جدًا، كانت تلك السيدة تعاملنى بطريقة جيدة جدًا.

وبسبب شخصيتى هذه، كنت قد فقدت الأمل أن أجد أحدًا يحبنى، ولم أكن أفكر لماذا يتعامل الناس معى كأنى كم مهمل، ولكنى فكرت بريبة فى أسباب تعاملها بطريقة جيدة وتدليلها لى، فأحيانًا عندما كنت أقف معها فى المطبخ وليس هناك أحد غيرنا، كانت تمتدحنى أحيانًا قائلة:

" أنت ذو شخصية جيدة، لأنك صريح وواضح "

ولكنى لم أكن افهم ماذا تعنى بذلك، ولكنى كنت أقول لنفسى لو أن شخصيتى جيدة فعلاً لماذا بقية الناس لا يعاملوننى بطريقة جيدة مثلها !، ولذلك عندما كانت السيدة " كَيو " تمدحنى هكذا كنت اقول لها دائمًا:

" إننى اكره النفاق "

فكانت تنظر إلى وجهى فى سعادة وتقول

" لهذا أنت ذو شخصية جيدة "

وكانت تقول ذلك ويبدو عليها الفخر أنها التى ربتنى على ذلك، ولكن كلامها هذا كان يترك فى نفسى بعضًا من الريبة والقلق والضيق.

وبعد أن ماتت أمى بدأت السيدة " كيو " تظهر حبها لى أكثر وأكثر، وكنت أسأل نفسى فى حيرة، لماذا كانت تحبنى كل هذا الحب! ثم رأيت أن هذا الذى تفعله شىء ليس له معنى، وأن

عليها أن تتوقف عن ذلك، ولكنها استمرت فى حبها وتدليلها لى، ومن حين لآخر كانت تشترى لى أنواعًا مختلفة من الحلوى من مصروف يدها الخاص، وفى الأيام الباردة كانت تشترى مكرونة إسباجتى وتعدها وتأتى بها ساخنة خلسة لى وأنا نائم وتوقظنى من مضجعى لتناولها، وفى أحيان قليلة كانت تشترى مكونات المكرونة الإسباجتى بالخضراوات رغم ارتفاع سعرها وتقوم بإعدادها لى، ولم تكن تشترى لى الطعام فقط، بل أيضًا تشترى لى الجوارب وأقلام الرصاص والكراسات، وبعد ذلك بمدة طويلة حدث أن أقرضتنى مرة ثلاثة ينات، لم أكن قد طلبت منها أن تقرضنى، بل أحضرتها إلى حجرتى وقالت لى:

" أكيد أنك فى ضيق بسبب عدم حصولك على مصروف يد، خذ هذه النقود "

وطبعًا أنا قلت لها:

" أنا لست فى حاجة إلى نقود "

ولكنها صممت على أن آخذها وأنفقها، فقبلت ذلك، وفى الواقع إن ذلك أسعدنى، ولقد وضعت الثلاثة ينات فى حافظة ثم وضعتها فى جيبى ولكن للأسف عندما دخلت المرحاض سقطت منى سهوًا فى فتحة المرحاض، فسرت بخطى ثقيلة إلى أن وصلت إلى السيدة " كَيو " ورويت لها ماحدث فقالت لى:

" سوف أعيدها لك "

ثم هرولت بحثًا عن عصا خيزران، وبعد قليل سمعت أصوات خرير الماء بجانب البئر، فخرجت لكى أستطلع الأمر

فوجدتها تمسك بعصا الخيزران والحافظة معلقة فى مقدمتها ووضعتها تحت الماء لكى تصبح نظيفة، وبعد ذلك فتحت الحافظة فوجدت أن لون الثلاثة ينات الورقية قد تحول إلى اللون البنى وأن الكتابة والصور الموجودة فوقها قد أوشكت على الزوال، ولكنها جففتها على نار الموقد، ثم قالت لى:

" هكذا أصبحت صالحة للاستخدام "

فشممتها ثم قلت:

" رائحتها عفنة "

فأخذتها منى ثم طلبت منى الانتظار حتى تبدلها بنقود أخرى، ولا أعلم أين ذهبت ؟، وماذا فعلت ؟ ولكنها عادت بعد أن بدلتها بثلاثة ينات عملات فضة، ولكنى لا أتذكر فى ماذا أنفقت تلك الثلاثة ينات، ولقد قلت لها:

" سوف أردها بسرعة "

ولكنى لم أردها، وإذا أردت ردها الآن إليها لن أستطيع حتى لو رددتها عشرة أضعاف.

وكانت "كَيو" عندما تريد إعطائى شيئا كانت تعطينى إياه فى عدم وجود أبى وأخى، وإذا قال لى شخص ماذا تكره ؟ سوف أقول له إن أكثر ما أكرهه أن أحصل على شىء لا يحصل عليه الآخرون، بالطبع علاقتى مع أبى وأخى سيئة ولكنى لا أريد الحصول من "كَيو" على حلوى أو أقلام تلوين دون علم أخى، ولقد سألتها لماذا تعطيننى أنا فقط ولا تعطين أخى أيضًا، فأجابت بطريقة جادة:

"أخوك يحصل على ما يريد من أبيك"

ولكن هذا ليس صحيحًا، فأبى متصلب الرأى ولكن ليس منحازًا كما تظن هى، ولكن من وجهة نظرها هى فإنه منحاز، ولكن بالتأكيد أن حبها الجارف الذى جعلها تنحاز لى هو الذى صور لها ذلك، وربما ترجع شخصيتها هذه إلى أنها فى الأصل من أسرة عريقة وأنها ليست متعلمة، وهذا أمر لا حيلة لها فيه، والأمر لا يقتصر على هذا فقط، بل إن الشخص المنحاز شخص مخيف، فهى تعتقد أننى فى المستقبل سوف أكون ذا شأن عظيم، ولقد حكمت على أخى الذى يحب الدراسة بأنه ما هو إلا شخص أبيض البشرة وليس له فائدة على الإطلاق، ولم يكن هناك طريقة لإثنائها عن أفكارها تلك ، فقد كانت تعتقد أن الشخص الذى تحبه سوف يكون له شأن عظيم والشخص التى تكرهه سوف يكون فاشلا، ومنذ ذلك الحين عندما أسألها:

" بدقة ماذا سوف أكون فى المستقبل؟ "

لم يكن عندها إجابة واضحة ودقيقةعن ذلك، ولكنها كانت تكرر:

" سوف تكون عظيمًا، سوف تكون عظيمًا "

وجعلنى هذا أفكر أننى ربما كما تقول من الممكن أن أكون شخصًا ذا شأن، ولكن عندما أفكر فى ذلك الحديث الآن أرى أنه كان كلامًا سخيفًا وتافهًا وليس له معنى، وفى إحدى المرات سألتها:

" ماذا سوف أكون بالضبط ؟ "

فقالت:

" بالتأكيد سوف تشيد منزلاً، وتمتلك عربة خاصة تركبها ويجرها رجال ".

كما قالت:

" أنا أنوى أن أُقيم معك عندما تمتلك ذلك المنزل "

وطلبت منى بإلحاح عدة مرات أن أوافق على أن تُقيم معى فى ذلك المنزل، ولقد جعلنى كلامها هذا أشعر بأننى يمكن أن أمتلك منزلاً، فقلت لها:

" نعم نعم، سوف تعيشين معى فى المنزل "

ولكنى لم أُفكر بجدية بعد ذلك فى ذلك الأمر، ولكن تلك السيدة كانت تفكر فى ذلك الأمر بجدية وتضع له خططًا على هواها، فتسألنى:

هل سوف تبنيه فى المنطقة الراقية " كُجِمَنْتْشِ " أو المنطقة الراقية " أَظَبُ " ؟

وواصلت كلامها قائلة:

"وتضع أرجوحة فى الحديقة، ويكفى أن تؤسس حجرة واحدة على الطراز الغربى".

ولكنى أجبتها قائلاً:

"لا أريد منزلاً ، فإن المنزل سواء كان على الطراز الغربى أو الطراز اليابانى ليس مهمًا لى على الإطلاق".

وحينئذ تقول لى مادحة إياى:

"أنت ذو قلب نقى ولذلك لا تطمع فى الكثير".

وكانت السيدة " كَيو " تمدحنى على كل ما أقول.

واستمر هذا الحال بعد وفاة أمى لمدة خمس أو ست سنوات؛ أُعنَّف من أبى، وأتشاجر مع أخى الأكبر، وأحصل من السيدة "كَيو" على حلوى وأحيانًا على مَدح أيضًا، ولم يكن لى طموحات أكثر من ذلك، وكنت أعتقد أن ما أنا عليه كاف جدًا؛ حيث إننى كنت أرى بقية الأطفال يعيشون كما أعيش أنا، ولقد كانت السيدة " كَيو "دائمًا ما تقول لى دون تحرج

" أنت طفل محروم وتعيس "

وجعلنى هذا أشعر أننى فعلاً محروم وتعيس، ولكن غير ذلك لم أكن أشعر بأية معاناة أبدًا، فيما عدا أن أبى لم يكن يعطينى مصروف يدى، وكان هذا يؤلمنى ولكنى لم أشك.

وفى رأس العام السادس على وفاة أمى، توفى أبى إثر نزيف مفاجئ فى المخ، وفى أبريل من ذات العام تخرجت أنا فى مدرسة إعدادية خاصة، وتخرج أخى الأكبر فى مدرسة التجارة، ولقد توظف فى شركة ما، ووجب عليه الذهاب إلى فرع تلك الشركة فى جزيرة " كيوشو "، وبالنسبة لى وجب على أن أستمر فى دراستى فى " طوكيو "، وفجأة قال أخى:

" سوف أبيع المنزل وجميع الممتلكات وأذهب لكى أعيش فى مكان عملى "

وقد كان ردى عليه:

" افعل ما يحلو لك "

فلم يكن عندى أية رغبة أن أعيش معه ليرعانى؛ فإذا أعطيته تلك الفرصة فسوف نتشاجر وأكيد أنه سوف يستغل تلك الفرص

ليعايرنى بمراعاته لى، فيرعانى بطريقة سيئة ومع ذلك يجب علىّ أن أحنى له رأسى وأشكره، ولذلك فأنا مستعد أن أفعل أى شىء لكى أعيش مستقلاً عنه، حتى لو عملت فى توصيل الحليب إلى المنازل ولكن لا أعطيه تلك الفرصة للشماتة، واستدعى أخى صاحب محل أدوات مستعملة وباعه المعدات والأدوات التى تركها لنا أجدادنا المتعاقبين بثمن بخس، ثم باع المنزل والأرض المقام عليها المنزل إلى أحد الأغنياء عن طريق أحد الاشخاص، ولقد علمت أنه ربح من تلك البيعة مالاً وفيرًا ولكنى لم أعلم أية تفصيلات عن تلك البيعة؛ حيث إننى ذهبت قبل تلك البيعة إلى مدينة " أُجَوَ مَطْشِ" بمنطقة " كَنْضَ " بالعاصمة طوكيو، حيث مكثت هناك مؤقتًا فى حجرة للإيجار إلى أن أُقرر ماذا سوف أفعل فى مستقبلى، وشعرت السيدة " كَيو" بالأسى لفقدان المنزل التى عاشت فيه أكثر من عشر سنوات ولكن لم يكن فى مقدورها أن تمنع ذلك، لأنها ليست مالكة له، وكانت لا تتوقف عن أن تقول لى:

" لو كنت أكبر قليلاً لكنت استطعت أن ترث كل شىء "

ولكن إذا كان كلامها هذا منطقيًا، فليس هناك مانع أن أستطيع إرثه الآن، ولكن جهل تلك السيدة المسنة التام بكل شىء، جعلها تعتقد أننى أستطيع أخذ إرث أخى الأكبر إذا كان عمرى أكبر قليلاً.

وبهذه الطريقة المحزنة افترقنا أنا وأخى الأكبر، ولكن المشكلة كانت فى العثور على مكان تعيش فيه السيدة " كَيو "، وبالطبع كان أخى فى وضع لا يسمح له بأن يأخذها معه، كما أنها قالت:

"ليس عندى أى استعداد لكى أذهب معه جنوبًا إلى جزيرة كيوشو"

وكنت أنا فى ذلك الوقت أستأجر حجرة رخيصة مساحتها حوالى اثنى عشر مترا مربعًا، حتى إذا دعت الحاجة لتركها أستطيع تركها بسرعة، ولذلك لم أستطع أخذها معى، فسألتها:

هل تنوين العمل عند شخص آخر ؟

فقالت:

" بما أننى لا أستطيع الإقامة معك الآن، فلقد قررت أن أُقيم عند ابن أخى إلى أن تمتلك منزلك ويكون لك زوجة "

وابن أخيها هذا كاتب محكمة ويعيش حياة كريمة، ولقد دعاها عدة مرات أن تأتى لتعيش عنده ولكنها كانت ترفض قائلة:

" أفضل العيش كخادمة مع من عشت معهم مدة طويلة وتعودت عليهم، حتى لو كانوا أهل بيت متواضع، ولكن فى الوضع الحالى الذهاب إلى ابن أخى أفضل من خوض تجربة العمل فى منزل جديد قد أشعر فيه بعدم الراحة "

ثم أضافت:

" امتلك منزلاً وتزوج بسرعة وسوف آتى إليك لأقوم بخدمتك"

وعلى ما يبدو لى أنها تحبنى أنا الغريب أكثر من ابن أخيها الذى هو من صلة رحمها.

وقبل أن يغادر أخى إلى " كيوشو " بيومين، جاء إلى مسكنى وقال لى:

" ها هى ستمائة ين لك، افعل بها ما شئت، استخدمها

كرأسمال للعمل فى التجارة أو كمصروفات دراسية، أو ما تريد ولكن فى مقابل ذلك لا تتوقع منى أن أعطيك المزيد من المال "

تصرف ليس معتادًا من أخى، فلم أتوقع الحصول منه على مال، وإن لم يكن أعطانى ذلك المبلغ، فلم أكن قد شعرت بالضيق، أعجبنى تصرفه هذا وأسلوبه فى الكلام، فشكرته على ذلك، وبجانب ذلك أعطانى خمسين ينًا وقال:

" أعط هذه إلى كيو"

وبعد ذلك بيومين تقابلنا فى محطة قطارات " شِنْبَشِ " حيث افترقنا هناك ولم نتقابل بعد ذلك أبدًا.

استلقيت على الفراش وأخذت أُفكر فى طريقة إنفاق الستمائة ين هذه، فإذا استخدمتها فى التجارة فسوف أخسرها، ففى الواقع إن ستمائة ين لا تكفى لكى أبدأ العمل فى التجارة بداية قوية، وعلى افتراض أننى أستطيع بهذا المبلغ المتواضع بداية العمل فى التجارة، فلن أستطيع أن أقول للناس بثقة إننى متعلم، لأنى لم أحصل إلى الآن إلا على تعليم متوسط، يعنى أنها سوف تكون خسارة من كل جانب، ولذلك لا يهم أن يكون عندى رأسمال طالما لن أتاجر، سوف أستخدم ذلك المال كمصروفات دراسية لتحصيل العلم، فأستطيع أن أدرس ثلاث سنوات، إذا قسمت الستمائة ين إلى ثلاثة أقسام فأستطيع إنفاق مائتى ين سنويًا لمدة ثلاثة أعوام كمصروفات دراسية، فإذا درست باجتهاد ثلاث سنوات فسوف أتمكن من تحصيل العلم الذى يؤهلنى إلى تحقيق شىء ما فى المستقبل، ثم بعد ذلك سألت نفسى:

" ما المدرسة التى أريد الالتحاق بها ؟ "

ولكنى بطبيعتى لا أميل إلى دراسة تخصص معين، وخاصة أكره بشدة دراسة أشياء مثل اللغات والأدب، فأنا لا أفهم بيتًا واحدًا من قصيدة مكونة من عشرين بيتًاعلى النظام الغربى، وعمومًا طالما أنا أكره جميع التخصصات فإن أى تخصص بالنسبة لى سوف يكون مثل الآخر، وبالمصادفة وأنا أسير أمام مدرسة العلوم شاهدت إعلان عن فتح باب قبول دفعة جديدة من الطلاب، فقلت لنفسى ربما نصيبى قادنى إلى هنا، فقمت بسحب استمارة التحاق وعمل الإجراءات اللازمة للدخول، وعندما أُفكر الآن فى موضوع التحاقى بتلك المدرسة، أجد أنه كان خطأ ناتجًا عن الطيش الذى ورثته عن والدىّ.

ذاكرت كما يذاكر الآخرون لمدة ثلاث سنوات ولكنى لم أكن من المتفوقين، وإذا كان يريد شخص أن يبحث عن اسمى فى كشف نتائج الامتحانات، فدائمًا الأقرب له أن يبدأ فى البحث من أسفل الكشف، ولكن من الغريب أننى استطعت التخرج بعد مرور ثلاث سنوات فقط، فتعجبت من ذلك ولكننى بالطبع لا أستطيع الشكوى بسبب تخرجى السريع، فتقبلت الأمر كرجل وتخرجت فى هدوء.

وبعد التخرج بثمانية أيام جاءنى رسول من المدرسة يستدعينى لمقابلة المدير، فاعتقدت أنه سوف يطلب منى القيام بعمل له، ولكن عندما ذهبت لمقابلته أخبرنى أن مدرسة فى ضواحى جزيرة "شِكُك"، فى حاجة إلى مدرس رياضيات، وأن الراتب الشهرى

أربعون ينًا، ثم تناقش معى فى أن أذهب، ولكن رغم أننى درست رياضيات ثلاث سنوات، لكنى فى الواقع ليس عندى نية فى أن أصبح مدرسًا ولا أن أذهب لكى أقوم بالتدريس فى الريف، وفى نفس الوقت ليس عندى رغبة فى أن أصبح شيئًا آخر، ولذلك عندما عرض علىّ المدير تلك الوظيفة قبلتها على الفور، وهذا أيضًا كان خطأ بسبب الطيش الذى ورثته عن والدىّ.

ومنذ قبولى العمل هناك وجب علىّ الانتقال للعيش هناك، ولقد قضيت ثلاثة أعوام قابعًا فى حجرة حوالى اثنى عشر مترًا مربعًا، ولم أسمع خلال تلك الفترة شكوى من أحد ولو مرة واحدة، ولم أتشاجر مع أحد، ولقد كانت تلك الفترة مقارنة ببقية فترات حياتى فترة هدوء وسلام، ولكن مع قرارى بقبول هذه الوظيفة وجب علىّ ترك تلك الحجرة، وفيما عدا " طوكيو " لم أكن قد ذهبت إلى أى مكان آخر طوال حياتى إلا أن ذهبت مع زملاء المدرسة إلى مدينة " كَمَكُرَ "، ولكن المكان الذى سوف أذهب إليه هذه المرة ليس " كَمَكُرَ "، بل هو مكان بعيد جدًا، وعلى كل حال فهو مجرد مكان لا يوجد فيه ما يميزه؛ فهو يبدو على الخريطة منطقة شاطئية صغيرة جدًا كصِغَر سن إبرة، ولا أعلم أى مدينة تلك وأى نوعية أشخاص يعيشون فيها، ولكن عدم المعرفة لا تعنى مشكلة ولا تُقلقنى، فكل ما يتوجب علىّ، أن أذهب فقط، ولكنى أشعر بقليل من الانزعاج.

وبعد أن تركت حجرتى كنت أذهب من حين لآخر إلى السيدة " كيو "، وعلى غير ما توقعت فقد كان ابن أخيها شخصًا ذا شخصية

جيدة، وإذا تصادف وجوده أثناء زيارتى لهـا كـان يرحـب بـى ويكرمنى أشد الكرم، وكانت كيو " تُجلسنى معه وتقص عليه كثيـرًا من الأشياء التى تتباهى بها عنى، قالت ذات مرة مُضَخَّمة الأشياء، أننى سوف أتخرج قريبًا، وبمجرد ذلك سوف أمتلك منـزلاً فـى مدينة " كُوجمَنْش " وسوف أعمل موظف فى الحكومة، فهى تقـرر بنفسها ماذا تقول، وتقوله دون أخذ رأىّ، فاحمّر وجهى ضـيقًا، ولا تقول ذلك مرة أو مرتين، بل تقوله باستمرار، ففى كل مناسبة تقول إننى عندما كنت طفلاً كنت أتبول على نفسى وأنا نائم، فلا أجد مـا أفعله إلا أن أصمت خجلاً، ولا أعرف شعور ابن أخيها حينما كـان يسمعها تمدحنى، ولكن " كيو " كانت سيدة علـى الطـراز القـديم فكريًا، فكانت علاقتها بى على النظام الرأسمالى، سيد وعبد، وكانت تعتقد أنه بما إننى سيدها فإننى سيد ابن أخيها، وأكيد أن هذا الموقف يجعل ابن الأخ يشعر بالخجل.

ووعدت مدير مدرستى بالذهاب للعمل فـى تلـك المدرسـة، ولكن قبل الذهاب بثلاثة أيام، ذهبت لزيارة السيدة "كيو"، فإذا بها نائمة فى الفراش بسبب نزلة برد، ولكن عندما رأتنـى جلسـت بسرعة وسألتنى

" سيدى الصغير: متى سوف تمتلك منزلاً ؟ "

وعلى ما يبدو أنها كانت تعتقد أننى بمجرد أن أتخرج سـوف يمتلئ جيبى بالنقود، والأكثر من ذلك حماقة أنهـا تعتقـد أننـى إنسان عظيم، ومع ذلك تنادى " سيدى الصغير "، كيف أكـون " عظيم " و" صغير " فى الوقت ذاته !، وعندما قلت لها:

" ليس من اليسير أن أشترى منزلاً فى المستقبل القريب، وأننى سوف أذهب إلى الريف للعمل هناك "

وضح عليها الحصرة الشديدة، وأخذت فى تعديل شعرها الذى هو خليط من اللونين الأبيض والأسود والمترامى فوق أذنيها، فشعرت بالحزن لحزنها، ولذلك قلت لها مخففًا عنها:

" سوف أذهب ولكنى سوف أرجع كل فترة، بكل تأكيد سوف أرجع صيف العام القادم "

ولكن أسرايرِ وجهها لم تنفرج، فقلتُ لها مخففًا أكثر:

" ماذا تريدين من هدايا أحضرها لك عند عودتى"

فقالت:

" أريد أن آكل الحلوى التى تصنعها منطقة إِتْشِجُ والملفوفة فى البوص "

ولكن لم أكن قد سمعت إطلاقًا عن تلك الحلوى، ولا حتى فى المكان الذى سوف أذهب إليه ولذلك قلت لها:

" لا أعتقد أن الريف الذى سوف أذهب إليه يوجد به تلك الحلوى "

فقالت:

" إذن ماهى وجهتك ؟ "

فقلت:

" أذهب فى اتجاه الغرب "

فسألتنى:

هل سوف تذهب قبل " هَكُنيه " أم بعدها ؟

فشعرت أننى فى مأزق شديد أن أشرح لها أين أذهب.

وفى يوم رحيلى حضرت السيدة " كيو " منذ الصباح وساعدتنى فى إعداد كل شىء، وأثناء حضورها، اشترت لى من متجر صغير فرشة أسنان ومعجون أسنان وخلة أسنان ومنشفة ووضعتهم فى حقيبة مصنوعة من الكتان، فقلت لها:

" أنا لست فى حاجة إلى تلك الأشياء "

ولكنها لم تقتنع بما أقول، وركب كلٌ منا عربة يجرها رجل وسارت العربتان جنبًا إلى جنب إلى أن وصلنا إلى محطة القطار، وصعدنا إلى رصيف القطار وبعد ذلك ركبت أنا القطار، فنظرت هى إلى وجهى طويلاً ثم قالت فى همس:

" ربما تكون هذه لحظة الفراق بيننا، أستودعك خيرًا "

وكانت الدموع تملأ عينيها. لم أبك ولكن لو استمر هذا اللقاء قليلاً لبكيت، وعندما بدأ القطار فى التحرك

أخرجت رأسى من النافذة ونظرت إلى الخلف لعلها تكون قد هدأت ورحلت ولكن كما توقعت مازالت واقفة، القطار يبتعد وهى تتضاءل.

الفصل الثانى

عندما دوت صافرة القطار الكبير معلنة عن وصوله المحطة، فإذا بقارب يغادر شاطئ ويتجه ناحية القطار، وكان ملاح ذلك القارب عار تمامًا عدا لباس يستر عورته، فشعرت أننى جئت إلى مكان متخلف، ولكن من الصعب ارتداء جلباب فى هذا الجو الحار جدًا، فماء البحر يلمع بسبب شدة أشعة حرارة الشمس، والنظر إليه يسبب دوار، وسألت موظف السكة الحديد عن المكان الذى سوف أُغادر فيه القطار فأخبرنى بأن أغادر القطار هنا، فنظرت إلى مكان توقف القطار فإذا به قرية صغيرة ومتواضعة للصيادين فى حجم منطقة " أُومُرِ " بالعاصمة طوكيو، فقلت لنفسى فى ضيق

" هل ضحكوا علىّ! ومن الذى يستطيع تحمل العيش فى هذا المكان!".

ولكن ما باليد حيلة، فجمعت كل قوتى وقفزت قبل الجميع فى القارب، وبعد ذلك ركب القارب حوالى خمسة أو ستة أشخاص، وبجانب ذلك تم تحميل أربعة حقائب وجدف الملاح العار عائدًا بنا إلى الشاطئ الذى جاء منه، وعندما وصلنا قفزت قبل الجميع إلى الشاطىء وفجأة وجدت طفلاً صغيرًا يخرج من أنفه سائلاً يقف فوق صخرة فسألته

" أين المدرسة الإعدادية ؟ "

فرد دون اهتمام

" لا اعلم "

فقلت فى نفسى فلاح لا يعرف كيف يُحسن مخاطبة الناس، وتعجبت أن يوجد أحد لا يعرف المدرسة الإعدادية فى مكان صغير جدًا مثل هذا، ثم جاءنى رجل يرتدى جلبابا غريبا وقال لى:

" سر خلفى "

فسرت خلفه فإذا بى أمام فندق اسمه " فندق الميناء "، وإذا بامرأة بغيضة تظهر وتقول لى معه:

" تفضل بالدخول "

ولكنى لم ارغب فى ذلك وسألتهما وأنا أقف على مدخل الفندق:

" أين المدرسة الإعدادية؟"

فقالا لى:

" إنها تبعد عن هنا مسافة ثمانية كيلومترات بالقطار الداخلى "

وعندما سمعت هذا ازدادت رغبتى فى عدم الدخول، ولكنى سألت ذلك الرجل ذو الجلباب الغريب عن محطة القطار الداخلى فأخبرنى بمكانها، فانتزعت منه حقيبتىّ التى كان يحملهما وبدأت فى السير ببطء، فنظر لى الرجل والمرأة نظرة غريبة.

ووصلت إلى محطة القطار بسرعة واشتريت تذكرة فى عجلة وذهبت لكى أركب القطار فإذا به قطارًا صغيرًا مثل علبة الكبريت، وبعد أن سار القطار الداخلى بتثاقل لمدة خمس دقائق فوجئت أننا وصلنا، وحينئذ فهمت لماذا كانت التذكرة رخيصة، كانت بثلاثة ينات فقط، وبعد ذلك استأجرت سيارة وذهبت إلى المدرسة فإذا باليوم الدراسى كان قد انتهى ولا يوجد أحد، وقال لى عامل المدرسة:

" الأستاذ الذى يقوم بالاشراف الليلى على المدرسة اليوم قد خرج لقضاء أمر "

فقلت لنفسى ما هذا الأستاذ المستهتر !، وفكرت أن ازور مدير المدرسة ولكنى كنت منهك فتراجعت عن تلك الفكرة وركبت عربة تُجر باليد وطلبت من سائقها أن يأخذنى إلى فندق، فأخذنى إلى فندق اسمه " يَمَشرُيا " فضحكت؛ حيث أن اسم الفندق هو نفس اسم مكتب رهن الأشياء الذى كان يملكه الولد " كَنْطَرُو " الذى تعاركت معه عندما كنت طفلاً.

قامت عاملة الفندق باقتيادى إلى حجرة تحت الدَرَج المؤدى إلى الطابق الثانى، ولكنها كانت ذات جو حار لدرجة عدم تحمل الإقامة فيها، فقلت لها:

" لا ارغب فى الإقامة فى حجرة مثل هذه "

فقالت:

" بقية الحجرات مشغولة لأن الكل يبحث عن حجرة رطبة "

ثم تركتنى مع أمتعتى وخرجت من الحجرة، فشعرت أنه لا مفر من الإقامة فى تلك الحجرة، فأقمت فيها وتصببت عرقًا ولكنى تحملت، ثم قالت لى العاملة:

" الحمام جاهز للاستحمام "

فألقيت بنفسى داخل الحمام ثم خرجت بسرعة، وعند عودتى إلى غرفتى تلصصت على الحجرات الأخرى فكان أغلبها خالية، فشعرت أن العاملة وقحة، لأنها كذبت بأن ادعت أن الحجرات الأخرى مشغولة، ثم احضرت الخادمة مائدة طعام وقد كان الجو حارًا ولكن مستوى الطعام كان ممتازًا وليس مثل مستوى الحجرة، وبينما كانت العاملة تقوم بإعداد المائدة لى قالت:

" من أين جئت ؟ "

فقلت لها:

" جئت من طوكيو "

فقالت:

" طوكيو مكان جميل "

فرددت "

" طبعًا هو كذلك "

وبعد أن انتهيت من تناول الطعام، أخذت العاملة المائدة إلى المطبخ وعند ذلك سمعت أصوات ضحكات عائلية، وشعرت

بالملل فدخلت الفراش لكى أنام ولكنى لم أستطع النوم، لم يكن الجو حارًا فقط ولكن بجانب ذلك كانت هناك ضوضاء شديدة، حوالى خمسة أضعاف الضوضاء التى كنت أشعر بها فى حجرتى السابقة وقت كنت طالبًا، وعندما خلدت إلى النوم حلمت بالسيدة " كيو " وهى تأكل الحلوى التى تصنعها منطقة إِتْشِجُ والملفوفة فى البوص كلها حتى بالبوص الملفوف حولها، فقلت لها:

" انزعى البوص لأنه ضار وكلى الحلوى الموجودة فى الداخل فقط "

ولكنها قالت:

" هذا البوص أعشاب مفيدة وتُستخدم كدواء "

وعندما فقدت الأمل فى أن تنصت لِما اقول، ضحكت بصوت عال، فاستيقظت من النوم، فوجدت العاملة قد فتحت النافذة، وكالعادة السماء صافية تمامًا إلى مرمى البصر.

ولقد سمعت عند الإقامة فى فندق، من الطبيعى أن تعطى إكرامية لمن يعملون هناك، وإذا لم تفعل ذلك سوف تحصل على خدمة سيئة، فقلت لنفسى أكيد أن العاملين فى الفندق وضعونى فى هذه الحجرة الضيقة والمظلمة نتيجة توقعهم ألا يحصلوا على إكرامية منى؛ حيث أننى ارتدى ملابس رخيصة واحمل حقيبة مصنوعة من القماش الرخيص ومظلة رخيصة وسيئة المظهر، فقلت لنفسى:

" يا للعجب فلاحون ومع ذلك ينظرون لى نظرة دونية !، سوف ألاعبهم وذلك بأن أعطيهم إكرامية كبيرة وأشاهد انبهارهم

من ذلك، فلقد غادرت طوكيو وفى جيبى نحو ثلاثين ينًا هى ما تبقى من نفقاتى على تعليمى، بجانب النفقات على تذاكر القطار والقارب بخلاف النثريات فيتبقى نحو أربعة عشر ينًا، وحتى إذا اعطيتهم تلك الأربعة عشر ينًا فليس هناك مشكلة؛ حيث أننى سوف احصل على راتبى بعد قليل، إن الفلاحين بخلاء ولذلك إذا اعطيتهم خمسة ينات فمؤكد أنهم سوف ينبهرون لدرجة الشعور بالدوار".

ثم قلت لنفسى:

" سوف أريهما ماذا سوف أفعل "

فنهضت من الفراش وذهبت فغسلت وجهى وعدت انتظر فى الحجرة فإذا بالعاملة التى حضرت لخدمتى أمس قد جاءت تحمل مائدة طعام، وبينما كانت تقوم بإعداد الأطباق كانت تضحك بطريقة بغيضة، فقلت لنفسى:

" ما هذه الوقاحة! ما الذى يجعلها تنظر إلى وجهى وتضحك هكذا! هل وجهى يثير الضحك لهذه الدرجة !، إن وجهى أكثر جمالاً من وجهها "

وكنت قد عزمت على إعطائها الخمسة ينات بعد تناول الطعام ولكنى شعرت بالغضب من ضحكها هذا، فتوقفت عن تناول الطعام وأخرجت ورقة من فئة الخمسة ينات وقلت لها:

" خذى هذه بعد أن أفرغ من طعامى وأعطيها إلى رئيسك "

فنظرت إلىّ نظرة غريبة، وبعد ذلك انتهيت من تناول الطعام وخرجت مسرعًا إلى المدرسة ولكن عند خروجى فوجئت بأن العاملين فى الفندق لم يقوموا بتنظيف حذائى.

وبما أننى ذهبت أمس إلى المدرسة بالعربة التى تُدفع باليد، فإننى اعرف إلى حد كبير مكانها؛ حيث دخلت فى شارع جانبى بعد ثانى أو ثالث تقاطع فوجدتنى مباشرة أمام بوابة المدرسة، وكان الممر من البوابة إلى مدخل المبنى مرصوفًا كاملاً بحجر الجرانيت، ولقد شعرت ببعض الضيق لأنى قد سرت فوق هذا الحجر الجرانيت بالعربة فتسببت فى إحداث ضوضاء شديدة، ولقد قابلت فى أثناء ذهابى إلى المدرسة كثيرًا من التلاميذ الذين يرتدون الزى المدرسى المصنوع فى مدينة " ككُرَ " وكلهم يدخلون من هذه البوابة ويسيرون فوق هذا الممر، وبعضهم أعلى منىّ قامة وأشد قوة، فشعرت بالضيق وقلت لنفسى:

" هل سوف أستطيع القيام بتدريس مثل هؤلاء؟! "

وأخرجت بطاقة تعارف تحمل اسمى فقادونى إلى مكتب المدير، والمدير رجل ذو لحية خفيفة وبشرة سوداء وعينان سوداوان كبيرتان مثل الكلب الراكون، ويتحدث كأنه شخص مهم مما يجعلك تشعر بالضيق، ثم قال لى:

" اجتهد فى عملك "

وختم خطاب استلام العمل بخاتم كبير ثم انحنى بأدب وقدمه لى ــ علمًا بأنه عندما كنت فى طريق عودتى إلى طوكيو ألقيت بذلك الخطاب فى البحر ــ ثم قال المدير:

" سوف أقوم بتقديمك إلى بقية الأساتذة فى المدرسة بعد ذلك وسوف تقوم بتقديم خطاب الموافقة على العمل لكل فرد من العاملين ليراه "

فشعرت بالضيق من فعل ذلك لكل فرد، وكان من الأفضل بدلاً من ذلك، تعليق الخطاب لمدة ثلاثة أيام فى حجرة الأساتذة.

وانتظرت طويلاً إلى أن يحضر الأساتذة فى المكان المخصص لتجمعهم، فتجمعوا بعد انطلاق نفير الحصة الأولى، واخرج المدير ساعته ونظر إليها ثمَ قال لى:

" سوف أتحدث للجميع بشكل عام فأرجو أن تسمع ذلك وتصمت، وسوف اشرح لك مرة أخرى بالتفصيل على انفراد "

ثم بدأ بعد ذلك فى إلقاء محاضرة طويلة عن التربية، وطبعًا كنت استمع لكلامه دون تعليق ولكنى شعرت وأنا استمع لكلامه أننى جئت إلى المكان الخطأ، فشخص طائش مثلى لا يستطيع أن يكون الأستاذ الذى يريده المدير فلقد بالغ فى طلب ما يحب أن يتحلى به الأستاذ لدرجة غير ممكنة، حيث قال:

" يجب على الأستاذ أن يصبح نموذجًا للطالب يحتذى به، ومثالاً يصبو إليه، ليس فقط على المستوى العلمى ولكن أيضًا على المستوى الأخلاقى، فيربى الطالب على حسن الخلق، وإذا لم يكن كذلك فلا يمكن أن يكون معلمًا، ـ ـ ـ"

فقلت لنفسى:

" فهل أربعون ينًا كراتب شهرى تستطيع أن تُحضر أستاذًا عظيمًا من مكان بعيد إلى قرية مثل هذه، إن البشر متشابهون فى الأشياء العامة، فأى شخص يشعر بغضب فسوف يتشاجر ولو مشاجرة واحدة، ولكن فى هذا الوضع لا استطيع التشاجر ولا حتى فتح فمى، ولا حتى الترويح عن نفسى بالتنزه فى مكان مثل

هذا، وإذا كانت هذه الوظيفة تتطلب مثل تلك الصفات فكان من الأحرى أن يخبرنى بذلك قبل أن يوافق على أن استلم العمل، وأنا أكره الكذب، فلقد خدعونى بأن أحضرونى إلى هنا دون أن يوضحوا لى متطلبات الوظيفة، ولكن التفكير فى ذلك الآن لن يجد شيئًا، والتصرف الذى يجب أن افعله الآن أن أعلن بوضوح وبشجاعة رفضى لتلك الوظيفة وأن أعود من حيث جئت، ولكنى كنت قد أعطيت العاملين بالفندق خمسة ينات كإكرامية وبذلك تبقى فى حافظتى تسعة ينات فقط، وبتلك التسعة ينات لا أستطيع العودة إلى طوكيو، فيا ليتنى ما أعطيتهم إكرامية، لقد ندمت على ذلك، ولكن بتسعة ينات أستطيع تدبير أمر رحلة العودة بطريقة أو بأخرى، وهذا أفضل من البقاء هنا والكذب بأننى أستطيع أن أكون مايريده وفى الواقع أننى لا أستطيع "

ولذلك قلت:

" ليس لى مقدرة على فعل ما تريد، فخذ خطاب الموافقة على طلب الوظيفة "

ففتح المدير عيناه التى مثل عينى الكلب الراكون وحدق فىّ وقال ضاحكًا:

" ما قلته الآن هو أمنيتى، وأنا أعلم أنه من الصعب فعل ذلك، وبالتالى لا يجب أن تقلق من عدم القدرة على فعله "

فقلت لنفسى:

" إذا كان يعلم مسبقًا أن ما يطلبه فوق الطاقة، فكان من الأحرى ألا يطلبه "

وبينما كنا نتحدث انطلق النفير، فجأة ارتفعت الأصوات من ناحية حجرة الأساتذة، فقال:

" لقد تجمع الأساتذة فى حجرتهم "

ثم ذهب ودخل حجرة الأساتذة وتبعته أنا وبقية الأساتذة إلى هناك، فجلس الجميع فى حجرة واسعة ومستطيلة الشكل، موضوع فيها مقاعد وطاولات على الجوانب، وعندما دخلت التفتوا إلىّ جميعًا وأخذوا ينظرون إلى وجهى وكأنهم اتفقوا على فعل ذلك قبل دخولى، فشعرت أننى شىء للفرجة، وفعلت ما اتفقت عليه مسبقًا مع المدير فقمت بتقديم خطاب الموافقة على استلام العمل إلى كل أستاذ وانحنيت احترامًا له، وقام كل أستاذ بترك المقعد والوقوف منحنيًا وإلقاء نظرة سريعة على محتوى خطاب استلام العمل ولكن البعض كان يأخذه فيتفحصه ثم يعيده مرة أخرى لى بانحناءة تدل على الاحترام، بالضبط مثلما يحدث فى مسارح المعابد، وعندما وصلت إلى الأستاذ الخامس عشر وكان أستاذ التربية الرياضية، شعرت بالغضب قليلاً من ذلك؛ حيث أن كل واحد منهم كان يقف وينظر مرة واحدة، أما أنا فكنت أذهب لكل شخص وأنحنى إليه ليرى الخطاب، وحدث هذا خمس عشرة مرة لخمسة عشر أستاذاً، وكان من الأحرى لهم أن يفكروا فى شعورى وأنا أفعل ذلك مرارًا وتكرارًا.

وكان من ضمن من قمت بإلقاء التحية عليهم الناظر (رئيس الأساتذة) ولكنى لم أتذكر اسمه، وكان حاصل على شهادة ليسانس آداب، وهذا يعنى أنه تخرج فى الجامعة، أى شخص عظيم، ولكن

كان يتحدث بصوت غريب؛ صوت ناعم مثل صوت النساء، وأكثر ما جعلنى اندهش منه أنه كان يرتدى قميصًا خفيفًا من الصوف رغم أن الجور حار جدًا، ومهما كان القميص المصنوع من الصوف خفيف فلا شك أن الجو حار جدًا، وأكيد أنه عانى جدًا من ارتداء مثل ذلك القميص وقتًا طويلاً إلى أن يتخرج ويحصل على إجازة ليسانس الآداب، وعلاوة على ذلك فمما يغيظ أن قميصه أحمر اللون، وبعد ذلك علمت أن ذلك الأستاذ يرتدى قمصان حمراء طوال العام، فقد كان مصابًا بمرض نادر، وطبقًا لما قاله هو عن نفسه:

" إن اللون الأحمر هو الدواء لى من ذلك المرض، ولذلك اقوم بتفصيل قمصان حمراء خصيصًا للمحافظة على صحتى من ذلك المرض "

ولكنى اعتقد أنه قَلِق أكثر من اللازم، فإذا كان كلامه صحيحًا فلماذا لا يجعل جميع ملابسه حمراء اللون !، وكذلك كان هناك من بين الحاضرين أستاذ لغة إنجليزية اسمه " كُجَ " ذو وجه سيئ اللون جدًا، فغالبًا الشخص ذو الوجه الشاحب يكون وجهه نحيفًا ولكن هذا الأستاذ برغم أن وجهه شاحب لكنه سمين، ولقد تذكرت أنه عندما كنت فى المدرسة الابتدائية كان هناك زميل اسمه " تَمِ أَصَي " وقد كان لون وجه أبى هذا الزميل مثل لون وجه هذا الأستاذ، وكان فلاحًا ولقد سألت " كِيو " ذات مرة عن ذلك فقلت لها:

" هل من يصبح فلاحًا يصبح وجهه شاحبًا "

فقالت لى " لا هذا ليس صحيح ولكن من يأكل بكثرة القرع الأزرق الذى ينضج فى آخر الموسم ويكون سيىء المذاق يصبح لون وجهه شاحبًا "

وبعد ذلك عندما كنت أشاهد شخصًا وجهه شاحب كنت اعلم أن ذلك نتيجة تناول كثير من ذلك القرع الأزرق، ولذلك من المؤكد أن أستاذ اللغة الإنجليزية هذا يتناول كثيرًا منه ولذلك اطلقت على هذا الأستاذ " القرع الأزرق "، ولكن بصراحة أنا لم ارى ذلك القرع الأزرق حتى الآن، ولقد سألت " كيو " ذات مرة عنه ولكنها ضحكت ولم تجب، وهذا يعنى غالبًا أنها أيضًا لم تره، وأيضًا كان يوجد أستاذ رياضيات مثلى واسمه " هُطٌ " وهو ذو بنية قوية وشعره كثيف وقصير ومنتصب ووجه مخيف كوجوه الرهبان المتطرفين، وعندما قدمت له خطاب تسلُّم العمل لينظر إليه، فلم يعره اهتمامًا؛ فلم ينظر إليه، بل قال لى "

" أنت الأستاذ الجديد أليس كذلك، قم بزيارتى عندما يكون عندك وقت فراغك "

ثم ضحك، فقلت لنفسى:

" يضحك على ماذا! ومن ذا الذى سوف يذهب لزيارة شخص غير محترم مثل هذا! "

ومنذ ذلك الحين قررت أن أُطلق على الأصلع هذا " عاصفة الجبل "، وأما أستاذ اللغة الصينية فقد كان كما هو متوقع شخصًا رسميًا؛ فلقد قال لى:

" سيادتك وصلت أمس وبالتأكيد أنك مرهق، وبرغم ذلك حضرت، تحمل واتمنى لك التوفيق "

فشعرت من كلمته هذه أنه رجل كبير وعطوف، أما مدرس الرسم فلقد كان بحق ذا مظهر مثل مظهر الفنانين، فكان يرتدى جلبابًا خفيفًا وفوقه جاكت خفيف ويمسك مروحة يد يهوى بها دون توقف، وسألنى:

" من أين أنت، طوكيو"؟!

فقلت:

" نعم من طوكيو ؟ "

فقال:

" هذا من دواعى سرورى، فلن اشعر بالوحدة بعد الآن، فأنا أيضًا من طوكيو "

ولكنى قلت لنفسى:

" إذا كان هو وُلِدَ فى طوكيو، فإنه لا يشرفنى أبدًا أن أُولد فيها "

وإذا ظللت اتناول الحديث عن كل شخص فلن يكون هناك نهاية لحديثى، فهناك الكثير والكثير الذى اقوله ولكنى سوف اكتفى بهذا القدر من الحديث عنهم.

وبعد أن انتهى لقائى بهم قال لى المدير:

" من الممكن أن تذهب الآن ولكن بالنسبة لمادة الرياضيات فقابل رئيس أساتذة الرياضيات لكى تعلم ما يجب فعله وسوف تبدأ التدريس من بعد غد "

وعندما سألت عن رئيس أساتذة الرياضيات فعرفت أنه الأستاذ " عاصفة الجبل "، فشعرت بسوء الحظ وخيبة الأمل والحصرة أن أقوم بالتدريس تحت إشراف ذلك الشخص، وحينذاك سألنى "عاصفة الجبل":

" أين تقيم "

فقلت له "

فندق " يَمَشرِيا"

فقال:

" سوف أذهب إليك هناك لنتحدث عما يجب أن تفعله بالنسبة لمادة الرياضيات "

ثم تركنى وخرج حاملاً صندوق الطباشير إلى الفصل، فقلت لنفسى:

" إنسان عديم الكرامة؛ فكيف لرئيس أن يذهب لمخاطبة مرءوسه، ومع ذلك فأنا معجب به أن يأتى بدلاً من أن يستدعينى".

ثم خرجت من المدرسة وفكرت أن اعود مباشرة إلى الفندق ولكنى لم اجد ما افعله بعد العودة فقررت أن أتنزه فى المدينة؛ فسرت حسبما تأخذنى قدماى، فشاهدت مبنى المحافظة، وكان مبنى قديمًا من قرون مضت، وشاهدت ثكنات الجيش، ولكنها لم تكن أعظم من ثكنات كتيبة منطقة " أَظَبُ " بطوكيو، وشاهدت أيضًا الشارع الرئيس وهو أضيق من الشارع المشهور فى طوكيو وهو شارع " كَجُرَظَكَ " بحوالى النصف، ولكن شوارع تلك المدينة أقل منه وسعًا، والمدينة المقامة على أسوار القلعة وتسمى " مدينة القلعة

" والتى يُقال عنها أنها كبيرة جدًا ليست شيئًا يُذكر، وبينما كنت أقول لنفسى:

" إن من يعيش فى هذه المدينة ويتفاخر بأنها مدينة عظيمة شخص مسكين لا يعلم شيئًا "

فوجئت أننى قد وصلت أمام الفندق الذى أُقيم فيه، قال أهل المدينة إنها مدينة كبيرة ولكنها كانت مدينة صغيرة جدًا؛ فبهذه النزهة القصيرة فقط استطعت مشاهدتها، فتحت باب الفندق وقلت لنفسى:

" سوف أتناول الطعام "

وعندما شاهدتنى مديرة الفندق التى كانت تجلس فى الاستقبال قامت على الفور وجاءت نحوى مسرعة فأحنت رأسها لدرجة السجود وقالت:

" حمدًا على سلامتك "

وعندما خلعت حذائى ودخلت فى الجزء التالى لصالة الاستقبال قالت لى إحدى العاملات:

" هناك حجرة جيدة قد أصبحت خالية "

ثم أخذتنى للطابق الثانى حيث توجد تلك الحجرة، فإذا بها حجرة كبيرة حوالى ٢٧ مترًا مربعًا وتطل على واجهة الفندق وفيها جزء كبير موضوع فيه زهور ولوحات وأشياء أخرى للزينة، ولم أكن قد سبق لى دخول حجرة فخمة مثلها فى حياتى، ولأنى لا اعلم متى ادخل حجرة مثلها مرة أخرى، فخلت ملابسى

الغربية الطراز وارتديت جلبابًا يابانىّ الطراز، واستلقيت فى وسط الحجرة فاتحًا ذراعىّ وقدمىّ، فشعرت بسعادة غامرة.

وبعد أن تناولت طعام الغداء كتبت خطابًا إلى السيدة " كيو"، رغم أننى اكره بشدة كتابة الخطابات، لأن أسلوبى فى الكتابة سيئ وأخطائى الإملائية كثيرة، كما أننى غير معتاد على كتابتها لعدم وجود من أكتب إليه، ولكن أكيد أن السيدة " كيو " قلقة علىّ، ربما تعتقد أننى مت غرقًا وأنا أعبر البحر قادمًا إلى هنا، فاجتهدت وكتبت خطابًا طويلاً، وهو كالتالى:

" وصلت أمس، المكان ممل، اقيم فى حجرة حوالى ٢٧ مترًا مربعًا، اعطيت العاملين بالفندق خمسة ينات كإكرامية، مديرة الفندق انحنت لى إلى أن لامس رأسها الأرض شكرًا، ليلة أمس لم استطع النوم، شاهدتك فى حلم وأنت تأكلين الحلوى التى تصنعها منطقة إتْشِجُ والملفوفة فى البوص، سوف اذهب لزيارتك صيف العام القادم، اليوم ذهبت إلى المدرسة واطلقت على جميع الأساتذة أسماء شهرة، اطلقت على المدير اسم "راكون" والناظر "أبو قميص الأحمر" وأستاذ اللغة الإنجليزية "القرع الأزرق" لكثرة أكله قرع آخر الموسم وأستاذ الرياضيات "عاصفة الجبل" وأستاذ الرسم "صبى العالمة" وسوف أكتب لك فى القريب عن كل شىء، مع السلامة".

وبعد أن فرغت من كتابة الخطاب شعرت بالراحة فاستلقيت كالسابق فى وسط الحجرة ممددًا، فاتح اليدين والرجلين، فنمت

نومًا عميقًا ولم أر لا أحلام ولا شيء آخر، واستيقظت على صوت مرتفع يقول:

" هل هذه هى الحجرة ؟ "

وعندما فتحت عيناى كان الأستاذ "عاصفة الجبل" بداخل الحجرة، ثم قال:

" آسف، لقد ارهقناك فى الصباح "

ثم بدأ فى الحديث عن الحصص التى سوف أقوم بتدريسها دون أن يسألنى هل أفقت من النوم بعد أم لا، مما جعلنى أشعر بربكة كبيرة، ولكنى وافقته على ما قال، حيث أننى شعرت أن المنهج الذى سوف أقوم بتدريسه ليس صعبًا، وبما أنه سهل فكان من الطبيعى أن يطلب منىّ القيام بالتدريس غدًا وليس بعد غد، ولكن بعد أن انتهى من شرح واجبات عملى قال لى:

" إلى متى سوف تقيم فى مثل هذا المكان ؟ أنا أعرف مكانًا جيدًا، انتقل إليه، لا يقبلون بأن يقيم عندهم الغرباء ولكنى سوف أوصى بأن يقبلوك عندهم "

ثم قال الآتى دون مناقشتى:

" استمر هنا اليوم وانتقل إلى ذلك المكان غدًا وابدأ فى الذهاب للعمل فى المدرسة من بعد غد "

فقلت لنفسى:

" إنه على حق، فليس من المنطق أن أقيم فى حجرة كبيرة مثل هذه، فلو أنفقت كل راتبى فى إيجارها فلن يكفى، ولكنى أشعر بالحزن على أن أنتقل بسرعة من الفندق الذى أعطيت عامليه

خمسة ينات، ولكن طالما أننى يجب أن أتركه فمن الأفضل أن أتركه بسرعة".

وعلى ذلك قررت أن أطلب من "عاصفة الجبل" أن يسعى لى فى الانتقال إلى ذلك المكان الآخر، فطلبت منه ذلك، فقال لى

" تعالى معى تتفقده أولاً "

فذهبت معه، منزل فى منطقة منعزلة جدًا؛ فهو فى منتصف هضبة على أطراف المدينة، ومالك المنزل شخص اسمه " إكَجِنْ " ويعمل فى بيع وشراء الأنتيكات وزوجته أكبر منه باربعة أعوام، وعندما كنت فى المدرسة الإعدادية تعلمت كلمة " ساحرة " باللغة الإنجليزية وهذه الكلمة تناسب تمامًا تلك السيدة، وبصرف النظر إذا كانت ساحرة أم لا، فهذا لا يعنينى فى شىء؛ حيث أنها زوجة آخر، وبعد أن تفقدت المنزل قررت الانتقال إليه فى اليوم التالى، وأثناء عودتنا من ذلك المنزل دعانى " عاصفة " إلى تناول مثلجات فى منطقة " طُورِتشو "، وعندما قابلته أول مرة فى المدرسة اعتقدت أنه إنسان متكبر وقليل الأدب، ولكن عندما أفكر فيما قام به من أجلى أرى أنه ليس إنسانا سيئًا كما اعتقدت، بل هو إنسان طائش وسريع الغضب مثلى، وعندما سألت عنه بعد ذلك علمت أنه أكثر الأستاذة حبًا من التلاميذ.

الفصل الثالث

وأخيرًا ذهبت إلى العمل فى المدرسة، وكانت أول مرة أدخل فيها الفصل لأجل التدريس، فصعدت المنصة فشعرت بشعور غريب، وهذا الشعور هو هل شخص مثلى من الممكن أن يصبح أستاذًا، وقد كان التلاميذ يثيرون ضوضاء شديدة، وأحيانًا ينادونى:

" أستاذ "

بصوت عالٍ جدًا، مما يجعلنى أشعر بضيق شديد، فحتى وقت قريب كنت فى مدرسة العلوم وكنت أنادى كل يوم على أستاذ قائلاً:

" أستاذ "

ولكن هناك فرق كبير بأن تقول

" أستاذ "

وأن يُقال لك

" أستاذ "

تحركت قدماىّ تريد أن أرحل، ولكنى لست خائفًا ولا جبـــان، ولكن ليس عندى الجرأة الكافية لعمل شىء مشين، فعندما أســـمع صوتًا مرتفعًا ينادى علىّ

" أستاذ "

أشعر وكأننى أسمع صوت المـــدفع الموجـــود فـــى قصـــر الإمبراطور والذى يشير إلى أن الساعة الثانية عشـــرة ظهـــرًا، وهو وقت شعورى بالجوع، ولقد انتهت الحصة الأولى بخيـــر، دون أن يسألنى تلميذ أسئلة لا أستطيع الإجابة عنها، ثم عدت إلى حجرة الأساتذه، فسألنى "عاصفة الجبل":

" هل كنت بخير"؟

فقلت فى اقتضاب:

" نعم "

فبدى عليه الاطمئنان.

ومن أجل الحصة الثانية حملت صندوق الطباشير وخرجـــت من حجرة الأساتذة متجهًا إلى الفصل وكأنى متجهًا إلـــى أرض الأعداء، وعندما دخلت الفصل، وجدت أن تلاميذ ذلـــك الفصـــل أكبر من تلاميذ الفصل السابق، ولأنى من طوكيو؛ صغير الحجم وضعيف البنية، فعندما وقفت فوق المنصة لم أكن ذا هيبـــة، وإذا كانا فى عراك أو مصارعة يابانية، فسوف أجعلهم يشاهدون من أنا ولكنى ليس عندى فن أن أجعل أربعين تلميذًا كبيرًا يصطفون

أمامى ويرتعبون منّى فقط عن طريق الكلام باللسان، ولكن إذا أظهرت لهؤلاء الفلاحين خنوعًا سوف يعتقدون أننى ضعيف وسوف يستمروا فى سلوكهم السيىء هذا، ولذلك تحدثت إليهم بصوت عال قدر المستطاع وبنبرة حادة، وفى البداية بدى على التلاميذ أنهم أُخِذوا مما فعلت ثم شردوا الفكر، ثم تماديت فى التحدث بنبرة حادة، فإذا بتلميذ قوى البنية يجلس فى منتصف الصف الأول يقف فجأة فقلت لنفسى:

" ها قد حانت لحظة الصدام "

فإذا به يقول " أستاذ "

فقلت " ماذا ؟ "

فقال " لا استطيع أن أفهم بسبب سرعتك فى التحدث، هل من الممكن أن تبطئ ليلاً "

فقلت " أنا لا افهمك جيدًا ولكن إن كنت تريد أن تقول إننى اتحدث بسرعة فسوف اتحدث ببطء ولكنى اتحدث بلهجة طوكيو ولا استطيع التحدث بلهجتكم، وإذا لم تفهم سوف تفهم بعد عندما تتعود على لهجتى "

وبهذه الطريقة فى الكلام استطعت السيطرة على الموقف فى الحصة الثانية، ولكن عندما هممت بالعودة إلى حجرة الأساتذة جاءنى أحد التلاميذ وقال لى:

" ممكن تحل لى هذه المسألة "

فوجدتها مسألة حساب مثلثات صعبة لا استطيع حلها، فقلت له:

" لا استطيع حلها الآن، سوف أحلها المرة القادمة ".

ثم تركته وهممت بالعودة مسرعًا ولكنى سمعت صيحات التلاميذ وهم يقولون:

" لا يعلم، لا يعلم "

فقلت لنفسى:

" أغبياء، طبيعى لا أعلم، ما الغريب أن أقول إننى لا اعلم إذا كنت لا اعلم، فإذا كنت اعلم فلماذ احضر إلى منطقة نائية مثل هذه وبراتب أربعين ينًا "

ثم عدت إلى حجرة المدرسين، وإذا بالـ "عاصفة الجبل" كان هناك وسألنى أيضًا:

" هل كان الحال على ما يرام "

فقلت له:

" نعم "

ولكن احسست أننى لن اشعر براحة بتلك الإجابة المختصرة فقط، فقلت:

" تلاميذ هذه المدرسة أغبياء ".

فنظر لى نظرة غريبة.

وكانت الحصة الثالثة والرابعة والحصة التى تلت الفسحة على نفس المنوال، فلقد أخطأت بعض الأخطاء القليلة فى حصص اليوم الأول، فقلت لنفسى:

" إن التدريس ليس مهنة سهلة كما يعتقد من لم يمارسها "

انتهيت من جميع الحصص ومع ذلك لا استطيع العودة إلى المنزل، كان يجب علىّ أن انتظر وحيدًا حتى الساعة الثالثة، فكان على تلاميذ الفصول التى قمت بالتدريس لها تنظيف فصولهم ثم الحضور عندى فى الساعة الثالثة، فأقوم بتفقد ما قاموا به من أعمال النظافة، ثم بعد ذلك أقوم بمراجعة دفتر الغياب، وأخيرًا أكون قد انتهيت واصبحت حرًا، ولكن هل هناك قانون يقول إنك أعطيتهم نفسك مقابل راتب وأنه بناءًا على ذلك يجب عليك أن تظل فى وقت فراغك جالس فى المدرسة على مكتبك لا تفعل شيئًا، ولكن طالما أن بقية الأساتذة يفعلون ذلك فمن اللائق على أستاذ جديد مثلى ألا يقول أشياء مثل تلك وبالتالى قررت التحمل فى صمت، وفى طريق العودة إلى المنزل قلت إلى "عاصفة الجبل":

" إنه لمن الغباء أن يجعلونا نظل فى المدرسة لما بعد الساعة الثالثة رغم عدم وجود ضرورة لذلك "

فضحك ضحكته المعهودة وقال:

" نعم أنت على حق ".

ثم بعد ذلك قال بطريقة جادة:

" لا يجب عليك أن تنتقد المدرسة ".

ثم نصحنى قائلاً:

" لو أردت أن تنقد المدرسة، قل لى فقط؛ فهناك أساتذة فى المدرسة سوف يسببون لك المتاعب لو نقدت المدرسة أمامهم "

وكنا قد وصلنا إلى مفترق طرق، فلم يكن عندى وقت لسؤاله تفصيليًا عن ذلك.

وبعد أن رجعت إلى المنزل جاء لى صاحب المنزل وقال:

" شاى "

فتوقعت أن يدعونى إلى تناول الشاى ولكنه أخذ الشاى الخاص بى والموجود فى الإبريق وسكب لنفسه كوبا منه دونما حرج، فقلت لنفسى:

" ربما سوف يدعو نفسه إلى شرب الشاى الخاص بى فى شقتى عندما أكون فى الخارج "

ثم بعد ذلك قال لى:

" لقد كنت أحب الأنتيكات وبعد انقضاء مدة طويلة بدأت العمل فى بيعها ولكن فى البداية كنت أبيع منها القليل وبطريقة غير رسمية "

ثم قال لى كلامًا غير معقول:

" لقد لاحظت أن عندك ميولاً فنية، فما رأيك أن تشترى بعض الأنتيكات منىّ، سوف تستمتع بها "

وهذا كلام لا استطيع تصديقة، فمنذ عامين ذهبت إلى " قصر الإمبراطور " لعمل خدمة لشخص آخر، فإذا بالناس هناك عندما رأونى اعتقدوا أننى اعمل فى إصلاح الأقفال، وعندما ذهبت إلى مدينة " كَمَكُرَ " لمشاهدة التمثال الكبير لـ " بوذا " كنت اضع فوق رأسى بطانية فنادانى سائق عربة يد:

" يا رئيس "

وإلى يومنا هذا يحدث كثيرًا جدًا عندما يرانى الناس يحكمون علىّ من شكلى أحكام خاطئة، ولكن حتى الآن لم يحدث لى أن قال أحد عنى إننى عندى تذوق فنى، إن هذه الأشياء تُفهم من المظهر والسلوكيات، وحتى عندما نرى صورة أحد من عندهم ميول فنية، نجده يرتدى غطاء رأس أو يحمل كراسة ذات غلاف مزخرف بألوان ذاهية لكتابة الشعر، أما من يقول جادًا إننى عندى ميول فنية فأكيد أنه إنسان غريب الأطوار، ثم قلت له:

" أنا أكره الناس الذين عندهم تذوق فنى فينعزلون عن الحياة ويعيشون لمزاجهم الشخصى "

فضحك ثم قال لى:

" لا يولد أحد محبًا للأشياء الفنية مثل الأنتيكات ولكن عندما تحبها لن تستطيع تركها "

ثم دون دعوة منىّ سكب بعض من الشاى لنفسه فى كوب وأمسكه بطريقة غير معتادة وشربه، وفى الحقيقة كنت قد طلبت فى اليوم السابق أن يشتر لى شاى ولكنه اشترى شايًا ثقيلاً ومرًا، إذا تناولت منه كوبًا واحدًا، أشعر بألم فى معدتى، فقلت له:

" من الآن فصاعدًا اشتر شايًا ليس مرًا "

فرد قائلاً:

" سمعًا وطاعة "

ثم سكب باقى الشاى الموجود فى الإبريق فى الكوب وشربه، فقلت لنفسى:

"شخص ليس عنده حياء، يشرب شاى الآخـرين دون دعـوة منهم"

ثم بعد ذلك تركنى وذهب، فقمت بالتحضـير وذلـك بقـراءة الدروس التى سوف أقوم بتدريسها اليوم التالى ثم بعد ذلك نمـت فورًا.

وبعد ذلك كنت أذهب إلى المدرسة كل يوم واعمل كما تنص على ذلك القوانين، وعندما أعود إلى البيت يخرج لـى صـاحب المنزل كل يوم ويقول:

" شاي "

وفى أسبوع واحد استطعت أن أتأقلم مع نظام المدرسة وافهم بشكل عام شخصية صاحب المنزل وزوجته، ولقد سمعت مـن بقية الأساتذة أنهم بعد أن تسلموا العمل ما بين أسبوع إلى شـهر كانوا قلقين بشأن هل اكتسبوا سمعة جيدة أم لا، ولكنى لم أكـن أفكر فى ذلك مطلقًا، وفى بعض الأحيان كنت ارتكب أخطـاء، فعندما ارتكب خطأ كنت اشعر بالضيق ولكن بعد انقضاء نصف ساعة أنسى ذلك تمامًا، فأنا لا أستطيع أن اقلق طـويلاً مـن أى شيء حتى إذا حاولت فعل ذلك، ولم أكن اهتم أبدًا بتأثير أخطائى على التلاميذ ولا برد فعل المدير أو الناظر، وكما ذكرت سـابقًا أننى لست من النوع المتأنى فى تصرفاته، ولكن عنـدما اتخـذ قرارًا، اتخذه بحزم، ومن البداية كنت أضع فى اعتبارى أنـه إذا لم أُوفق فى هذه المدرسة فإننى سوف اذهب إلـى مكـان آخـر ولذلك لم أكن أخشى "عاصفة الجبل" ولا "أبو قميص أحمـر" ولا

أى شخص آخر مطلقًا، ولا كان عندى أى رغبة فى أن أجامل تلاميذ المدرسة.

وإن كنت أتغاضى عن بعض الأمور التى فى المدرسة فلا يمكن التغاضى عن بعض الأمور فى المنزل، فيمكن أن أتحمل حضور مالك لشقتى لتناول الشاى ولكن ليس أن يحضر بضائعه معه، ففى البداية جاء حاملاً عشر أدوات لصنع أختام الرسم ووضعهم فى صف أمامى ثم قال:

" سوف أبيعك جميعهم بسعر رخيص، ثلاثة بنات فقط، هيا اشترهم "

فقلت له:

" أنا لست رسامًا سيئًا من الذين يدورون فى القرى يبيعون لوحاتهم، ولذلك لست فى حاجة إليهم "

فأتى المرة التالية بلوحة تحتوى على مناظر طبيعية لفنان اسمه " كَزَنْ " وقال لى:

" ما رأيك أن تضعها فى ركن الزينة، ألن تجعل المكان جميل المنظر "

فقلت له دون تحمس:

" هل فعلًا سوف يصبح منظر المكان جميل "

فإذا به يقول هناك رسامين يدعيان " كَزَنْ "، ولكن اسم عائلة كلاهما مختلف، فأحدهما اسم عائلة ـــ ـــ والآخر اسم عائلة ـــ ـــ، وهذه اللوحة رسمها " كَزَنْ ـــ ـــ ـــ "، وبعد أن انتهى من شرحه العقيم، قال لى:

" ما رأيك فى أن تشتريها، سوف أبيعها إياك بخمسة وعشرين فقط "

ثم أخذ يحضنى على أن اشتريها، فقلت له:

" لا املك نقودًا "

ورغم ذلك لم يتراجع، بل فقال:

" النقود ليست مهمة الآن، ادفعها فى أى وقت تشاء "

فقلت له:

" حتى لو كان معى نقود لما اشتريتها "

وأخيرًا بذلك نجحت فى التخلص منه، ولكن فى المرة التالية جاء حاملاً محبرة كبيرة فى حجم الحجر الذى يوضع فوق السطح الهرمى للزينة فى المنزل اليابانى، وهى حجر مجوف من الوسط لوضع الحبر ثم وضع الريشة فى الحبر للكتابة بها بعد ذلك، ثم قال لى "

" هذه محبرة صينية "

فقلت له متهكمًا:

" ما المحبرة الصينية "

فبدأ محاضراته المعتادة وقال:

" المحبرات الصينيات ثلاثة أنواع؛ نوع مصنوع من طبقة أحجار ممتازة ونوع من طبقة أحجار متوسطة ونوع من طبقة أحجار رديئة، وما يُباع الآن فى السوق هو من نوع طبقة الأحجار الممتازة، ولكن هذا النوع مصنوع من الأحجار المتوسطة، انظر إلى أماكن وضع الحبرة فى المحبرة، يوجد

ثلاثة أماكن وهذا شيء نادر الحدوث، حيث أن العادى وجود مكان واحد فقط، ولذلك فإن الحبر يخرج من الفرشاة فى سلاسة، لا يوجد أفضل منها سلاسة على الاطلاق، جرب بنفسك وأنت تعرف "

ثم وضع أمامى المحبرة الكبيرة، فقلت له:

" وكم ثمنها؟ "

فقال: " إن الشخص الذى احضرها من الصين جاد فى بيعها، ولذلك خفضت ثمنها إلى ثلاثين ينًا فقط "

فقلت لنفسى:

" أكيد إن هذا الرجل أحمق ".

ثم شعرت أننى استطيع أن اتحمل الاستمرار فى المدرسة، ولكن لا استطيع أن اتحمل طويلاً الاستمرار فى العذاب بملاقاة بائع الأنتيكات هذا.

وبعد قليل أيضًا أصبحت اكره المدرسة؛ ففى مساء يوم، ذهبت لكى اتنزه فى مكان اسمه " أُومَتْشِ "، فوجدت بجانب مكتب البريد مطعم مكرونة إسباجتى، وكان هناك لافتة مكتوب فيها اسم المطعم وتحته مكتوب " طوكيو " أى " مكرونة طوكيو "، وقد كنت احب المكرونة الإسباجتى جدًا، فعندما كنت أقيم فى طوكيو واسير فى الطريق أمام مطعم مكرونة واشم رائحة البهارات التى يضعونها على المكرونة، كنت لا أستطيع مقاومتها، فادخل المطعم وأتناولها، وإلى اليوم كنت قد نسيت المكرونة بسبب الرياضيات والأنتيكات، ولكن بما أننى رأيت

اللافتة المكتوب فيها مطعم مكرونة، فلا يمكن أن أمر عليه دون دخول، فقلت لنفسى:

" بما أننى هنا أمام المطعم، بالمرة أتناول طبق مكرونة "

فدخلت، وكنت اتوقع أن يكون على مستوى طوكيو، طالما أن المكتوب فى اللافتة " مكرونة إسباجتى طوكيو " ولكنى اكتشفت أنه لا يرقى إلى مستوى طوكيو، ربما لأن صاحب المطعم لا يعرف طوكيو، أو لأنه لا يملك المال الذى يجعل به مطعمه مثل مطاعم إسباجتى طوكيو، فهو مطعم قذر جدًا؛ حيث إن الحُصُر المفروش به أرضية المطعم لونه تغير بسبب طول فترة الاستخدام، وفوق ذلك كان خشن الملمس بسبب ما فيه من رمال كثيرة، والحوائط شديدة السواد بسبب الهباب، والسقف كان مهببًا بسبب الدخان الذى يصعد من لمبة الجاز، وفوق ذلك السقف كان منخفضًا لدرجة أنك يجب أن تحنى رأسك، والشىء الوحيد الجديد هو قائمة الطعام المعلقة على الحائط والتى تحتوى على اسماء المأكولات وأسعارها، فقلت لنفسى:

" أكيد أن صاحب هذا المطعم اشترى أشياء قديمة وفتح بها هذا المطعم منذ عدة أيام "

وأول طعام فى قائمة الطعام كانت مكرونة بالخضراوات المقلية، فصحت بصوت عال:

" أحضر مكرونة بالخضراوات المقلية ".

وكان هناك ثلاثة أشخاص يجلسون فى ركن يأكلون وأصوات الأكل عالية، فإذا بهم يتجهون بأنظارهم لى مجتمعين، ولم

أستطع التحقق منهم لأن المكان كان مظلمًا ولكن عندما دققت النظر فى وجه كل منهم، فإذا بهم تلاميذ من مدرستى، فالقوا علىّ التحية فرددت التحية، وفى تلك الليلة تناولت أربعة أطباق من المكرونة؛ حيث أننى كنت مشتاقًا إليها لأننى لم أتناولها من مدة طويلة، بجانب أنها كانت لذيذة.

وفى اليوم التالى دخلت الفصل كالمعتاد ففوجئت بأن السبورة مكتوب عليها بخط كبير يملؤها كلها " الأستاذ مكرونة بالخضار "، وعندما رآنى التلاميذ ضحكوا جميعًا بصوت عال، فشعرت أن ما يفعلونه نوع من السخافة فسألتهم:

" هل غريب أن أتناول مكرونة إسباجتى بالخضراوات ؟ "

فقال أحد التلاميذ:

" الغريب هو تناول أربعة أطباق ".

فقلت لهم:

" أنا حر أن أتناول أربعة أطباق أو خمسة، أنا آكل بمالى، فهل فيكم من يعترض على ذلك "

ثم انتقلت إلى موضوع الحصة، وبعد الانتهاء من الحصة عدت بسرعة إلى حجرة الأساتذة، وبعد انقضاء عشر دقائق ذهبت فدخلت فصلاً آخر من أجل حصة أخرى، ففوجئت بأنه مكتوب على السبورة " أربعة أطباق مكرونة إسباجتى بالخضراوات، ولكن ممنوع الضحك "، فى الحصة السابقة لم أشعر بالغضب ولكن هذه المرة شعرت بالغضب الشديد، فالضحك إذا زاد عن الحد أصبح إهانة، وكما أن تكرار الكلام

فى نفس الموضوع شىء يؤدى إلى الضيق، ولكن الفلاحين لا يفهمون ذلك وبالتالى ليس عندهم سعة أفق ليعلموا المدى الذى يجب التوقف عنده عن الكلام فى نفس الموضوع، وفى مدينة صغيرة مثل هذه، تستطيع أن تشاهدها بالسير لمدة ساعة، ولا يوجد فيها أى نوع من التسلية تلهى الناس، انتشرت بين الناس " حادثة المكرونة الإسباجتى بالخضراوات " مثل انتشار " حادثة الحرب اليابانية الروسية "، ناس مساكين، يتربون على تلك الطريقة من الحياة إلى أن يكبروا، كالشجيرات التى توضع فى قصيص زرع فلا تستطيع أن تنمو أكثر من ذلك بل تتقزم، فإذا كان ضحك بريئًا فسوف أضحك معهم، ولكن تصرفهم هذا يدل على أنهم يتعمدون إهانة الآخرين، فصمت ومسحت ما كتبوا على السبورة، ثم قلت لهم:

" هل تعتقدون أن ما فعلتموه شىء يدعو إلى الضحك ؟، إنه ضحك حمقى، ثم سألتهم:

" هل تعرفون ما معنى كلمة حماقة "؟

فقال أحدهم " تعنى أن تشعر بالغضب بسبب ضحك البعض على تصرفات قمت بها "

فقلت لنفسى:

" تلميذ ليس عنده حياء، شىء يدعو إلى الحسرة والندم أننى جئت من طوكيو خصيصًا لتعليم مثلك "

ثم قلت لهم:

" بدلاً من محاولات تبرير تصرفاتكم فى ارتكاب الحماقات، اجتهدوا فى تحصيل العلم "

ثم بدأت الكلام فى الدرس، وبعد ذلك دخلت الفصل التالى ففوجئت بأن السبورة مكتوب عليها " تناول المكرونة الإسباجتى بالخضراوات تجعل الشخص يحاول تبرير تصرفه ".

واضح أن هذا الموضوع ليس له نهاية، فاشتطت غضبًا وقلت لهم:

" لن اقوم بتدريس تلاميذ وقحين مثلكم ".

ثم غادرت الفصل بسرعة وعدت إلى المنزل، ولقد سمعت أن الطلاب فرحوا بتصرفى هذا؛ حيث أن وقت تدريسى لهم أصبح وقت فراغ لهم، وبمثل تلك التصرفات السخيفة لهؤلاء التلاميذ أصبحت مضايقات صاحب المنزل لى بالأنتيكات أهون من المضايقات التى تحدث لى فى المدرسة.

وعندما عدت إلى المنزل نمت ولكن عندما استيقظت نسيت موضوع المكرونة الإسباجتى بالخضار، فذهبت إلى المدرسة، فوجدت التلاميذ حاضرين كالعادة، فلم افهم لماذا فعلوا ذلك ولماذا يحضرون، ومع ذلك فقد قمت بالتدريس ثلاثة أيام دون مشكلات، وفى اليوم الرابع ذهبت إلى مطعم اسمه " سُمِطَ " وتناولت هناك لقمة القاضى وذلك المطعم يقع فى مدينة بها عيون ماء طبيعية ساخنة وتبعد عن منزلى حوالى عشر دقائق بالقطار الصغير أو نصف ساعة مشيًا، فهى مدينة يوجد فيها مطاعم وعيون طبيعية ساخنة وحدائق عامة وفوق ذلك منطقة

بيوت فتيات ليل، وقد كان مطعم لقمة القاضى الذى دخلته فى مدخل منطقة بيوت فتيات ليل، وقد كان مطعم معروف بأن طعامه لذيذ ولذلك ذهبت فدخلت عين ساخنة، وفى طريق عودتى ذهبت إلى ذلك المطعم، ولم أقابل هناك تلاميذ المدرسة فاعتقدت أن أحدًا لا يعلم شيء عن ذهابى إلى تلك المدينة، ولكنى فى اليوم التالى عندما ذهبت إلى المدرسة ودخلت الحصة الأولى، فوجئت بأن السبورة مكتوب عليها:

" طبقان من لقمة القاضى بسبعة ينات "

وفى الحقيقة أننى تناولت طبقين من لقمة القاضى بسبعة ينات، فشعرت أن هؤلاء التلاميذ متعبين، وتوقعت أن يكون هناك تعليق فى الحصة الثانية، فوجدت السبورة مكتوب عليها:

"لقمة القاضى المُوجودة فى منطقة بيوت فتيات الليل لذيذة، لذيذة".

فشعرت أن هؤلاء التلاميذ مقززون إلى أبعد حد، وانتهى بذلك الحديث عن موضوع " لقمة القاضى " هذا، ولكن ظهر بعده موضع " المنشفة الحمراء "، فقلت لنفسى:

" ما موضوع المنشفة الحمراء هذة "

ولكنى وجدته موضوعًا تافهًا من أصله، فبعد أن حضرت إلى هذه المدينة قررت أن أذهب كل يوم إلى عين ساخنة وتلك العين الساخنة اسمها " سُمِطَ "؛ فكل ما وجدته هنا لا شيء مقارنة بطوكيو، إلا العين الساخنة هذه كانت شيئًا رائعًا، فقلت لنفسى طالما أننى فى هذه المدينة فإن الذهاب كل يوم إليها فرصة، وفى

نفس الوقت رياضة ولذلك كنت اذهب إليها كل يوم قبل تناول العشاء، وكنت احمل فى يدى منشفة كبيرة أوروبية الصنع، تغير لونها بفعل المياة العين الساخنة، فأصبح لونها أحمر مخطط، وهذا اللون الأحمر يميل إلى لون أحمر الشفايف، وفى ذهابى وإيابى سواء كنت أذهب بالقطار أو أمشى كنت دائمًا احمل هذه المنشفة، ولذلك اطلق علىّ التلاميذ " أبو منشفة حمراء "، فيبدو لى أن الحياة فى بلدة صغيرة مزعجة، فتلك الموضوعات المزعجة لم تنتهِ عند هذا الحد بل هناك المزيد، فالعين الساخنة مبنى جديد مكون من ثلاثة طوابق، وبثمانية بنات تحصل على خدمة مميزة؛ حيث تسطيع استعارة جلباب ويأتى لك من يقوم بتنظيف ظهرك، بجانب ذلك تحضر لك فتاة شاى فى كوب صينى فاخر، وكنت دائمًا اطلب خدمة مميزة، وإذا بالتلاميذ يقولون:

" إن دخول العين الساخنة كل يوم والحصول على خدمة مميزة لمن يحصل على راتب شهرى أربعون ينًا يكون إسرافًا "

وهذا تدخل فى شئونى لم أطلبه، وأيضًا لم ينتهِ الإزعاج عند هذا الحد بل هناك المزيد؛ حيث أن العين الساخنة كانت مساحتها نحو أربعين مترًا مربعًا ومصنوعة من الحجر الجرانيت، وفى الغالب يستخدمها حوالى أربعة عشر شخص ولكن فى بعض الأحيان لا يوجد أحد على الإطلاق، بجانب أن ارتفاع الماء يصل إلى الصدر، مما يجعل التريض بالعوم داخل المياه الدافئة

الموجودة فيها متعة لا يتخيلها أحد، فكنت اتحين فرصة عدم وجود أشخاص، فاعوم ذهابًا وإيابًا فى تلك العين التى تبلغ مساحتها أربعون مترًا، فأشعر بالسعادة، ولكن فى أحد الأيام نزلت بهمة من الطابق الثالث إلى العين الساخنة ونظرت على باب العين لكى ارى إذا كان هناك أشخاص أم لا، فإذا لم يوجد أحد سوف اعوم ولكنى فوجئت بإعلان مكتوب بخط أسود كبير.

" ممنوع العوم فى العين الساخنة "

فقلت لنفسى " لا يوجد أحد يعوم فى العين الساخنة، إذاً هذا الإعلان مكتوب خصيصًا لى "، ومنذ ذلك اليوم توقفت عن العوم داخل الحمام، ولكن عندما ذهبت إلى المدرسة وجدت كالعادة شيء مكتوب بخط كبير لى، والمفاجئة أن المكتوب كان ":

" ممنوع العوم داخل العين الساخنة "

فشعرت أن جميع التلاميذ يتجسسون علىّ، مما جعلنى اشعر بالحزن الشديد، وقلت لنفسى فى حسرة " لماذا جئت إلى هذه البلدة الصغيرة التى لا تُطاق "، وبعد ذلك عدت إلى شقتى حيث جاءنى صاحب المنزل بأنتيكاته كالمعتاد.

الفصل الرابع

هناك نظام للإشراف الليلى على المدرسة، ويقوم كل أستاذ بالإقامة ليلة فى المدرسة للإشراف وذلك بالتناوب، ولكن "المدير (الكلب الراكون)" و"أبو قميص أحمر" استثناء من ذلك، ولقد سألت:

" لماذا هذان الأستاذان لا يقومان بالإشراف الليلى مثل بقية الأساتذة؟! "

وكانت الإجابة:

" لأنهما موظفان كبيران فى الدولة حيث أن الدرجة الوظيفية الممنحوة لهما من الإمبراطور".

فقلت لنفسى " هذا هراء، يحصلان على راتب مرتفع ويعملان ساعات قليلة ولا يقومان بالإشراف الليلى، أليس هذا عدم مساواة، قاما بوضع قواعد على هواهما ويتصرفان على أن هذا

أمر طبيعى، يالها من وقاحة، فإن ما يقومان به ليس عدلاً على الإطلاق"

ولكن "عاصفة الجبل " قال لىُ:

" إذا قام شخص بالشكوى، وحتى إذا اشتكى أكثر من مرة، فلن يستجيب له أحد "

فقلت لنفسى " المشكلة ليست فى أن من يشكو شخص واحد أو أكثر أو عدد الشكاوى، ولكن فى أنه من المفترض الاستجابة للشكوى طالما أنها صحيحة ".

فإذا بالـ "عاصفة الجبل" يقول لى باللغة الإنجليزية فى لهجة تحذير:

" might is right "

فلم افهم، فسألته ماذا يقصد بذلك، فقال:

" يعنى القوى يحصل على استثناء "

فقلت لنفسى " شىء مفهوم وأنا اعلم ذلك منذ زمن بعيد، فلست فى حاجة إلى أن يقول لى "عاصفة الجبل" ذلك، ولكن حصول القوى على إستثناء موضوع، والإشراف الليلى موضوع آخر ليس لهما علاقة ببعضهما البعض، بجانب من الذى يحدد أن المدير (الكلب الراكون) وأبو قميص أحمر قويان "

وبصرف النظر عن هذه الخلافات فى وجهات النظر، فإن دورى فى الإشراف الليلى قد جاء، ولأنى حساس بطبيعتى فلا استطيع النوم إلا فى منزلى وفى فراشى الخاص، ولذلك لم يسبق لى أن نمت فى منزل أحد أصدقائى منذ طفولتى، وإذا كنت لا

استطيع النوم فى منزل صديق، فمن الطبيعى ألا استطيع النـوم فى المدرسة، ولكن لأن هذا العمل جزء من عملى الذى اتقاضى عليه أربعين ينًا، فلا مفر من القيام به.

وبعد أن عاد التلاميذ والأساتذة إلى منازلهم، بقيت وحدى فى المدرسة شارد الذهن لا اجد ما افعله، وحجرة الإشـراف تقـع أقصى الغرب من بيت الطلاب الذى يقع خلف الفصول، فـذهبت ودخلتها، وإذا بها حجرة تضربها أشعة الشمس بقوة فى فترة بعد الظهر مما يجعلها حارة جدًا، فلم استطع البقاء فيها، وكمثل كـل شىء فى الريف بطىء ويستغرق وقتًا طويلاً، فإن الجو الحـار يستمر حتى فى موسم الخريف، فطلبت العشـاء إلـى التلاميـذ وحصلت على وجبة مثل وجباتهم وتناولتها ولكنها سيئة المـزاق لدرجة لا تُعقل، فتعجبت كيف يستطيعون تناول مثل هذا الطعـام السيء ومع ذلك عندهم طاقة كبيرة للنشط والحركة، والأكثر من ذلك أنهم انتهوا من طعامهم للعشاء بسرعة فى وقت قياسى، فى الساعة الرابعة والنصف، فلا شك أنهـم غيرعـاديين، تناولـت العشاء ولكن الوقت ما زال مبكرًا على الذهاب إلـى الفـراش؛ حيث إن الشمس لم تغب بعد، فشعرت برغبة فى الـذهاب إلـى العين الساخنة، وبرغم أننى مشرف ليلـى لكـن لا اعلـم هـل الخروج خارج المدرسة مسموح به أم لا ولكنى لا استطيع تحمل الشعور بالتواجد هنا لا افعل شىء كالمحبوس، وعند الحضـور إلى هذه المدرسة أول مرة، سألت الحارس عن المشرف فقال لى أنه ذهب إلى خارج المدرسة لقضاء أمر، فتعجبـت مـن تلـك

الإجابة، ولكن عندما جاء دورى للإشراف الليلى، ادركت مغزى تلك الإجابة، فالذهاب خارج المدرسة أمر صائب، فقلت للحارس:

" سوف أذهب خارج المدرسة لبعض الوقت "

فإذا به يسألنى:

" هل هناك أمر سوف تقضيه "

فقلت له:

" سوف أذهب لدخول العين الساخنة "

ثم خرجت مسرعًا، أما بالنسبة للمنشفة الحمراء فقد نسيتها اليوم فى المنزل ولكنى سوف استعير واحدة من فندق العين الساخنة، وبعد ذلك قضيت وقتًا طويلاً فى العين الساخنة، أدخل أحيانًا واخرج أحيانًا، إلى أن حل الظلام، فركبت القطار عائدًا ونزلت فى محطة " كُمَتش "، والمسافة من تلك المحطة إلى المدرسة أربعمائة متر، فسرت فى إتجاه المدرسة فإذا بـ " المدير (الكلب الراكون) " يأتى من الناحية الأخرى للطريق، ويبدو عليه أنه سوف يذهب إلى منطقة العيون الساخنة، وقد كان يسير مسرعًا ولكننا رأينا بعضنا البعض، فألقيت علية التحية، فإذا به يقول لى بطريقة جادة:

" أليس من المفترض أن تقوم بالإشراف الليلى اليوم ؟ "

ولكنى تعجبت أن يسألنى ذلك لأنه منذ ساعتين قال لى:

" اليوم هو أول يوم تقوم به بالإشراف الليلى، وأنا اشكرك على ذلك"

فالمدير دائمًا يستخدم أسلوب كلامًا ملتويًا يجعلنى أشعر بالضيق، ولأنى شعرت بالغضب من ذلك الأسلوب فى الكلام فقلت له:

" نعم عندى إشراف هذه الليلة ولذلك سوف أعود الليلة إلى المدرسة وأقيم فيها "

ثم تركته وذهبت، وعندما وصلت إلى تقاطع مدينة " ططيه متشِ " قابلت بالمصادفة هذه المرة " عاصفة الجبل "، فقلت لنفسى:

" فعلاً هذه البلدة صغيرة، فحتى إذا خرجت اسير فى الشارع، فدائمًا أقابل أحد المعارف "

وسألنى " عاصفة الجبل ":

" أنت، أليست مشرفًا ليليًا اليوم ؟ "

فقلت:

" نعم، هو كذلك "

فقال:

" أليس سيئًا أن تخرج وتترك الإشراف ؟ "

فقلت له متفاخرًا:

" بلى، السيئ هو ألا أخرج "

فقال لى ما لا أكن أتوقعه منه:

" أنك تضعنا فى مشكلة بسبب إهمالك هذا، فإذا قابلك المدير أو الناظر، فسوف تكون هناك مشكلة "

فقلت " لقد قابلت المدير منذ لحظات، ومدحنى أننى أقوم بنزهة فى الخارج وقال لى إذا لم تقم بنزهة فى الخارج وقت أن يكون الجو حارًا، فإن الإشراف الليلى سوف يكون متعب جدًا "

وبعد ذلك غابت الشمس على الفور، واستدعيت الحارس إلى حجرة الإشراف وتحدثت معه لمدة ساعتين ولكنى شعرت بالملل من الحديث معه، فقررت الذهاب والاستلقاء فى الفراش رغم عدم شعورى برغبة فى النوم، فارتديت لباس النوم ونصبت الناموسية وفردت البطانية، والقيت نفسى بقوة على الفراش، ظهرى إلى أسفل ووجهى إلى أعلى، وقد كانت عادتى منذ طفولتى أن افعل ذلك عندما ادخل الفراش، وعندما كنت أقيم فى بيت طلاب " أُجَوَ مَطْشِ"، كنت أقيم فى الطابق الثانى وكنت أفعل ذلك أيضًا، فجاءنى طالب من كلية الحقوق كان يسكن فى الحجرة التى تحت حجرتى وتذمر من عادتى السيئة هذه وأنها تسبب له إزعاجًا، ورغم أنه طالب ضعيف البنية لكن لسانه سليط، فقلت له ناهرًا إياه على نقده اللاذع لى:

" إن الضوضاء ليست بسبب أننى أُلقى نفسى بقوة على الفراش ولكن بسبب أن المبنى خشبى وسيئ الإنشاء، فإذا كنت تريد أن تتشاجر فتشاجر مع المسئولين عن المبنى وليس معى "

ولكن حجرة المشرف التى أنا فيها الآن ليست فى الطابق الثانى ولذلك مهما أُلقى نفسى بقوة على الفراش فلن يكون هناك من يشكو، وإذا لم أُلقى نفسى بقوة على الفراش فلا استطيع النوم، وبعد فعل ذلك شعرت بالراحة ومددت ساقاىّ، فشعرت أن

شيء ما يقف عليهما، فتحسستها بقدماى فكانت أشياء خشنة وهذا يعنى أنها ليست براغيث، فتعجبت من ذلك وضربت بقدمى عدة مرات لأبعد تلك الاشياء عنى، فإذا بتلك الاشياء تزيد، حوالى خمسة منهم على الساق، وإثنين على الركبة وواحدة فقعتها تحت مؤخرتى، وواحدة صعدت إلى خسرتى، فتعجبت بشدة مما يحدث، فخرجت من تحت البطانية ثم نذعتها مرة واحدة، فإذا بحوالى خمسين واحدة من الجراد يقفزون إلى خارج البطانية، ولو كانت أشياء لا اعرفها لشعرت بالغثيان ولكنى اعرف أن تلك الأشياء جراد فشعرت بالغضب الشديد، فقلت لنفسى " تستخدمون الجراد لمضايقتى !، سوف ترون ما سوف أفعل فيكم"

ثم أخذت الوسادة وضربتها عدة مرات ولكنها وسادة صغيرة فلم تتأثر بضربى، فشعرت بأنه ليس هناك فائدة من ضرب الوسادة فجلست على الفراش، ثم أخذت الوسادة وأخذت أضرب بها على الحصير مثلما تفعل السيدات عند استخدام المكنسة فى نظافة الحصير، فانزعج الجراد وقفز فجاء على كتفىّ ورأسى ومقدمة أنفى، ولا استطيع ضرب من وقف على وجهى، فأمسكته بيدى ثم القيته بكل قوة بعيدًا، ولكن ما جعلنى أشعر بغضب أكثر أنه كان يصطدم بالناموسية، ومع ذلك يسير عليها فى هدوء وكأن شيئًا لم يحدث، فبرغم أننى ضربت الجراد ولكن ما زال متمسك بالناموسية، ولا يريد الموت، وأخيرًا وبعد مرور حوالى نصف ساعة من القتال استطعت القضاء عليه، ثم احضرت المكنسة وكنست الجراد، ثم جاء الحارس وقال لى:

" ماذا حدث "

فقلت له:

" ماذا حدث ؟ ألا تعرف ماذا حدث ؟ هل هناك شخص فى الدنيا يربى جرادًا فى حجرة النوم ؟، إنسان غريب "

فرد مدافعًا عن نفسه " لا اعلم عن ذلك شيئًا "

فقلت " هل تعتقد أن الموضوع انتهى بقولك لم أكن أعلم "

ثم أخرجت الجراد إلى الشرفة، فحمله الحارس وهو خائف وذهب.

وفى الحال، استدعيت ثلاثة من الممثلين للتلاميذ، فإذا بستة منهم يأتون، فقلت لنفسى:

" ستة أو عشرة، شىء لا يخيفنى "

ثم رفعت كم الجلباب إلى أعلى وشمرت عن ساعدىّ وبدأت معهم الكلام:

" لماذا وضعتم جرادًا فى داخل فراشى "

فقال تلميذ منهم فى برود " وضعنا ماذا فى فراشك ؟ نحن لا نفهم ماذا تقول، فنحن لا نفهم لهجة طوكيو "

فقلت لنفسى " ليس المدير الوحيد الذى يتحدث بطريقة باردة ولكن التلاميذ أيضًا كذلك "

ثم قلت لهم " ألا تعرفون ما هو الجراد ؟ "

وللأسف كنت قد نظفت المكان تمامًا من الجراد، فاستدعيت الحارس وقلت له أن يحضر الجراد فقال " لقد تخلصت منه جميعًا، هل تريد أن أحضرة مرة أخرى "

فقلت له " نعم، افعل "

فذهب مسرعًا لإحضاره، ورجع حاملاً أربع عشرة جرادة فوق ورقة ثم قال:

" للأسف لم أستطع العثور إلا على هذا فقط، حيث أن المكان مظلم ولم استطع الرؤية جيدًا، ولكنى سوف أعثر على أكثر من ذلك غدًا فى ضوء النهار "

فقلت لنفسى " حتى الحارس غبى! "

فأشرت إلى جرادة كبيرة الحجم وقلت لهم " هذا هو الجراد، ألا تشعرون بالخجل أن أجسامكم كبيرة ولاتعرفون الجراد ؟ "

فإذا بتلميذ ذى وجه دائرى يقف على يسارى يقول بلسان سليط " هل تقصد هذا ؟ طبعًا نعرفه ولكننا نُطلق عليه اسمًا آخر هنا "

فقلت:

" غبى، سواء كان اسمه فى طوكيو شىء وهنا شىء آخر ولكنه نفس الشىء، ثم توقف عن الكلام بلهجتكم هذه التى لا افهمها "

ولكنه تجاهل طلبى وظل يتحدث بلهجته التى لا افهمها، فقلت لهم:

" بصرف النظر عن اسم تلك الحشرة، لماذا وضعتموها فى فراشى ؟ هل طلبت منكم ذلك ؟ "

فقال:

" لم نفعل ذلك "

فقلت:

" إذا لم تفعلوا ذلك، لماذا إذن هى فى فراشى ؟ "

فقال:

" تلك الحشرة تحب الأماكن الدافئة، ولذلك دخلت من تلقاء نفسها فراشك "

فقلت:

" هذا هراء، هل تريدنى أن أصدق أنها دخلت من تلقاء نفسها فراشى !، تكلم بصراحة وقل لماذا هذه الشقاوة ؟ "

فقال:

" تطلب منا الاعتراف بأشياء لم نفعلها، فكيف نعترف بأشياء لم نفعلها! "

فقلت لنفسى:

" جبناء، إذا كانوا لا يريدون الاعتراف بما فعلوا، فكان يجب ألا يفعلوه، طالما ليس هناك دليل فسوف يظلون على موقفهم هذا، ولكنى عندما كنت تلميذ فى المرحلة الإعدادية كنت أحيانًا اقوم بقليل من الشقاوة ولكن إذا سألنى أحد هل فعلت ذلك ؟ فاعترف، لم أكن جبانًا ولو حتى مرة واحدة وانكرت عدم قيامى بشىء قمت به، فما فعلته فعلته، وما لم افعله لم افعله، فأنا كنت اعترف بما فعلت مهما كان قَدر ما فعلت، وإذا كان الهدف منذ البداية القيام بشقاوة وعدم الاعتراف بها، فهذا كذب وهروب من العقاب، فالشقاوة والعقاب شيئان متلازمان، فإذا أردت القيام بشقاوة فيجب أن يكون عندى تقبل للعقاب، أما أن أقوم بعمل

الشقاوة والهروب من العقاب، فهذا تصرف يدل على وضاعة الشخص وغير مقبول فى أى مكان فى الدنيا، وأكيد أن هؤلاء سوف يتخرجون من المدرسة ويكذبون، فيقترضون الأموال من الناس ولا يردونها، فلماذا يدخلون المدرسة، يدخلون المدرسة فيتعلمون الكذب والنفاق والقيام بشقاوة فى الخفاء تضر بالآخرين، وعندما يتخرجون من المدرسة يرفعون رءوسهم افتخارًا معتقدين أنهم حصلوا على تعليم، إنهم حثالة الدنيا "

فشعرت بالاشمئزاز أن اتناقش مع من يفكرون بطريقة عفنة مثل هؤلاء، فقلت لهم "

" طالما أنكم متمسكون بكلامكم فليس هناك فائدة من هذا النقاش، ولكن من المؤسف أنكم لا تستطيعون التفرقة بين التصرف المهذب والتصرف غير المهذب، رغم أنكم فى المدرسة الاعدادية "

ثم صرفتهم، وبرغم أننى شخصيًا من ناحية الشكل وأسلوب الكلام لست مهذبًا ولكن من ناحية المشاعر، فأنا إنسان مهذب جدًا مقارنة بهؤلاء، وانسحب التلاميذ الستة وتبدو عليهم الثقة فى النفس، وكأنهم قد فازوا علىّ، وفى الحقيقة إن انسحابهم بهذه الثقة فى النفس يدل على أنهم كاذبون، تعاملوا مع الموقف ببرود لا يتخيله أحد.

وبعد ذلك دخلت تحت الناموسية لأنام فى الفراش فوجدت الناموسية مليئة بناموس فى فترة انشغالى بالكلام مع التلاميذ، فقلت لنفسى " محاولة قتل كل ناموسة بالحرق بالشمعة سوف

يكون عملاً شاقًا "، ولذلك فككت الأعمدة التى تفرد الناموسية من الحلقات الموجودة فى أطرافها ثم لففتها ثم نفضت فى كل اتجاة طولاً وعرضًا بقوة، فإذا بإحدى الحلقات الموجودة فى الناموسية تصطدم بيدى فشعرت بألم شديد، وبعد ذلك دخلت للمرة الثالثة تحت الناموسية لانام فى الفراش، فشعرت بقليل من الراحة ولكنى لم أستطع النوم، فتطلعت إلى الساعة، فإذا بها العاشرة والنصف، فقلت لنفسى " ما هذا الذى فعلته فى نفسى بالحضور إلى هذه البلدة، وإذا كان أساتذة المرحلة الإعدادية يلاقون مثل هذه الأشياء فى كل مكان يذهبون للتدريس فيه، فيا لهم من مساكين، ويا لهم من بشر اقوياء ليتحملون كل ذلك، من المؤكد أن عندهم قوة كبيرة على التحمل وبرودًا شديدًا ليسا عندى، فانا لا أستطيع تحمل كل هذا "، ثم تبادر إلى خاطرى صورة السيدة " كيو "، سيدة مسنة لم تتلق تعليم ولا من عِلْيَة القوم ومع ذلك كإنسانة فهى محترمة جدًا، فلقد قامت برعايتى إلى الآن ولم اشعر بالعرفان لها على ذلك، ولكن عندما جئت إلى هذا المكان البعيد بمفردى شعرت لأول مرة بعظيم العرفان على ما قدمته لى من رعاية.

إذا كانت تريد أن تأكل الحلوى التى تصنعها منطقة " إتْشِجُ " والملفوفة فى البوص، فإن الذهاب إلى تلك المنطقة خصيصًا من أجل شراء تلك الحلوى عمل ليس بالكثير من أجلها، لقد كانت تمدحنى قائلة:

" أنت إنسان زاهد فى الدنيا ومستقيم الشخصية "

ولكنها الشخص الذى يمدح الناس أعظم من الشخص الذى يُمدَح، ولذلك فهى أعظم منى، وحينئذ جاءتنى رغبة بأن أراها.

وبينما كنت أفكر فى السيدة " كيو " وأنا نائم اتقلب فى الفراش، فإذا بأصوات أقدام لأشخاص عددهم من ثلاثين إلى أربعين تتحرك على الطابق العلوى وفوق رأسى مباشرة، لدرجة أننى توقعت أن الطابق الثانى سوف يسقط فوقى، وفجأة إذ بعدة صيحات عالية متناغمة فى نفس الوقت ثم ضربة أقدام فى نفس الوقت، فاندهشت وقلت لنفسى " ماذا حدث ؟ " ثم استيقظت وخرجت من الفراش، وأثناء ذلك انتبهت إلى أن ذلك أكيد أنه انتقام من التلاميذ لما فعلته لتوبيخى لهم منذ قليل، ثم قلت لنفسى:

" إن هذه الأفعال السيئة لن تنتهى إلا بأن يعترفوا بذنوبهم ويعتذروا عنها، أليس عندهم احساس، المفترض أن يذهبوا إلى النوم ثم يشعرون بتأنيب الضمير ثم يأتوا صباح الغد ليعتذروا عما ارتكبوه، وعلى فرض أنهم يخشون أن يعتذروا، فعلى الأقل ألا يسببوا ضوضاء بل يذهبون فيناموا فى هدوء، ولكن ما هذه الضوضاء، هل هذا بيت طلاب أم حظيرة خنازير، يجب أن يتوقفوا عن أفعال المجانين هذه، سوف يرون ماذا سوف أفعل ".

ثم خرجت من الحجرة بلباس النوم، وصعدت مسرعًا إلى الطابق الثانى، فإذا المكان الذى كنت اعتقد أنه سوف يسقط فوقى من شدة الصوت، هادئ تمامًا ولا يوجد أصوات أشخاص ولا أصوات أقدام، شىء عجيب، وبما أن المصباح مغلق هناك ظلام، ولذلك لا استطيع ان ارى ماذا يوجد هنا أو هناك، ولكن

يمكن رؤية الأشخاص إذا كانوا موجودين، فسرت فى الطرقة الطويلة من شرقها إلى غربها ولكنى لم أجد ولا حتى فأر واحد، ويسطع ضوء القمر على حافة الناحية الأخرى من الممر، مما يجعل هناك بصيص من الرؤية، ومع ذلك فكل ما يحدث فى منتهى الغرابة، وعندما كنت طفلاً كان يحدث كثيرًا أن أرى أحلامًا فأقوم فجأة من الفراش واتحدث وأنا نائم بأشياء غير مفهومة مما يجعل المحيطين بى يضحكون علىّ، وأتذكر وأنا طفل فى السادسة عشرة أو السابعة عشرة أننى حلمت أننى عثرت على أحجار ماس ثم أيقظت أخى النائم بجانبى وسألته بانفعال شديد:

"لماذ اخذت الماس الذى وجدته أنا ؟ أين هو ؟ ماذا فعلت به؟"

ووقتها ظلت أسرتى تضحك علىّ لمدة ثلاثة أيام، مما جعلنى أشعر بالحزن الشديد، وبناءً على تلك الواقعة، فإن ما يحدث لى الآن ربما هو حلم أيضًا، ولكن أنا متأكد أنه كان هناك ضوضاء، وبينما كنت اقف فى منتصف الطرقة أفكر فيما حدث، فإذا بعدة صيحات متناسقة فى نفس الوقت وتلاها دب جماعى بالأقدام يحدث فى آن واحد بتناسق لأشخاص من ثلاثين لأربعون، تأتى من الناحية التى يظهر ناحيتها ضوء القمر، فقلت لنفسى "

" سوف ترون ماذا سوف افعل بكم، إن ما يحدث لى ليس حلمًا، إنه واقع "

فقلت بصوت عال يدل على أننى لم أنهزم أو أستسلم:

" هدوء، نحن فى منتصف الليل "

ثم جريت نحو الناحية الأخرى من الطرقة حيث مصدر الصوت، وكانت الطرقة التى أجرى فيها مظلمة فكنت أجرى وأنا أنظر لضوء القمر الساطع على آخر الطرقة، وبعد عدة أمتار من الجرى فإذا بى اصطدم بشىء كبير صلب فى مقدمة قصبة ساقى فصحت " آه، ألم شديد " وشعرت بصدى الأصطدام فى رأسى ثم فقدت التوازن وسقطت إلى الأمام على وجهى فى الحال، فقلت " اللعنة عليكم " ثم وقفت بصعوبة ولم استطع الجرى، أريد أن أجرى ولكن قدمى لا تنصاع لأوامرى لها بالجرى، ولشعورى بالغضب الشديد جريت مستخدمًا ساقًا واحدة وعندما وصلت إلى مكان الصوت كان صوت الأشخاص وصوت دب الأقدام توقف تمامًا وهناك هدوء تام، فقلت لنفسى " مهما كان الإنسان جباناً فإن الجبن لا يجب أن يصل إلى هذا الحد، خنازير، وطالما أنهم يفعلون ذلك فلقد قررت ألا اترك المكان حتى أُخرجهم من جحورهم المختبئين فيها وأجعلهم يعتذرون " ثم حاولت فتح إحدى حجرات النوم وتفقد ما فيها من تلاميذ ولكن الباب لم ينفتح، ولا اعرف إذا كان مقفولاً بالمفتاح أم خلف الباب هناك شىء ما يحول دون فتحه مثل مكاتب، فمهما دفعت لا ينفتح، فاتجهت للحجرة المقابلة فى الناحية الشمالية وحاولت فتحها ولكنها لا تنفتح أيضًا، وكنت متعجلاً أن افتحها واقبض على ما فيها من تلاميذ، ولكن فى تلك اللحظة بدأ الصيحات والدب المعتاد من أقصى الناحية الشرقية، ففهمت ان هؤلاء الشياطين الصغار يقومون بذلك فى كلتا الناحيتين الشرقية

والغربية لكي يضغطوا على ويثيروا أعصابى، ولكنى لا اعرف ماذا يجب أن أفعل، وفى الحقيقة أريد أن اعترف واقول أننى شجاع ولكن لست حكيمًا، ولذلك لا اعرف ماذا يجب أن أفعل فى مثل تلك المواقف، ورغم عدم معرفتى بما يجب أن افعل لكنى مصمم على عدم الهزيمة أو الاستسلام، ولن اسمح بمرور هذا الموقف هكذا لأن هذا يتعلق بكرامتى وسمعتى، سوف يُقال أن أهل طوكيو قليلى الحيلة وضعفاء وجبناء، وهذا شىء مؤسف ولا أستطيع السماح به، سوف يُقال أن أبن طوكيو عندما كان يقوم بالإشراف الليلى ضحك عليه حفنة من الأطفال الصغار التى تدلت من أنوفهم سائل الأنف ولم يستطع أن يفعل معهم شىء ونام وهو يبكى على حاله، وطبعًا سوف تتلوث سمعتى بهذا طوال عمرى، أجدادَى كانوا من طبقة المحاربين التى كانت تحمى الإمبراطور وأحد أجدادى كان القائد العسكرى العظيم " طَضَ "، فأنا مختلف بما ورثته عن عائلتى من نسب عن هؤلاء الفلاحين الوضيعى النسب، ولكن المحزن أننى ليس عندى حكمة، ولذلك فأنا فى ورطة لا اعلم ماذا افعل، فأنا إنسان صادق وصريح ولذلك أقول إننى لا اعرف ماذا افعل، فهل الإنسان الصادق الصريح ينهزم فى هذه الدنيا والإنسان غير الصادق وصريح ينتصر، فإذا لم انتصر الليلة سوف انتصر الغد، وإذا لم انتصر غدًا سوف انتصر بعد غد، وإذا لم انتصر بعد غد سوف اطلب أن يأتينى طعامى هنا وأظل هنا إلى أن انتصر على هؤلاء، وبما أننى قررت هذا فسوف أظل فى وسط هذه الطرقة

مربع الساقين إلى أن يأتى الصباح، ولقد جاءنى كثير من الناموس يحوم حولى ويقرصنى ولكنى لم اشعر بأى شىء، ولقد تحسست قصبة ساقى التى اصطدمت منذ قليل فوجدتها مبتلة، لقد نزفت دم، دم ينذف دون توقف، فهذا شىء لا يهمنى، وقد شعرت بالإجهاد مما حدث منذ قليل فخلدت إلى النوم دون أن أدرى، ثم شعرت بضوضاء ففتحت عيناى ثم قفزت وأنا فى ضيق شديد، فلقد كانت ضلفة الباب الذى على يمينى وأنا جالس مفتوحة، ويقف امامى تلميذان، فعدت إلى وعىّ، فامسكت بأقدام التلميذ الذى يقف أمام وجهى مباشرة، وجذبتها بقوة، فإذا به يسقط على ظهره سقطة قوية، ثم قلت له " هذا عقابك "، ثم انقضت على الآخر الذى كان مرتبكًا فشللت حركة يديه وضربته مرتين أو ثلاثة على أكتافه، فأُخِذ مما حدث له وظل يطرف بعينة مرارًا وتكرارًا من أثر الذهول، فقلت لهما:

" تعالا إلى حجرة الإشراف "

فجاءا على الفور أذلاء ضعفاء، ثم طلع النهار.

وبدات فى استجواب هذين التلميذين ولكن مهما ضربت الخنزير فهو خنزير لا يؤثر فيه ضرب ولا شىء، فكانا ينكران بصفة مستمرة ومهما حاولت معهم لكى يعترفوا فلا يعترفون، وأثناء ذلك جاء بقية التلاميذ فرادى ومثنى وتجمعوا امام حجرة الإشراف، فنظرت إليهم فوجدتهم جاؤا دون غسيل وجوههم ويبدو عليهم النعاس، مظهرهم قذر، فقلت لهم:

" هل تعتقدون انكم رجال بقضاء طوال الليل سهرًا فى القيام باشياء سيئة ثم الحضور بوجوة قذرة "

ثم طلبت منهم أن يذهبوا ليغسلوا وجههم ويأتون ولكن أحد منهم لم يحرك ساكنًا.

وبينما كنت اقوم باستجواب ما يزيد عن خمسين تلميذًا لمدة ساعة فوجئت بحضور المدير (الكلب الراكون)، وبعد ذلك علمت أن الحارس ذهب إليه خصيصًا لكى يخبره بوجود مشكلة، فهل لمثل ذلك فقط يذهب الحارس للمدير، هذا قلة عقل، ولغبائه هذا فهو لا يعدو عن أن يكون حارسًا فى مدرسة ابتدائية.

ولقد استمع المدير منى إلى ماحدث، ثم استمع إلى اقاويل التلاميذ قليلاً، ثم قال:

" احضروا إلى المدرسة كالعادة إلى أن يتم أخذ قرار فى ذلك الأمر، واذهبوا الآن بسرعة فاغسلوا وجوهكم وتناولوا طعام الافطار حتى تلحقوا موعد بدء اليوم الدراسى."

ثم صرفهم بسرعة، وبما أن المدير يتعامل مع الموقف بهذه الطريقة غير الحاسمة فمن الطبيعيى أن يقوم التلاميذ بإهانة المشرف هكذا، وفوق ذلك قال لى:

" طبعًا أنت متعب بعد ما حدث من تلك المضايقات، فليس مهم أن تقوم بالتدريس اليوم "

فرددت عليه قائلاً:

" ليس هناك ما يضايقنى، حتى لو حدث ذلك كل يوم طوال حياتى، وسوف اقوم بالتدريس، فليس هناك مشكلة ألا انام لمدة

ليلة، وإذا لم استطع القيام بالتدريس اليوم سوف أعيد لكم أجر يوم مما أحصل عليه من الراتب الشهرى".

ولم أعلم رأى المدير فى كلامى هذا ولكنه نظر إلى وجهى نظرة طويلة ومتفحصة، ثم قال:

" ولكن وجهك متورم جدًا "

فقلت لنفسى " حقًا، فأنا أشعر بأن وجهى غير طبيعى وأيضًا برغبة فى حك وجهى كله، أكيد أن الناموس لسعنى كثيرًا "، واخذت بحك وجهى كله ثم قلت له:

" لكن ليس مهم مدى تورم وجهى، طالما أن لسانى يتحرك بطلاقة، فلن يؤثر تورم وجهى على القيام بالتدريس "

فضحك المدير ثم قال مادحًا إياى "إنك متحمس جدًا لأداء عملك".

وفى الواقع أنا لا اعلم إذا كان يمدحنى أو يسخر منى.

الفصل الخامس

قال لى " أبو قميص أحمر ":

" ألا تذهب فى نزهة للصيد "؟

و" ابو قميص أحمر " رجل يتحدث بصوت ناعم يشعرك بالضيق، فلا تعرف أبدًا من خلال صوته هل هو رجل أو امرأة، فمن الطبيعى أن يعلم أنه إذا كان رجلاً فيجب أن يكون صوته صوتًا رجوليًا، وخاصة إذا كان خريج الجامعة، فبرغم أننى خريج مدرسة العلوم فإن صوتى يوضح أننى رجل، وهو حامل شهادة ليسانس آداب ومع ذلك صوته لا يدل على أنه رجل.

فأجبته إجابة تدل على أنى غير متحمس لفكرة الذهاب للصيد، حيث قلت:

" دعنى أفكر "

فإذا به يسألنى فى جرأة ووقاحة:

" هل سبق لك اصطدت ؟ "

فقلت له:

" ليس كثيرًا ولكن عندما كنت طفلاً، اصطدت ثلاثًا من أسماك الشبوط الفضى، من بحيرة صناعية لاصطياد الأسماك فى منطقة " كُومِيه "، كما أنه فى يوم الاحتفال بالاله " بِشَمُنْ " بمعبد " كَجُرَظَكَ " اصطدت سمكة شبوط ذهبية طولها حوالى خمسة وعشرين سنتيمترًا ولكن السمكة استطاعت الهرب فى آخر لحظة عادت إلى البحر، وكلما اتذكر ذلك اشعر بالحزن "

فإذا بـ "أبو قميص أحمر" يمد رقبته إلى الأمام ثم يضحك ضحكة فيها تكلف تدل على المجاملة، ولكنى لا اعرف لماذا ضحك بهذه الطريقة رغم عدم وجود أهمية لذلك الضحك، ثم قال فى تفاخر شديد:

" إذن أنت مازلت لا تعلم فن الصيد ومتعته، فإذا كانت عندك رغبة لمعرفة ذلك فسوف أعلمك إياه ".

فقلت لنفسى " من قال لك إننى أريد أن اتعلم منك ذلك !، إن كل من يقومون بالصيد، سواء صيد الأسماك أو الحيوانات بشر ليس عندهم مشاعر، فإن قتل الأسماك والحيوانات شىء يجب ألا يُسعِد أحدًا، ومن الطبيعى أن الأسماك والحيوانات تفضل أن تعيش عن أن تُقتَل، فإذا كان صيد الأسماك والحيوانات ضروريًا لحياة الصياد فلا يمكن أن يعيش دون فعله فهذا أمر آخر، ولكن إذا كانت المسألة أنك لا تستطيع النوم إلا إذا قتلت بعض المخلوقات فهذا كلام غير معقول ولا مقبول ".

ولكن "أبو قميص أحمر" حامل شهادة الليسانس وبالتالى حاذق فى الكلام، فإذا دخلت معه فى نقاش عما دار فى عقلى فسوف

انهزم ولذلك فضلت الصمت، وبدا على أبو قميص أحمر أننى قد استسلمت ووافقت على كلامه ولمزيد من يشجعنى على الـذهاب معه قال:

" سوف أعلمك فى أقرب وقت، إذا كان عندك وقـت اليـوم فسوف أعلمك اليوم، هيا نذهب معًا إلى الصيد، فإن الذهاب فقط مع السيد " يُشكَوَ " لا يجعلنى اشعر بالبهجة، فتعال معنا "

والسيد " يُشكَوَ " هو مدرس الرسم والذى لا يفهم فى الرسـم شيئًا، بل هو حامل الطبلة والذى اطلقت عليه " صبى العالمـة "، وهو دائما مع أبو قميص أحمر فى كل مكان، ويذهب إلى منزله صباحًا ومساءً وأنا لا افهم لماذا هو ملازم هكذا لأبـو قمـيص أحمر، فهما ليسا زميلين ولكن العلاقة بينهما كأنها سيد وتـابع، وبالتالى من المتوقع أن يذهب " صبى العالمة " مع أبو قمـيص أحمر أينما ذهب، ولكن لماذا الآن يدعون شخصًا مثلـى غيـر متجانس مغهم فى الطبائع إلى الذهاب معهم فى رحلة صيد!".

أكيد أنه دعانى إلى مصاحبتهم فى رحلة صيد لكـى يرينـى مهارته فى صيد الأسماك، ولكن هذه الطريقة لن تجعلنى انبهـر به، فإنه إذا اصطاد عدة أسماك تونة لن يجعلنى هـذا أصـمت وأحنى رأسى إعجابًا به، فأنا إنسان مثله، ومهما كنـت لا أجيـد الصيد، فأننى إذا رميت السنارة فى المـاء سـوف اصـطاد أى أسماك، فإذا قلت له لن أذهب معكم للصيد فسوف يعتقـد أننـى أرفض الذهاب معه لعدم قدرتى على الصـيد، ولـيس لكرهـى للصيد، ولذلك قلت له:

" سوف أذهب ".

وبعد أن انتهيت من عملى المدرسى عدت إلى منزلى ثم أعددت نفسى للذهاب إلى الصيد وذهبت إلى محطة القطار حيث تقابلت مع أبو قميص أحمر وصبى العالمة وذهبنا إلى الشاطئ، وركبا قاربًا يقوده مركبى واحد بمفرده وكان القارب رفيعًا وطويلاً، لم أشاهد مثله من قبل فى نواحى طوكيو، وأثناء وجودى فى القارب كنت أنظر حولى فلا أجد أحد يصطاد باستخدام عصا سنارة صيد، فقلت لنفسى متعجبًا " هل يمكن الصيد دون عصا سنارة صيد! " ثم سألت صبى العالمة عن ذلك فقال لى وهو يداعب ذقنه بيده:

" إن الصيد فى البحيرات لا يتطلب استخدام عصا سنارة، بل يتطلب استخدام خيط فى نهايته سنارة وليس عصا مثبت فيها خيط كما يحدث فى الأماكن الأخرى وإن استخدام خيط فقط هو دليل على أن الصياد محترف صيد "

فقلت لنفسى " كان من الأفضل لى أن اصمت عن أن أتسبب لنفسى فى الأحراج هكذا ".

وكان المركبى يجدف ببطء ولكنه كان ماهرًا فى عمله لدرجة مبهرة، ولقد ألقيت نظرة إلى الخلف فشاهدت الشاطئ صغيرًا وهذا يعنى أننا ابتعدنا عن الشاطئ كثيرًا، ولقد ظهر برج معبد " كُهَكُجِ " فوق الغابة رفيعًا مثل إبرة، وأمامى تطفو جزيرة " أُوشِمَ "، وهى جزيرة غير آهلة بالسكان، وعندما نظرت إليها جيدًا فلم اجد إلا صخورًا وأشجار صنوبر فقط، فقلت لنفسى " طالما لا

يوجد إلا صخور وأشجار صنوبر فهى ليست صالحة للحيـاة "، ونظر أبو قميص أحمر نظرة طويلة متأملاً للمكان ثم قال:

" مناظر جميلة "

فإذا بصبى العالمة يقول:

" مناظر خلابة ".

فقلت لنفسى " لا أعلم إذا كانت مناظر خلابة أم لا ولكن مـن المؤكد أنها مناظر تشعرنى بالراحة "، فإن وجـود أى شـخص فوق سطح البحر الفسيح واستنشاقه الهواء النقى لهو شىء مفيـد للصحة، ثم شعرت بعد ذلك برغبة شديدة لتناول الطعام، وبينمـا كنت أفكر فى تناول الطعام إذا بأبو قميص أحمر يقول لصـبى العالمة:

" انظر إلى أشجار الصنوبر، جـذوعها مسـتقيمة وفروعهـا مفتوحة مثل المظلات، منظر مثل المناظر الموجودة فى لوحات فنان الرسم الانجليزى " وليام ترنر جوزيف ".

فإذا بصبى العالمة يقول ويبدو على وجهه وكأنه يفهـم جيـدًا كلام أبو قميص أحمر:

" بالضبط، حتى الإنحنائات تشبه الخطوط المنحنية فى لوحات وليام ترنر بالضبط "

فقلت لنفسى: "من ترنر هذا الذى يتحدثون عنه !، أنا لم أسمع عنه ولكن سوف اصمت، فإذا لم أسال ولم اعرف لـن أُصـاب بضرر".

اتجه القارب ناحية يمين الجزيرة وقام بالدوار حولها، لا توجد أمواج أبدًا، إن مياه سطح البحيرة مستوية لدرجة أنك لا تصدق أن تلك بحيرة، فشعرت بالامتنان الشديد لأبو قميص أحمر لتلك المتعة التى أنا فيها، وشعرت بالرغبة فى النزول على الجزيرة فقلت:

" ألا يمكن ان نوقف القارب عند تلك الصخرة "

فإذا بأبو قميص أحمر يقول:

" طبعًا ممكن فعل ذلك ولكن فى رحلة الصيد من الأفضل عدم الاقتراب من الشاطئ "

فصمت، وإذا بصبى العالمة يقترح اقتراحًا لم يطلب منه أحد اقتراحًا حيث قال:

" ما رأيك يا حضرة الناظر أن نطلق على هذه الجزيرة جزيرة ترنر "

وإذا بأبو قميص أحمر يقول:

" هذا اقتراح جميل، دعنا نطلق عليها ذلك من الآن فصاعدًا "

ولكنى قلت لنفسى: " إذا كان يقصد بالجمع (دعنا نطلق) أننى متفق معهم فى تسميتها بهذا الاسم فهذا شىء يضايقنى لأنه لم يسألنى وجهة نظرى فى ذلك، فأنا أرى أن اسمها الحقيقى مناسب.

ثم قال صبى العالمة إلى أبو قميص أحمر:

" ما رأيك فى وضع لوحة مادونا للرسام الإيطالى رفائيل فوق هذه الصخرة، أكيد المنظر سوف يكون جميلاً "

فإذا أبو قميص أحمر يقول وهو يضحك ضحكاته غير المريحة:

" دع الحديث عن مادونا "

فقال صبى العاملة:

" ماذا، ليس هناك مشكلة فى الحديث عن ذلك، حيث لا يوجد أحد "

ثم نظر ناحيتى متحاشيًا النظر فى وجهى ثم ضحك ضحكة غير مريحة، فشعرت بضيق فى صدرى من تصرفه هذا، فأنا ليس لى علاقة بموضوع مادونا أو غيرها ولا تهمنى تلك الموضوعات وليضعوا ما يشاءون من لوحات فوق الصخرة، ولكن ليس من اللائق أن يتحدثوا أمامى عن موضوعات ليس لى بها علاقة ولا افهمها، ورغم ذلك فإن صبى العالمة يتفاخر ويقول إنه من طوكيو، واكيد أن مادونا التى يتحدثون عنها هى اسم راقصة يحبها أبو قميص أحمر، ولا يهمنى حتى لو أحضروها إلى هذه الجزيرة غير الآهلة بالسكان وأوقفوها تحت شجرة الصنوبر وظلوا ينظرون إليها، أو رسموها فى لوحة زيتية ثم عرضوا تلك اللوحة فى معرض، فهذا شأنهم.

قال المراكبى:

" هذا المكان جيد للصيد "

ثم أوقف القارب، وألقى بالهلب، فسأل أبو قميص أحمر المراكبى:

" كم العمق هنا "؟

فقال المراكبى:

" حوالى عشرة أمتار "

فقال أبو قميص أحمر:

" إذن من الصعب صيد أسماك الأبراميس "

ثم ألقى بالخيط إلى داخل البحر، ويبدو عليه أنه يريد ان يصطاد الأنواع الكبيرة والجيدة من تلك الأسماك، عنده طموح كبير أن يستطيع فعل ذلك، وعند ذلك قال صبى العالمة مادحًا الناظر:

" ماذا ؟ هل عندك شك فى قدرة حضرة الناظر، إن حضرة الناظر فنان فى الصيد ولذلك سوف يصطاد ما يريد، كما أنه لا توجد رياح مما يساعد على الصيد "

ثم أخرج خيطاً طويلاً للصيد خاصًا به وألقاه فى الماء، ولم أر شيئًا إلا ثَقَّالة مصنوعة من الرصاص موضوعة فى مقدمة الخيط، وليس هناك فِلَّة، فكيف يصطادون دون فِلَّة، إن الصيد دون فلة كقياس درجة الحرارة دون استخدام ترمومتر، شىء غير معقول، لا استطيع فعله أبدًا، وحين ذاك قال أبو قميص آمرًا لى:

" هيا اصطاد، هل معك خيط "؟

فقلت له:

" معى خيط كثير جدًا ولكن ليس معى فِلَّة "

فقال:

" ليس مهم استخدام فلة، فإن من لا يستطيع الصيد دون فلّة هو الشخص الهاوى الذى لا يجيد فن الصيد، تلقى الخيط هكذا وعندما يصل الخيط إلى قاع البحيرة، سوف تعرف ذلك من ملامسة الخيط لأصبع السبابة، حيث سوف يتوقف سحب الخيط، وعندما يكون هناك سمكة تأكل الطُعْم، فإنك سوف تشعر بذلك، حيث سوف يهتز إصبعك "

ثم فجأة قال:

" ها هى سمكة "

ثم بدأ فى سحب الخيط بسرعة فاعتقدت أنه اصطاد سمكة ولكن لم يكن هناك شيء فى السنارة، بل تم أكل الطُعْم فقط، فشعرت بالسعادة لفشله، وإذا بصبى العالمة يقول ما لا يريحنى مجاملاً أبو قميص أحمر:

" يا حضرة الناظر، لقد أحزننى عدم اصطياد السمكة، أكيد أنها سمكة كبيرة، وبما أن تلك السمكة استطاعت الهروب من حضرة الناظر شخصيًا، فمعنى ذلك أننا لا يجب أن نتهاون اليوم فى التعامل مع تلك الأسماك، ولكن رغم أنها هربت ولكن محاولة الصيد بطريقتنا أفضل من النظر فقط إلى الفلة كما يفعل الآخرون، إن من لا يستطيع الصيد دون فلة، كمن لا يستطيع ركوب دراجة دون وجود فرامل، فشعرت برغبة فى ضرب صبى العالمة هذا، فأنا إنسان لى مشاعر، كما أن البحيرة ليست ملك خاصًا بالناظر، وكما أنها واسعة، أكيد أن سمكة مثل سمكة البينيت سوف تأتى لتحاول أكل طعم سنارتى، فألقيت بالخيط

والثقالة بقوة فى الماء وأخذت اتحسس حركة الخيط بالسبابة كما قالوا لى.

وبعد قليل شعرت ان الخيط يهتز، فقلت لنفسى " هناك صيد، بالتأكيد سمكة، فإذا لم تكن شيء حى فلماذا ينجذب الخيط "

ثم قلت " أمسكتها "

ثم سحبت الخيط بهمة ونشاط، فإذا بصبى العالمة يقول لى:

" ماذا ؟ يبدو أنك اصطدت شيئًا "

ثم قال فى سخرية " إن قوة الشباب لا يُستهان بها "

وسحبت أغلب الخيط من الماء ولم يتبق منه فى الماء إلا متر ونصف، ونظرت من سطح القارب إلى داخل الماء، فوجدت سمكة مخططة تشبه الأسماك الذهبية، قد ابتلعت الخيط تتحرك يمينًا ويسارًا محاولة التخلط من الخيط، وترتفع ناحيتى مع جذبى للخيط، والمفاجأة غير المتوقعَة، هو أنه عندما كنت اسحبها من الماء لأعلى ضربت الماء بشدة، فطار الماء على وجهى وأغرقه تمامًا، وأخيرًا أمسكتها وحاولت إخراج السنارة من فمها ولكننى فشلت فى ذلك، حيث أن يدى كانت لزجة من أثر الإمساك بها، فشعرت بالضيق الشديد، ووجدت صعوبة فى إخراج السنارة من فمها ولذلك حملتها من الخيط وضربتها فى باطن القارب فماتت على الفور، وكان أبو قميص أحمر وصبى العالمة يشاهدان كل ذلك وهما متعجبان، ثم غسلت يدى بكثير من ماء البحيرة، ثم وضعت يدى أمام أنفى واستنشقت رائحتها، فإذا بها مازالت كريهة الرائحة، فكرهت كل ذلك ورغبت فى عدم فعله مرة أخرى، ولم اهتم أن اعرف نوع

السمكة التى اصطدتها ولا أن أمسكها، وأكيد أن السمكة لا تريد أن يمسكها أحد، ثم لففت الخيط بسرعة.

وإذا بصبى العالمة يقول بطريقة سخيفة منفرة:

" هذه أول سمكة تصطادها، إنها سمكة " جُرُكِ (نوع من أنواع أسماك الرأس اللَّبْروس)"

وإذا بأبو قميص أحمر يقول بطريقة استعراضية:

" بما إن اسم السمكة جُرُكِ فهذا يذكرنى بالأديب الروسى جُرُكِ"

وفى الحال وافق صبى العالمة على هذا الكلام وأيده قائلاً:

" نعم هذا صحيح تمامًا "

إن أبو قميص أحمر عنده عادة سيئة، فهو دائمًا يُطلق اسماء أجانب على الأشياء، فيقول على " سمكة الجُرُكِ "، " الأديب الروسى جُرُكِ " وعلى " مَرُكِ " رسام فى منطقة شِبَ "، و" شتلة الأرز " أصل الحياة "، كل شخص له تخصص مختلف عن الآخر، فأنا استاذ متخصص فى الرياضيات، فهل مطلوب منى أن أعرف من هو جُرُكِ أو من مثله !، يجب على أبو قميص أحمر أن يكون عنده إحساس ويفهم ذلك ولو قليلاً، وإذا كان يريد تشبيه الأشياء بأسماء أجنبية فيقول أسماء أعرفها، مثلاً مذكرات بنيامين فرانكلين أو كتاب " الدفع إلى الأمام " للكاتب الأمريكى " مادن "، وأبو قميص أحمر أحيانًا يُحضر مجلات حمراء الغلاف اسمها " أدب الإمبراطورية " ويقرؤها فى شغف، وعندما سألت "عاصفة الجبل" عن ذلك قال:

" إن كل أسماء الأجانب التى يستخدمها أبو قميص أحمر يأخذها من هذه المجلات ".

فقلت لنفسى: "إن تلك المجلات مشاركة فى هذه الجريمة ".

وبعد أن توقفت على الصيد ظل أبو قميص أحمر وصبى العالمة يصطادان باجتهاد، فاستطاعا أن يصطادا فيما لا يزيد على ساعة حوالى خمس عشرة سمكة، والغريب أنهما كلما اصطادا، اصطادا أسماك " جُرُك "، ولم يصلا إلى اصطياد ما يريحهم وهو أسماك الأبراميس، ثم وجه أبو قميص أحمر كلامه إلى صبى العالمة قائلاً:

" إنه يوم صيد الأديب الروسى جُرُك "

فأجابه صبى العالمة:

" إذا كان خبيرًا فى الصيد مثلك يصطاد جُرُك فمن الطبيعى لشخص مثلى ألا يطمع فى اصطياد أفضل من ذلك "

وعندما سألت المركبى عن تلك السمكة قال:

" سمكة صغيرة وكثيرة العظام وسيئة المذاق ومن الصعب جدًا أكلها، تصلح فقط كسماد للتربة "

فقلت لنفسى " أبو قميص أحمر وصبى العالمة يصطادون سماد، مساكين حالهم يدعو إلى الشفقة، ولقد اكتفيت أنا بسمكة جُرُك واحدة واستلقيت على ظهرى فى منتصف القارب اشاهد السماء الواسعة، وإن ذلك أفضل من الصيد وأكثر متعة "

ثم بدأ الاثنان بعد ذلك فى الحديث بصوت خافت، ولم يصل صوتهما لى ولا أردت أن اسمع ما يقولان، فقد كنت أنظر إلى

السماء وفى نفس الوقت أفكر فى السيدة " كيو " وقلت لنفسى:

" لو كان عندى مال وأحضرت السيدة كيو لمشاهدة هذا المكان الجميل، أكيد أنها كانت سوف تشعر بالسعادة، فمها تكن المناظر هنا جميلة لكن وجودى مع شخص مثل صبى العالمة هذا شىء ممل، صحيح أن السيدة كيو سيدة مسنة وبشرتها مليئة بالتجاعيد، لكنى لا أشعر بالخجل فى اصطحابها إلى أى مكان، فإننى لا اشعر برغبة فى التواجد فى مكان يوجد فيه شخص مثل صبى العالمة سواء كان ذلك المكان عربة تُجر بحصان أو قارب أو فوق مبنى " رِيُوأُنْكَكُ " المكون من إثنى عشر طابقًا، وإذا كنت أنا الناظر (أبو قميص أحمر) وكان الناظر (أبو قميص أحمر) أنا، فمن المؤكد أن صبى العالمة كان سيتملقنى ويغيظ (أبو قميص أحمر)، ويُقال إن أهل طوكيو منافقون، وهذا صحيح، طالما أن شخصًا مثل صبى العالمة هذا يجوب القرى ويقول " أنا من طوكيو "، فسوف يعتقد أهل القرى أن المنافقين من طوكيو وأن أهل طوكيو منافقين "

وبينما كنت أقول لنفسى الحديث السابق، فإذا بالاثنين يضحكان بأصوات خافتة ويتحدثان وهما يضحكان أحاديث متقطعة فلم أستطع أن أفهم المحتوى العام للكلام.

فقد كانا يقولان:

" ماذا ؟ ~ "

" ليس معقولاً ~، لم يكن يعلم !، هذا شىء مؤسف "

" شىء لا يمكن توقعه ~ "

" جراد ؟ ~، هل هذا حدث فعلاً "

لم استطع أن أركز فى الانصات لكل ما كانا يقولانه ولكنى عندما سمعت صبى العالمة يقول كلمة " جراد " انتبهت وركزت فى الإنصات لما يقولانه، ولكن لماذا قال صبى العالمة كلمة " جراد " بصوت عال ومسموع لى ولم يرفع صوته ويوضح ما يقول بالنسبة لبقية الكلام !، بل تعمد خفض صوته عندما تحدث عن الأشياء الأخرى، ولكنى ظللت فى مكانى أنصت إلى ما يقولانه فقالا:

" والأستاذ " يَمَأَرَشِ (عاصفة الجبل) ~ "

" ربما هكذا "

" مكرونة بالخضراوات، ها ها ها ~ "

" تذمر التلاميذ "

" لقمة القاضى ؟ "

لا استطيع سماع كل الكلام ولكن من خلال ما استطعت سماعه من كلمات " جراد " و" مكرونة بالخضروات " و" لقمة القاضى " أستطيع ان أخمن بكل تأكيد أنهم يتحدثون فى السر عنى، فإذا كانوا يريدون التحدث عنى فى وجودى فمن الطبيعى أن يتحدثوا بصوت عالى، وإذا كانوا يريدون التحدث فى ذلك كأسرار فكان من المفترض ألا يدعوننى للمجىء معهم، إنى أبغضهم، وبالنسبة للكلام عن " الجراد " فأنا لست المذنب فى ذلك، ولقد قال المدير " سوف انظر فى الأمر " ولذلك تركت له التصرف فى الموضوع احترامًا لمنصبه، فبأى حق يقوم شخص مثل صبى العالمة بالتحدث عن

ذلك والتعليق عليه، وبدلاً من فعل ذلك فليأخذ فرشاة ويقوم بعمله الذى هو الرسم، أما بالنسبة لى فسوف أقوم بحل مشكلاتى سواء عاجلاً أو آجلاً دون حاجة لتدخل الآخرين، ثم أن صبى العالمة قال بصوت واضح شيء عن "عاصفة الجبل" وشغب التلاميذ وهذا جذب انتباهى ولكن لا اعلم إذا كان يقصد بذلك أن "عاصفة الجبل" هو الذى أثارنى لكى يقوم التلاميذ بشغب أو أنه أثار التلاميذ لكى يقوموا بشغب فيوقعنى هذا فى موقف حرج ؟، وبينما كنت أشاهد السماء الزرقاء، فإذا بأشعة الشمس تضعف تدريجيًا وتهب رياح باردة قليلاً ، ثم انتشر دخان مثل دخان المبخرة فى هدوء وبكثافة وعندما اعتقدت أنه انقشع إذا به يندفع ناحية سطح البحيرة ويتحول إلى ضباب

وفجاة قال أبو قميص أحمر وكأنه تذكر شيئًا كان يجب أن يقوله سابقًا:

" هيا نعود "

فإذا بصبى العالمة يقول:

" نعم إنه الوقت المناسب للعودة، هل سوف تذهب الليلة إلى ملاقاة صديقتك مادونا "

ثم اعتدل من جلسته المائلة أمام جانب القارب وقال لصبى العالمة

" لا تتفوه بمثل تلك الحماقات حتى لا يُساء الفهم "

فقال صبى العالمة وهو يلتف ناحيتى " ليس هناك مشكلة على الإطلاق، وماذا يحدث إذا استمع؟"

فنظرت إلية نظرة بعينين مفتوحتين على وسعهما ويخرج منهما الغضب، فإذا بصبى العالمة يتفاجأ من نظرتى إليه، فيخفض نظره ويحنى رأسه ويحكها ضعفًا واستسلامًا أمام نظرات غضبى الشديد. فقلت لنفسى " ياله من إنسان وقح "

سار القارب فى البحيرة الهادئة عائدًا ناحية الشاطئ، وسألنى أبو قميص أحمر:

" يبدو أنك لا تهوى الصيد، أليس كذلك "

فقلت:

" نعم، فالاستلقاء على الظهر ومشاهدة السماء أفضل من الصيد "

ثم ألقيت ببقية السجارة التى كنت أدخنها فى ماء البحيرة، فسمعت صوت انطفائها فى الماء ثم طفت فوق الماء تحركها الأمواج التى أحدثها المجداف كما تشاء، ثم قال هذه المرة ما ليس له علاقة بالصيد على الإطلاق:

" لقد اسعد التلاميذ جدًا حضورك للتدريس فى المدرسة، ومن فضلك أن تستمر فى بذل المجهود فى العمل "

فقلت:

" اعتقد أنهم ليسوا سعداء لدرجة كبيرة بحضورى للتدريس فى المدرسة "

فقال:

" لا، أنا لا أُجاملك، بل هم سعداء جدًا بوجودك معهم، أليس كذلك يا نُضَ (صبى العالمة)"

فإذا بصبى العالمة يرد وهو يبتسم ابتسامة متكلفة قائلاً:

" إنهم أكثر من سعداء بك، إنهم مولعون بك "

فقلت لنفسى " إن كل ما يقوله صبى العلمة هذا يجعلنى أشعر بالغضب الشديد "

ثم قال أبو قميص أحمر:

" ولكن يجب عليك الحرص حتى لا تقع فى مشكلات "

فقلت له:

" مشكلات ؟ أنا مستعد لمواجهة أى مشكلات تظهر "

وقلت لنفسى " فى الواقع أنا أنوى على أن يتم طردى من العمل أو أجعل جميع تلاميذ بيت الطلاب يعتذرون "، وبعد ذلك قال أبو قميص أحمر:

" لن نصل إلى نتيجة جيدة إذا تحدثت بهذه الطريقة، فى الحقيقة أنا اتحدث كرئيس للأساتذة من أجل مصلحتك أنت، فأرجو ألا تأخذ الكلام على المحمل الخطأ وتعتقد أننى أعمل ضدك "

وإذا بصبى العالمة يتحدث كإنسان فيقول:

" حضرة الناظر يحبك جدًا، وأنا أيضًا بما أننى مثلك من طوكيو فأتمنى أن تظل معى هنا مدة طويلة، وأن نكون يدًا واحدة ليكون لنا قوة ولذلك أريد أن أساندك فى موقفك هذا "

فقلت لنفسى " إذا كان الأمر يتطلب مساندة صبى العالمة فأنا أفضل أن اشنق نفسى واموت عن ان يساندى هو "

ثم قال أبو قميص أحمر:

" وعلى فكرة، التلاميذ فرحون جدًا بحضورك للتدريس فى المدرسة ولكن هناك بعض المشكلات فى المدرسة التى جعلت الأمور متأزمة، وهذه المشكلات تجعلك فى بعض الأحيان تغضب وتثور ولكن من فضلك أن تصبر وتتحمل، ومن ناحيتى، فأرجو أن تتفهم أننى لن أفعل أبدًا ما يسيء إليك "

فقلت له:

" تقول إن هناك بعض المشكلات فى المدرسة، ما هى تلك المشكلات "

فقال:

" إنها أمور معقدة، ولكنك سوف تفهم كل شيء تدريجيًا مع مرور الوقت، وإذا لم أُحدثك عنها سوف تفهمها من تلقاء نفسك، أليس كذلك يا نُضَ (صبى العالمة)؟"

فإذا بصبى العالمة يقول نفس كلام أبو قميص أحمر حيث قال:

" نعم أمور معقدة جدًا ولذلك يصعب عليك فهمها فى الحال ولكنك سوف تفهمها من تلقاء نفسك تدريجيًا دون أن أُحدثك أنا أيضًا عنها "

فقلت له:

" إذا كانت أمور معقدة إلى هذه الدرجة فلا أريد أن أسمعها ولكن أنت الذين فتحت الموضوع ولذلك فأنا أردت استوضاح ذلك".

فقال:

" أنت محق فيما تقول، فأنا من فتح الموضوع وليس من الواجب أن افتح موضوع دون توضيحه بشكل كاف، ولكنى

مضطر أن أقول لك الآتى فقط، ربما ما سوف أقوله سوف يجرحك ولكنك ما زلت خريجًا حديثًا وهذه هى أول مرة تقوم فيها بالتدريس، ولكن العمل بالتدريس فى المدارس يختلف عن أن يكون الإنسان طالب، فإذا كان الإنسان مدرسًا فلابد أن يضع فى اعتباره ظروف المحيطين به وتصرفاتهم وأهدافهم ولا يكون صريحًا ومنفتحًا مثل الطلاب، لأنه إذا كان الأستاذ يتصرف بطريقة الطلاب فلن تسير الأمور على مايرام "

فقلت له:

" إذا كانت الأمور لا تسير على مايرام لأنى صريح وواضح فكيف تسير ؟، ولماذا لا أكون صريحًا وواضحًا ؟ "

فقال:

" أنت صريح وواضح وهذا يعنى أنك قليل الخبرة "

فقلت:

" طبعًا، أنا قليل الخبرة، وهذا ما كتبته فى سيرتى الذاتية التى قدمتها للمدرسة، فأنا فى سن الثالثة والعشرين وأربعة أشهر "

" نعم هذا هو بيت القصيد، فإن عدم خبرتك هى نقطة الضعف التى يستغلها البعض ويهاجمونك منها ويسببون لك مشكلات "

فقلت:

" طالما أننى إنسان شريف وصادق ولا أفعل إلا الصواب، فأنا لا اخاف من أن يستغلوا قلة خبرتى ويهاجمونى "

فقال:

" طبعًا لا يجب أن تخاف من أحد ولكن البعض سوف يهاجمك ويسبب لك مشكلات، وفى الواقع أن الأستاذ الذى كان موجودًا قبلك قد تضرر وعانى من المشكلات بسبب من استغلوا ضعف خبرته وهاجموه، ولذلك فإن هدفى من كل هذا الكلام أن أقول لك كن حذرًا "

وانتبهت إلى أننى لا اسمع صبى العالمة يتدخل فى الحديث، فنظرت خلفى لأعرف ما الذى جعله ساكنًا لا يتكلم، فإذا به يقف عند مؤخرة القارب يتحدث مع المراكبى عن الصيد، فقلت لنفسى " عندما يكون صبى العالمة غير موجود فإن الحديث مع أبو قميص أحمر يسير فى سلاسة "

فقلت له:

" من الذى سبب الأذى للأستاذ الذى كان قبلى؟ "

فقال:

" لا أستطيع أن أبوح بذلك، لأن ذلك سوف يكون إهانة لكرامة ذلك الشخص، كما أنه لا يوجد دليل واضح يدين الشخص المتسبب فى ذلك، وبالتالى سوف أكون مخطأ أن اتحدث بالسوء عن شخص ليس عليه دليل إدانة، والمهم أنك حضرت إلى هذه المدرسة للتدريس ولا نريد لك أن تفشل ولذلك دعيناك إلى هنا ونود أن نقول لك لوسمحت، من فضلك خذ حذرك "

فقلت له:

" آخذ حذرى ؟ آخذ حذرى أكثر من ذلك ؟ ليس هناك ما استطيع فعله من أجل أن آخذ حذرى أكثر من ذلك، أليس المهم ألا أفعل شيئًا سيئًا ؟ "

فإذا بأبو قميص أحمر يضحك ضحكة تدل على الدهشة وكأنى قلت شىء يجعل الإنسان يضحك مع أننى لا أرى أننى قلت ما يُضحِك، فقلت لنفسى " أنا فقط قلت ما اعتقد أنه الصواب حتى يومنا هذا، وعندما نفكر بواقعية نرى أن أغلب الناس تشجع الإنسان على أن يصبح شخصًا سيئًا، لأنهم يعتقدون أن الشخص إذا لم يصبح سيئًا فسوف يفشل فى المجتمع، وإذا وجدوا شخصًا صادقًا وشريفًا يتصيدون له الأخطاء ويعكشفونها ليسخرون منه ويطلقون عليه "النونو" أو "الفتى الطائش" فقلت لنفسى:

" إذا كان الصدق والشرف مشكلة فبدلاً من أن يقول أستاذ فلسفة الأخلاق لتلاميذ المدرسة الابتدائية والاعدادية " لا تكذبوا " أن يعلموهم أسلوب الكذب وفن التشكيك فى الآخرين والاحتيال عليهم وهذا سوف يكون أنفع لهؤلاء التلاميذ وللمجتمع وللناس، فإن أبو قميص أحمر عندما ضحك كان يضحك على نقائى وطهارتى وصفائى، ومن المؤسف أن يعيش الإنسان فى عالم يسخر فيه الناس من الصدق والصراحة، وإذا كانت السيدة " كيو " هى التى تستمع لى بدلاً من أبو قميص أحمر لما ضحكت هكذا على الإطلاق، كانت استمعت وانصتت وأبدت إعجابها بما أقول، إن السيدة " كيو " لهى أنبل وأكثر سموًا من أبو قميص أمر هذا.

ثم قال أبو قميص أحمر:

" طبعًا من المحبب ألا تقوم بفعل أشياء سيئة، ولكن هذا فقط لا يجعلك تكون فى مأمن، بل يجب أن تعلم من يكيد لك وكيف يكيد لك حتى تتجنب الأذية، وإذا كان الناس حولك يبدو عليهم أنهم طيبون ومتفهمون لما تقول ويساعدونك فى البحث عن مسكن فيجب عليك أن تحذر منهم حتى لا تُلدَغ منهم.....، لقد أصبح الجو باردًا جدًا، ربما لأننا أصبحنا فى موسم الخريف، ولقد أصبح اللون ناحية الشاطئ بنيًا مائلاً إلى السواد بفعل الضباب "

ثم صاح بصوت عالٍ على نُضَ (صبى العالمة) قائلاً له:

" إنه منظر جميل، أليس كذلك يا نُضَ (صبى العالمة)"

فإذا بصبى العالمة يجامل أبو قميص أحمر قائلاً:

" نعم، إنه منظر نادر الحدوث، إذا كان هناك وقت كنت أريد أن ارسمه فى لوحة ولكن عدم وجود وقت يجعلنى أشعر بالحسرة لترك هذا المنظر دون رسمه "

أضاء مصباحًا واحدًا فى الطابق الثانى من فندق الميناء، وسمعنا صافرة القطار وفى ذلك الوقت كان القارب الذى نركبه قد وصل إلى الشاطئ ودخل مقدمته فى رمال الشاطئ فلم يعد يتحرك، وإذا بمديرة الفندق تقف على الشاطئ وتقول موجهة كلامها إلى أبو قميص أحمر:

" مساء الخير ياسيدى، مرحبًا بعودتك "

وبالنسبة لى، أخيراً وبعد طول انتظار وصلت إلى الشاطئ، فاستجمعت قوتى وقفزت من القارب على الشاطئ.

الفصل السادس

قلت لنفسى " أنا أكره صبى العالمة جدًا، إذا ربط نفسه فى حجر وألقاه فى البحيرة فغرق فى قاع البحيرة، سيكون ذلك أفضل شىء يقدمة لليابان، ولا أستطيع أن استصيغ صوت أبو قميص أحمر، بالتأكيد صوته الحقيقة خشن ولكنه يتصنع صوتًا ناعمًا ليبدو أمام الجميع أنه إنسان رقيق وطيب، ومهما يقوم به من محاولات بتنعيم صوته ليبدو إنسان رقيق وطيب، فلن تفلح تلك المحاولات مع وجهه هذا الذى لا يعبر عن طيبة ورقة، وإذا كان هناك من يفتتن به وبرقته الصوتية المفتعله، فلن يكون هناك إلا المادونا التى كانا يتحدثان عنها هو وصبى العالمة، وبمقارنة أبو قميص أحمر بصبى العالمة، فأبو قميص أحمر يخوض فى أحاديث معقدة صعب فهمها "، عدت إلى المنزل وعندما فكرت فيما قاله أبو قميص أحمر، وقلت لنفسى " كلام خطير ويستوجب

التفكير وربما يكون محقًا فيما يقول، فهو لم يتحدث بصراحة ولكن إن مجمل ما يقوله إن "عاصفة الجبل" إنسان شرير ويجب أن احذر منه، ولكن إذا كان هذا ما يعنية بكلامه فكان يجب أن يوضح ذلك بصراحة، وعدم توضيحه ذلك بصراحة دليل على عدم رجولته، وإذا كان "عاصفة الجبل" أستاذًا سيئًا لهذه الدرجة فكان يجب إقالته من عمله، أبو قميص أحمر ناظر وحاصل على ليسانس آداب ومع ذلك إنسان ضعيف الشخصية متراخٍ لا يستطيع اتخاذ قرارات حاسمة، وإن الرجل الذى يتحدث بالسوء عن الآخرين ولا يستطيع حتى ذكر أسمائهم بوضوح لهو رجل جبان، إن الضعف طيبة وأبو قميص أحمر طيب مثل النساء، ولكن الطيبة شيء والصوت شيء آخر، لا يجب نفى صفة الطيبة عن شخص لمجرد أن صوته لا يعجبك، إن الدنيا غريبة، الشخص الذى تكرهه يعاملك بلطف وصديقك الذى أحببته ووثقت فيه يغدر بك، ربما هذا يحدث لأننى فى الريف والريف عكس الحضر فى كل شيء، ان هذا المكان مكان متعب، كل شيء ممكن هنا، وكأن النارتتحول إلى ثلج والحجر يتحول إلى عجينة فول صويا، ولكن هل يقوم "عاصفة الجبل" بتحريض التلاميذ ضدى ؟ إننى لا أصدق هذا حتى لو كان هذا الكلام مجرد دعابة، صحيح أنه أكثر أساتذ محبوب من التلاميذ وإذا أراد تحريض التلاميذ ضدى فيستطيع فعل ذلك ولكن كان من الأخرى له بدلاً أن يلجأ إلى تلك الطريقة الملتوية، كان اختصر الوقت ووفر المجهود، فاستدعانى وتشاجر معى، فإذا كنت

مشكلة بالنسبة له سوف يقول لى أنت مشكلة لانك تفعل كذا وكذا فاستقل من العمل وبهذه الطريقة ينتهى كل شىء فى هدوء، فبالنقاش سوف نصل إلى حل، ولو كان كلامه مقنع وتطلب ذلك أن استقيل فسوف استقيل صباحًا باكرًا، فالرزق ليس هنا فقط ولكن فى كل مكان، فحتى إذا ذهبت إلى أقاصى الأرض سوف اجد عمل ولن أموت جوعًا، وأنا أعتقد أن "عاصفة الجبل" أعقل من أن يحرض التلاميذ ضدى، وعندما جئت إلى هنا أول من دعانى إلى تناول طعام كان "عاصفة الجبل "، وإذا كان إنسانًا مخادعًا ذو وجهين فإن قبول ان يدفع لى ثمن هذا الطعام إهانة لكرامتى، فهو لم يدفع سوى ين ونصف فقط من أجل كوب أيس كريم لى، ولكن بصرف النظر إذا كان ما دفعه لى ينًا أو نصف ين فأننى لن اشعر بالراحة إلى أن أموت إذا سمحت لنفسى بأن يكون شخص مخادع مثله له فضل علىّ، عندما أذهب غدًا إلى المدرسة سوف اقوم برد الين والنصف هذه إليه، لقد اقترضت من السيدة "كيو" ثلاثة ينات، ولقد مضى على ذلك خمس سنوات ولم اقم بردها حتى الآن، لم اردها، وهذا لا يعنى أننى غير قادر على ردها، بل لم اردها، وهى لم تنتظر أن أعيدها إليها قريبًا، بل لم تفكر أبدًا فى استرجاعها، وحتى الآن أنا لا أفكر أن أعيدها حتى لا تشعر أننى أعاملها كإنسانة غريبة عنى، وإذا قلقت من عدم رد تلك النقود إلى السيدة " كيو " ، فهذا يعنى أننى أشك فى نيتها الصافية وحبها لى وبالتالى سوف اجرح ذلك مشاعرها الراقية، فعدم ردى للمال الذى اقترضته منها لا يعنى

أننى لا أُقدرها، بل لأنى أعتقد أنها جزء منى، وطبعًا ليس هناك وجه مقارنة بين السيدة "كيو" و"عاصفة الجبل" ولكن عندما يفعل فيك شخص معروف مثل دعوتك إلى تناول كوب أيس كريم أو كوب شاى، فإنك عندما تقبل ذلك دون اعتراض بأن تدفع أنت ثمن طعامك أو شرابك، فهذا يدل على أنك ترفع من مكانته، ويعنى أنك تقدره، وإنك من الممكن أن تدفع ثمن طعامك أو شرابك، ولكن لن تشعر بالامتنان لذلك الشخص لأنك دفعت ثمن طعامك أو شرابك، وإن المال لن يكون ذات قيمة إذا قارنته بقيمة المعروف الذى فعلته فى الآخرين، وأنا إنسان ليس له منصب أو مكانة عالية ولكنى إنسان مستقل، اعتمد على نفسى ولست عالة على أحد، وإن إنحناءة الإنسان المستقل الذى يعتمد على نفسه إلى أحد كشكر على معروف لهى أكثر قيمة من مليون ين، صحيح أننى جعلت "عاصفة الجبل" ينفق ينًا ونصفًا ولكن فى قلبى شعور له بالتقدير قيمته أكثر من قيمة مليون ين، وبالتالى يجب عليه أن يشعر بالامتنان لتقديرى له هذا، ولكن خيانته لى وتصرفه بهذا الجبن شيء لا يجب أن يغتفر ولا أن يمر دون رد فعل، سوف أذهب غدًا إلى المدرسة وأعطيه ينًا ونصفًا وبذلك لا يكون هناك دائن أو مدين، ثم بعد ذلك اتشاجر معه".

وبعد أن فكرت فى ذلك، شعرت بالنعاس ونمت نومًا عميقًا، وفى اليوم التالى استيقظت وذهبت المدرسة مبكرًا عن كل يوم لكى انتظر قدوم "عاصفة الجبل"؛ حيث أنه سيكون يومًا مشحونًا،

وعلى غير العادة لم يأت "عاصفة الجبل" فى موعده المعتاد، وجاء الأستاذ "قرع أزرق"، وجاء أستاذ اللغة الصينية، وجاء صبى العالمة، وأخيرًا جاء " أبو قميص أحمر "، وأما مكتب "عاصفة الجبل" فيوجد عليه طباشر فى علبة وكأنها نائمة فى هدوء تنتظر حضوره، دخلت حجرة الأساتذة لكى أعطيه الين ونصف وقد كنت أضعها فى يدى منذ خروجى من منزلى إلى أن وصلت إلى المدرسة، كما أفعل عند الذهاب إلى العين الساخنة، حيث أحمل النقود فى يدى من المنزل إلى الحمام، ولكنى أحسست بعرق فى يدى من طول وضع النقود فيها، ففتحتها فإذا النقود مبللة بالعرق، فقلت لنفسى " أكيد أن " عاصفة الجبل "سوف يكون له تعليق سيئ على إعطائه نقودًا مبللة بالعرق " ولذلك وضعتها على مكتبه وجففتها من العرق ثم وضعتها فى يدى مرة أخرى، وحينئذ جاء أبو قميص أحمر وقال:

" أنا آسف، أكيد أننى سببت لك الإزعاج أمس بكلامى "

فقلت له:

" لا لم يكن هناك ازعاج، بل بالعكس أنا اشكرك، فلقد شعرت بالجوع من الهواء النقى للبحيرة وهذا شىء صحى "

وفجأة وضع أبو قميص أحمر مرفقه على مكتب "عاصفة الجبل" واقترب برأسه الكبير المفلطحة إلى وجهى من الجانب، فقلت لنفسى " ماذا سوف يفعل "، فإذا به يقول لى:

" إن ما أخبرتك به أمس فى القارب وقت العودة من البحيرة سر، لا تُخبر أحد بذلك مطلقًا وارجو أنك لم تفعل ذلك "

وإن أسلوبه فى الكلام الذى يشبه النساء يدل على أنه رجل قلوق، فقلت لنفسى " انا لم أخبر أحدًا بذلك ولكنى حضرت اليوم بنية أن اتحدث فى ذلك ولذلك أحضرت ينًا ونصفًا فى يدى، ولكن أن يمنعنى أبو قميص أحمر من الكلام فى ذلك الموضوع، فهذا أمر يضايقنى، أبو قميص أحمر له أسلوبه فى التفكير وأنا لى اسلوبى، وإذا لم يقل صراحة إن من يخدعنى ويحرض التلاميذ ضدى هو "عاصفة الجبل" لكن استنتاج ذلك أمير ليس بعسير، ويجب أن يفهم أبو قميص أحمر أن عدم كشف هذا السر الآن وتوضيح حقيقة هذا الأمر موضوع يسبب لى الضيق وفى نفس الوقت يدل على أن أبو قميص أحمر ليس أهل لأن يكون ناظر، من المفترض عندما تبدأ المعركة مع "عاصفة الجبل" ويرانى استخدم أسلحتى فى مواجة "عاصفة الجبل" أن يظهر أبو قميص أحمر ويقف معى ويشجعنى وبهذا يثبت أنه حقًا أهل لأن يكون ناظر وأنه واضح فى مواقفه مثل لون القميص الأحمر الذى يرتديه "

ثم اتجهت ناحيته وقلت له:

" لم أخبر أحد بما دار بيننا من حديث ولكنى أنوى التحدث مع "عاصفة الجبل" فى ذلك ووضع النقاط فوق الحروف "

فإذا به يقول لى فى تعجل شديد وارتباك:

" أنت، إذا فعلت تلك الحماقات فسوف نقع فى متاعب، أنـــا لا اتذكر أننى قلت لك إنه فعل ما يسىء إليك، فإذا أقـــدمت علـــى حماقة معه فسوف تسبب لى متاعب جمة "

ثم سألنى سؤال غريب وغير متوقَع حيث قال:

" أنت لم تأت إلى هذه المدرسة لكى تُسبب المشكلات، أليـــس كذلك ؟ "

فقلت له:

" طبعًا، كيف أحصل على راتب شهرى من المدرسة وأتسبب فى تذمر للتلاميذ يؤدى إلى حدوث مشكلة للمدرسة التى تعطينى راتبى الشهرى "

فإذا به يتصبب عرقًا ويقول وكأنه يتوسل لى:

" اعتبر إن ما قلته لك أمس مجرد كلام لعلمك فقط، ولا يجب أن يخرج من فمك لأحد "

فوعده قائلاً:

" إن كتمان هذا الأمر سوف يشعرنى بالضيق ولكن إذا كـــان الإفصاح عنه سوف يسبب لك المتاعب فسوف أتغاضـــى عـــن الإفصاح عنه من أجلك "

فإذا به يسألنى مؤكدًا مرة أخرى على طلبه:

" أمتأكد أنت أنك سوف تصمت ؟ "

فقلت لنفسى " أنا لا أعرف إلى أى مدى يكون هذا الشـــخص مثل النساء، إذا كان كل من يحمل شهادة ليســـانس آداب مثلـــه، فإنها مصيبة، يطلب منى شيئًا غير منطقى بطريقة عادية جـــدًا،

وفوق ذلك يتشكك فى أنى سوف أفعل ما يطلب، أنا رجل واضح وصريح، إذا وعدت لا احنث بوعدى.

ثم جاء المدرسان اللذان يجلسان على المكتبان اللذين على يمنى ويسار مكتبى، فعاد أبو قميص أحمر مسرعا إلى الجلوس على مكتبه، ولقد لاحظت أن ابو قميص أحمر يمشى بطريقة غير طبيعية فيها تصنع، فقد كان يذهب ويأتى داخل الحجرة وهو يضع باطن الحذاء على الأرض بهدوء حتى لا يؤدى إلى حدوث أصوات، ولقد كانت هذه أول مرة لى أن اعلم إن السير دون إصدار صوت شيء يدعو إلى الفخر، ولكنى أعتقد أن السير بطريقة طبيعية يصدر عنها أصوات هى الطريقة الصحيحة، إلا إذا كنت تتدرب على هذه المشية دون إصدار صوت لكى تكون حرامى، وبعد ذلك انطلقت سافرة النفير ببدء اليوم الدراسى، ومع ذلك فإن "عاصفة الجبل" لا يأتى، ولم يكن أمامى إلا أن أضع الين ونصف على مكتبى وأذهب إلى الفصل للتدريس.

تأخرت قليلاً فى إنهاء الحصة الأولى ولكن بعد أن انتهيت منها رجعت إلى حجرة الأساتذة، فوجدت الأساتذة يجلسون على مكاتبهم ويتبادلون الحديث، وكان "عاصفة الجبل" أيضًا موجودًا، اعتقدت أنه سوف يغيب ولكنه تأخر فى الحضور، وعندما شاهدنى قال لى:

" لقد تأخرت اليوم بسببك، من فضلك ادفع لى غرامة التأخير"

فأخذت الين والنصف اللذين كانا فوق مكتبى ووضعتهما أمامه وقلت له:

" خذ هذه النقود، ثمن الآيس كريم الذى دعوتنى عليه فى بداية حضورى إلى هنا "

فقال وهو يبتسم " ماذا تقول "

وعندما رآنى اتحدث بجد وأننى لا أقصد الدعابة قال:

" توقف عن هذا المزاح السخيف "

ثم أخذها من على مكتبه وألقاها على مكتبى، فقلت لنفسى " هذه هى طبيعة " عاصفة الجبل "، يريد أن يظل له فضل على الناس ولذلك لا يريد قبول ثمن الآيس كريم "

ثم قلت له:

" أنا لا أمزح، أنا جاد فيما أقول، ليس بينى وبينك علاقة وثيقة تجعلنى أتقبل منك أن تدعونى إلى آيس كريم ولذلك فأنا أدفع ثمن ذلك الآيس كريم، هل عندك سبب مقنع يجعلك ترفض أخذ ثمنه ؟ "

فإذا به يقول:

" إذا كان ذلك الأمر يشعرك بالضيق فسوف أقبل الحصول على الين والنصف ولكن لماذ تفعل ذلك الآن ؟، هل كنت ناسيًا وتذكرت الآن ؟ "

فقلت:

"سواء الآن أو أى وقت آخر فسوف أعيدها لك، لأنى اشعر بالضيق أن تكون لك علىّ فضل"

فإذا به ينظر إلىّ نظرة باردة ويقول باستهجان:

" ماذا ؟ "

وإذا لم يكن أبو قميص أحمر قد طلب منى أن أصمت لكنت قد كشفت عن وضاعته وتشاجرت معه شجارًا كبيرًا، ولكنى وعدت بألا ابوح بما سمعته من أبو قميص أحمر لأحد، ولذلك أحجمت عن فعل أى شىء، والغريب أنه برغم أن الدم كان يجرى فى عروق وجهى، فاحمَّر غضبًا، لكن كل ما فعله "عاصفة الجبل" هو أن يقول باستهجان " ماذا ؟ ".

ثم قال:

" حسنًا سوف آخذ الين والنصف ولكن من فضلك أترك شقتك"

فقلت:

" كل ما طلبته منك أخذ الين والنصف، أما أن أترك شقتى أم لا فهذا أمر يخصنى وأنا أقرر ما أفعل بالنسبة لذلك "

فقال:

" لا، ليس أمرًا تقرره بنفسك، أمس جاءنى مالك المنزل الذى تسكن فيه وقال لى إنه يريدك أن تترك منزله، وعندما سألته عن السبب وجدته محقًا فى أن يخرجك من منزله، وزيادة فى التأكيد ذهبت صباح اليوم إليه وعرفت تفاصيل الموضوع "

ولكنى لم افهم عما يتكلم " عاصفة الجبل ".

فقلت له:

" أنا لا أعلم ماذا قال لك صحاب المنزل ولكن ماذا يجب أن أفعل إذا كنت أصدرت قرار فى الأمر دون سماعى، إذا كانت هناك مشكلة فالمفروض أن تقص علىّ المشكلة أولاً، أما أن تسمع صاحب المنزل فقط وتقرر أن ما قاله صواب فهذا أسلوب غير محترم على الإطلاق ولا يجدر بك فعل ذلك "

فقال:

" إذا كنت تريد ان تسمع ماذا قال فسوف أقول لك، إن تصرفاتك فى المنزل غير محترمة ومالك المنزل وزوجته لا يعرفان كيف يتعاملان معك حيال ذلك، فإن زوجة مالك المنزل ليست بالطبع خادمة، فكيف تمد لها قدميك وتطلب منها أن تقوم بمسحهما، إن هذا التصرف ينم عن تكبر شديد "

فقلت:

" ماذا ؟ متى جعلتها تفعل ذلك ؟ هذا لم يحدث"

فقال:

" حدث هذا أم لا، المهم أنهم يقولون إنهم يشعرون بالضيق من وجودك عندهم، وإن العشرة أو الخمسة عشر ينًا التى تدفعها لهم كإيجار للشقة يحصلون عليها من بيع لوحة واحدة، ولذلك لا يريدونك أن تترك منزلهم "

فقلت:

" صاحب المنزل إنسان متبجح، إذا كان الأمر كما يقول فلماذا لم يقل ذلك قبل أن استاجر شقته ؟ "

فقال:

" لا أعلم لماذا قبل ان تستأجر شقته، ولكنه قال إنه أجر لك شقته ثم بعد ذلك شعر بالضيق من وجودك، ولذلك يريدك ان تترك منزله، فاترك له منزله "

فقلت:

" طبعًا سوف أفعل، حتى لو توسلوا لى أن أبقى فلن أفعل، ثم أنت السبب فى هذا، لأنك الشخص الذى أخذتنى إليهم "

فقال:

" أنا السبب أم إنك إنسان غير متعقل، أيهما ؟ "

"عاصفة الجبل" مثلى إنسان عصبى جدًا فكنت اتحدث بصوت مرتفع جدًا وهو يرد أيضًا بصوت مرتفع يدل على رغبته فى عدم الانهزام أمامى، والتفت الأساتذة الموجودين فى الاستراحة ينظرون فى دهشة ناحيتنا ليروا ما الذى حدث فجأة بيننا، وبما أننى لم أفعل ما يجعلنى أشعر بالخجل، فوقفت من على مقعدى ونظرت إلى جميع الحاضرين فى الإستراحة، فإذا بالجميع ينظرون فى دهشة واستغراب إلا صبى العالمة الذى كان يبتسم فرحًا، فنظرت شذرًا بعينى الواسعتين وتعبيرت وجهى تقول " وأنت هل تريد أن أتشاجر معك ؟ "، فإذا بتعبيرات وجهه الطويل الرفيع تتحول فجأة إلى الجدية، ووضح علية الخوف قليلاً، وفى ذلك الوقت انطلقت صافرة النفير فتوقفت أنا و"عاصفة الجبل " عن الشجار وذهبنا إلى الفصول للتدريس.

وبعد الظهر كان هناك اجتماع لمناقشة ماذا سوف نفعل بالنسبة لتلاميذ بيت الطلاب الذين تصرفوا بوقاحة بالنسبة لى فى

الليلة السابقة، وقد كان الاجتماع هو أول اجتماع لى فى حياتى فلم يكن عندى فكرة أبدًا عن كيفية سير الامور فى الاجتماع، وتوقعت أن يتجمع كل الأساتذة ويقول كل أستاذ ما يحلو له، ثم يقوم المدير فى النهاية بعمل مخلص لآراء الجميع يتوافق مع مايراه هو، مع أنه من المفروض أن عمل ملخص الآراء يجب أن يوصلنا فى النهاية إلى قرار واضح أبيض أو أسود، ولكن من خلال ملاحظة سير الموضوع إلى الآن، واضح لأى شخص أن عمل اجتماع ما هو إلا إضاعة وقت فقط، ولن يكون هناك آراء متباينة أو غير متوقعة، وبالتالى من الأفضل أن يُنهى المدير هذا الاجتماع بسرعة، حيث أنه لن يكون هناك قرار واضح فى هذا الموضوع بعقاب التلاميذ، والمدير بهذه الطريقة بدلاً أن يُقال عليه " مدير " يجب أن يُقال عليه " إنسان ضعيف لا يقوى على اتخاذ قرار واضح "

وحجرة الاجتماعات حجرة طويلة وضيقة وتتقع بجانب حجرة المدير وفى الأوقات العادية تُستخدم كحجرة طعام، ويوجد بها عشرون مقعدًا جلديًا أسود حول مائدة طويلة، وتذكرنى بمطعم مأكولات أوروبية فى منطقة " كَنْضَ " بطوكيو، ولقد علمت أن المدير يجلس على رأس المائدة ويجلس بجانبه أبو قميص أحمر فى وضع استعداد، ويجلس بقية الأساتذة على أى مقاعد يريدون الجلوس عليها، ماعدا أستاذ الألعاب الرياضية فيجلس فى نهاية المنضدة كنوع من التواضع، وبما أننى لا اعلم أين يجب أن اجلس فجلست بين أستاذ العلوم واستاذ اللغة الصينية، وعلى

الجانب الآخر أمامى يجلس أبو قميص أحمر وبجانبه صبى العالمة، ووصبى العالمة له وجه حقير ومنفِّر، وبرغم أننى تشاجرت مع "عاصفة الجبل" الآن إلا أن له وجهًا جذابًا، ويذكرنى بوجه كان فى صورة معلقة فى صالة معبد " يُوجِنْجِ " الموجود فى منطقة " كُبِنَطَ " بطوكيو والذى كنت قد ذهبت إليه عند إقامة عزاء أبى، فسألت الراهب حينذاك " صورة من هذه "، فأجابنى " إنها صورة إله الشر "، وبما أن أن "عاصفة الجبل" غاضب اليوم فإنه يُلقى بنظراته هنا وهناك وأحيانًا ينظر ناحيتى، فهل يعتقد أن نظراته هذه سوف تخيفنى !، طبعًا لن يحدث هذا، ولكى أُبين له أننى لن أنهزم ففتحت عينىّ عن آخرها ونظرت له شذرًا، وعيناى ليست جميلة المنظر ولكنهما أكبر من أغلب عيون الناس، لدرجة أن السيدة " كيو " كانت تقول لى:

" أنت ذو عينان كبيرتان ولذلك تصلح لأن تكون ممثلاً "

ثم قال المدير:

" هل الجميع حاضرون "

فقام السيد " كَوَمُرَ " بعد الحاضرين ثم قال " هناك شخص غير موجود " ثم حاول معرفة اسم الشخص الغائب ولكن هذا شىء لا يحتاج إلى تفكير، لقد كان الأستاذ " قرع أزرق " هو الذى لم يأتى بعد، وأنا لا اعرف ما العلاقة الأبدية التى تربطنى بالأستاذ " قرع أزرق "، ولكن منذ شاهدته أول مرة ولا تفارقنى صورة وجه أبدًا، عندما دخلت حجرة استراحة الأساتذة أول مرة كان موجود فيها وعندما أذهب هنا وهناك تتراءى له صورته

فى خيالى، وعندما أذهب إلى العين الساخنة، أحيانا أشاهد وجهه الشاحب منتفخاً داخل مياة العين، وعندم أُلقـى علـيـى التحيـة، يرتجف ثم يحنى رأسه مما يجعلنى أشعر بالحزن عليه، منـذ أن حضرت إلى هذه المدرسة لم اجد إنساناً أكثر هدوءً منـه، ولـم أشاهده يضحك مرة، ولم اسمعه يتلفظ بالسوء أبدًا، ولقد كنت قد عرفت معنى كلمة " إنسان مثالى " فقط من الكتب والبحث فـى المعاجم ولذلك اعتقدت أن "الإنسان المثالى" كلمة موجـودة فـى المعاجم فقط وليست إنسان حقيقيًا موجود فى الواقع، ولكن عندما قابلت الأستاذ " قرع أزرق " شعرت لأول مرة أن " إنسان مثالى " ليست كلمة فى المعاجم ولكن حقيقة واقعة.

وبما أننى أفكر فى الأستاذ " قرع أزرق " بعمـق إلـى هـذه الدرجة، فعندما دخلت حجرة الاجتماعات انتبهت على الفور لعدم وجوده، وفى الحقيقة أنا كنت قد قررت داخل نفسـى أن أجلـس بجانبه فى هذا الاجتماع، وحينئذ قال المدير عنه " أكيـد سـوف يحضر فى الحال " ثم فتح حزمة أوراق ملفوفة فى قماش حرير أُرجوانى ثم أخذ أوراقًا منسوخة بآلة ناسخة وبدأ فـى قراءتهـا، وبدأ أبو قميص أحمر فى تنظيف غليونـه الكهرمـانى بمنـديل حرير، وهذه كانت هوايته، وأنا أعتقد أنها هواية مناسـبة لـه، وكان هناك من هو مشغول بالحديث الخافت مـع مـن يجلـس بجواره، ومنهم من يشعر بالملل فمسك قلمه الرصاص وانشـغل بالكتابة بممحاة القلم على المنضدة، أحياناً يوجه صـبى العالمـة كلامه إلى "عاصفة الجبل" ولكن "عاصفة الجبل" لا يعيره انتباهًا

حقيقيًا، بل يرد عليه ردود قصيرة مثل " نعم، نعم " وأحياناً ينظر ناحيتى بنظرات مرعبة ولكنى ارد له تلك النظرات بنظـرات لا تقل عنها شذرًا.

وأخيرًا جاء "القرع الأزرق" الذى كنا ننتظره ودخـل وكـان يبدو عليه الخجل، ثم قام بتحية المدير (الكلب الراكون) واعتذر له عن التأخير بطريقة مؤدبة بسبب بعض المشاغل، وحينئذ قال المدير (الكلب الراكون):

" حسنًا، سوف نبدأ "

ثم أعطى السكرتير وهو السيد " كَوَمُرَ" الأوراق المنسـوخة، فقام بتوزيعها علينا، نظرت فيها فإذا بها موضـوعات المناقشـة وكان الموضوع الأول هو "العاقب" والثانى كان "انضباط التلاميذ " وكان هناك موضوعان آخران، ثم قال المدير (الكلب الراكون) كما هو معهود عنه بالتحدث بأسلوب فيه تفـاخر عـن التربيـة وكأنه هو "أبو التربية" ومَن يحدد مفهومها، فقال الآتى:

" عندما تحدث أخطاء من التلاميذ أو الأساتذه وتمس الـبعض بسوء، أشعر بالخجل فى داخلى أننى مدير وأقول نفسـى كيـف تكون مدير ويحدث ذلك، وأشعر الحزن، وبالنسبة لحادثة شـغب التلاميذ التى حدثت مؤخرًا وهى حادثة مؤسفة، فأنا اعتذر لكـم جميعًا أشد الاعتذار، وإن ما حدث قد حدث، مـا باليـد حيلـة وأرجو من حضراتكم التعبير عما تروه بخصوص ذلك لكى آخذ ذلك فى الاعتبار لحل تلك المشكلة "

وبعد أن استمعت إلى كلمة المدير (الكلب الراكون) قلت لنفسى:

" إنه ذكى، لقد قال إنه المسئول عن أى خطأ يحدث وبالتالى إذا كان هناك من يجب أن يُعاقَب فهو وذلك بأن يستقيل، وهذا يعنى أنه لن يعاقب التلاميذ وبالتالى ليس هناك أهمية لعمل هذا الاجتماع وبالمنطق فأنا قمت بالإشراف على التلاميذ، والذى سبب المشكلات التلاميذ أنفسهم وبالتالى من يجب أن يتحمل المسؤلية ليس المدير ولا أنا بل التلاميذ، وإذا كان "عاصفة الجبل" حرض التلاميذ فهو والتلاميذ يجب أن يتحملوا المسئولية، ولكن رغم أن الخطأ ليس خطأ المدير لكنه يقول مراراً وتكراراً أنه خطأه، هذا تصرف مخادع ولايوجد إنسان فى أى مكان يقبل أن يفعل ذلك، بل إن مَن يفعل تلك الإعمال البهلوانية المخادعة هو الكلب الراكون فقط".

وبعد هذا انتهى المدير من خطابه غير المنطقى نظر بزهو المنتصر إلى من حوله، فإذا بالجميع صامتون، أستاذ العلوم ينظر على غراب يقف فوق سطح أحد الفصول، وأستاذ اللغة الصينية مشغول بثنى الورقة المكتوب فيها موضوعات المناقشة ثم فردها مرة أخرى، و"عاصفة الجبل" ما زال يرمقنى بنظرات حادة، فإذا كان هذا هو الاجتماع فكان من الأخرى الغياب عنه والخلود إلى نوم القيلولة.

فشعرت بالضيق من الجلوس هكذا وهممت على الوقوف وإلقاء خطاب جيد، وإذا بأبو قميص أحمر يبدأ فى الكلام، فتراجعت وجلست، فأطفأ الغليون ومسح وجهه بمنديلاً حرير مخطط وبدأ فى الكلام، وأكيد أنه قد حصل عليه من صديقته

المادونا، حيث أنه من المفترض أن الرجل يستخدم منديل أبيض مصنوعًا من الكتان، وقد قال:

" بصفتى الناظر عندما سمعت عن شغب التلاميذ شعرت بالضيق الشديد أيضًا، وشعرت بالخجل الشديد من تصرفاتهم غير المؤدبة الناتجة عن تقصيرى فى تربيتهم، وقد يتضح من تصرفات التلاميذ أنهم فقط السبب ولكن ربما هناك أسباب أخرى وعندما نفكر فى الأمر بنظرة عميقة نجد أن المسؤلية تعود على المدرسة، ولذلك إذا نظرنا إلى الأمر بطريقة سطحية وعاقبناهم بشدة فسوف يؤثر ذلك على مستقبلهم بطريقة سيئة، وبما أنهم صغر السن فهم طائشون وعندهم نشاط زائد ولا يفكرون فى إذا كان ما يفعلونه خير أو شر، فقاموا بتصرفهم هذا دون وعى تام بخطورة ما فعلوه، بل فعلوه كنوع من الشقاوة البريئة، ولكن القرار الأخير بالنسبة لهذا الموضوع يرجع إلى المدير ولذلك لا استطيع أن أقول يجب فعل كذا ولكنى أرجو أن تراعوا ظروف أنهم أطفال وبالتالى أن يكون هناك قرار يستند إلى الرحمة "

فقلت لنفسى " إن المدير (الكلب الراكون) وابو قميص أحمران ذكيان فى الخداع ولكن لكل منهما أسلوبه فى الخداع، فإنهما قالا أن التلاميذ ليسوا مذنبون ولكن المذنب هو الأساتذة، وكأنهم يقولون إذا ضرب مجنون شخص فى رأسه فهذا يعنى أن الشخص المضروب هو المذنب وليس الشخص الضارب، كلام جميل من كليهما، ولكن إذا كان التلاميذ عندهم نشاط زائد فلماذا لا يذهبون إلى الملعب ويقومون بلعب المصارعة مثلاً، وهل من

الواجب علىّ أن اتحمل وضعهم لى جراد داخل فراشى لأنهم لا يعون جيدًا مايفعلون !، ومن خلال الطريقة التى يتحدث بها كلاهما يمكن القول أنه إذا قاموا بقطع رقبتى وأنا نائم فلن يُعاقَبوا لأنهم لا يعوون جيدًا مايفعلون.

وبينما كنت أقول لنفسى "سوف أقول شيئًا ولكن إذا تحدثت فيجب أن أتحدث بطريقة فصيحة تذهل السامعين وإلا سوف أضع نفسى فى موقف سيئ، وإحدى عاداتى السيئة أنه عندما اتحدث وأنا غاضب أتحدث قليلاً ثم أتوقف عن الكلام ولا يخرج من فمى بقية ما أريد قوله، وإذا قارنت نفسى بالمدير (الكلب الراكون) وأبو قميص أحمر، فإنهما من ناحية الشخصية أقل منى ولكن من ناحية فصاحة اللسان فهما أفضل منى بكثير، ولذلك يجب علىّ أولاً أن أبدأ بإظهار عيوب ما قِيل حتى الآن وإلا لن يكون لحديثى فائدة "

ثم بدأت فى داخلى بالتفكير فى النقاط التى سوف أقولها وعمل صياغة لغوية لها، ولكن بينما كنت أفعل ذلك، فإذا بصبى العالمة والذى كان يجلس فى مواجهتى يقف فجأة، فقلت لنفسى "حتى صبى العالمة أيضًا له وجهة نظر فى موضوعى، يالله العجب" ثم بدأ فى الحديث بطريقته التهكمية المعتادة فقال:

" فى الحقيقة أن حادثتى الجراد والصراخ اللتين سببهما التلاميذ جعلتنا نحن الأساتذة نشعر بأنهما حادثتان غريبتان وتجعلنا نشعر بالخوف والقلق من خطر عدم الحفاظ على مبادئ مدرستنا مستقبلاً، وإن ما حدث فرصة لنا نحن الأساتذة يجب

أن نستغلها لنحاسب أنفسنا على تقصيرنا فى تربية التلاميذ على حُسن الخلق وأن نضع قواعد للمدرسة أكثر حزمًا حتى لا يتكرر ذلك، وإن ما قاله المدير ثم الناظر مناسب جدًا للتعامل مع تلك المشكلات وأنا موافق على كل ما قالا وأرجو أن يكون هناك قرارًا رحيمًا "

وبالتأكيد أن ما قاله صبى العالمة يُقال عنه لغة ولكن لغة لا تؤدى إلى معنى، فلقد قام بوضع كلمات من اللغة القديمة واحدة تلو الأخرى ولكن كل تلك الكلمات لا تؤدى إلى معنى عام، وكل ما فهمته من كلامه فقط قوله " أنا موافق على كل ما قالا "

لم أفهم ما قاله صبى العالمة ولكنى شعرت بغضب شديد مما قيل فوقفت دون أكون قد انتهيت من ترتيب ذهنى عما سأقول ثم قلت:

" أنا معترض على كل هذا الكلام "

ولم يخرج من فمى باقى الكلام الذى أريد قوله بسرعة، وبعد برهة أضفت:

" أنا أكره جدًا هذه الطرق المائعة فى التعامل مع المشكلات "

فإذا بجميع الأساتذة ينفجرون ضحكًا، ثم قلت:

" التلاميذ مذنبون جدًا، وإذا لم نجعلهم يعتذرون سوف يعتادون على ارتكاب تلك الأخطاء، وإذا كان الأمر يتطلب رفتهم من المدرسة فيجب رفتهم، وإن ماحدث ما هو إلا إهانة لأستاذ جديد فى هذه المدرسة "

ثم جلست، وإذا بأستاذ العلوم والذى يجلس على يمينى يقول قولاً ضعيفًا حيث قال:

" من ناحية أن التلاميذ مذنبون فهم مذنبون ولكن عقابهم بشدة يؤدى إلى نتيجة عكسية؛ حيث ستكون هناك حركة معارضة منهم تؤدى إلى أن تسوء الأمر أكثر، ولذلك فأنا أوافق على ما قاله الناظر فى استخدام سياسة اللين"

ثم وافق أستاذ اللغة الصينية والذى كان يجلس على يساره على استخدام سياسة اللين، وقال استاذ التارخ أنه موافق على رأى الناظر باستخدام اللين، شىء يدعو إلى الغضب الشديد، فقلت لنفسى "أغلبهم فى جانب أبو قميص أحمر، وإنه من الأفضل لى أن انسحب من هذه المدرسة التى تحتوى على مجموعة مثل هؤلاء، ولقد اتخذت قرار سابقًا بإما الاعتذار أو ترك العمل، فإذا فاز حزب ابو قميص أحمر فسوف ارجع منزلى بسرعة وأُعد أمتعتى للرحيل، وعلى كل حال إذا قفت وتحدث إليهم بغية أن يقتنعوا بكلامى فلن يقتنعوا، وإذا استطعت فعل ذلك، فسوف أضطر إلى التواجد هنا والتعامل معهم إلى الأبد، وهذا ما لا أريده، وإذا تركت المدرسة فلن يكون مهم ماذا يحدث لها، وإذا قلت شيئًا آخر الآن سوف يضحكون، ولذلك قررت ألا أتكلم".

وإذا بـ"عاصفة الجبل" الذى كان يستمع وهو صامت، يقف بشجاعة، فتوقعت أن يقول:

" أيها الرجل، أنا أُؤيد أبو قميص أحمر، على كل حال نحن أعداء، أفعل ما يحلو لك "

ولكنه صاح بصوت يهز زجاج النوافز وقال:

" أنا غير موافق مطلقًا على ما قاله الناظر والأساتذة المؤيدون له، بمعنى أننا إذا فكرنا فى هذه المشكلة من أى جانب فسوف نجدها ما هى إلا عدم احترام بل إزدراء من جانب تلاميذ بيت الطلاب والبالغ عددهم خمسون ضد أستاذ جديد ولا يمكن تصور شىء آخر غير ذلك، ويقول الناظر إن السبب فيما حدث هو شخصية الأساتذ المشرف فى تلك الليلة ولكنى أرى أن ذلك ذلة لسان منه، فالأستاذ الذى تم تكليفه بالإشراف على بيت الطلاب كان قد جاء حديثًا إلى المدرسة منذ مدة قصيرة، ولم يكن قد تعامل مع التلاميذ إلا عشرين يومًا فقط وهى غير كافية لمعرفتهم، ولا يمكن للتلاميذ أن يعرفوا شخصيته أو إذا كان أستاذًا جيدًا أم لا فى عشرين يومًا فقط، لأنها مدة قصيرة، أكيد لم يكن هناك سبب مقنع لذلك الإزدراء، واستعمال الرأفة مع تلاميذ غير محترمين أهانوا أستاذًا جديدًا دون سبب مقنع مسألة تؤثر على كرامة المدرسة، إن التعليم لا يعنى تعليم التلاميذ العلم فقط، بل تعليمهم الفضيلة مثل السمو والصدق والشرف والبعد عن الرذيلة مثل الوضاعة والتفاهة والأنانية، فإذا كنتم خائفين من رد فعل التلاميذ إذا عاقبتموهم، فإن الشغب الذى يسببونه سوف يزداد، وسوف يأتى اليوم الذى تقولون فيه أنكم تعاملتم بتساهل مع هذا الموقف وتقولون متى يمكن إصلاح عاداتهم

السيئة هذه !، فنحن نعمل فى هذه المدرسة من أجل تغيير عادات التلاميذ السيئة، وإذا نظرنا إلى هذه الواقعة ولم نفعل شيئًا فكان من الأفضل ألا نصبح أساتذة، وعلى هذا فأنا أرى أن التعامل المناسب مع هذه المشكلة يكون بعقاب جميع تلاميذ بيت الطلاب بشدة، وفوق ذلك الاعتذار إلى الأستاذ المشرف حينذاك أمام الجميع".

ثم جلس مرة واحدة، فصمت الجميع، وبدأ أبو قميص أحمر مرة أخرى يمسح غليونه، ولا اعرف لماذا ولكنى شعرت بسعادة غامرة، فلقد قال "عاصفة الجبل" بدلاً عنى ما كنت أريد قوله، وأنا إنسان بسيط ولذلك نسيت الشجار والخلافات التى بينى وبين "عاصفة الجبل" تمامًا، فنظرت ناحية "عاصفة الجبل"، بوجه يظهر عليه علامات الشكر ولكنه تجاهلنى تمامًا.

وبعد مدة قصيرة وقف "عاصفة الجبل" مرة أخرى ثم قال:

" لقد نسيت أن أقول شيئًا، لقد علمت أن الأستاذ المشرف فى تلك الليلة ترك الإشراف وذهب إلى العين الساخنة، وهذا تصرف غير مسؤل، وحتى إذا لم يكن يرغب فى أن يقوم بالإشراف، لكن القيام به كان مسؤليته، لم يكن هناك من يقول له لا تترك مكان الإشراف وهذا خطأ كبير، وبصرف النظر عن تصرفات التلاميذ لكنى أود من المدير أن ينبه المسؤل عن الإشراف إلى ما يجب فعله "

فقلت لنفسى " شخص عجيب، كان يمدحنى الآن ولكنه بعد ذلك على الفور ينقدنى بالتحدث عن أخطائى، ولكنى رأيت من

كان يقوم بالإشراف عند وصولى إلى تلك البلدة كان قد ترك الإشراف وخرج، فقلت لنفسى إن ذلك شيء معتاد وعادى ففعلت مثله دون معرفة أن ذلك خطأ، وبالتالى قلت لنفسى أن أذهب إلى العين الساخنة، ولكن بعد أن سمعت الآن كلام " عاصفة الجبل "، علمت أننى مخطأ، وأننى لا استطيع أن ألوم "عاصفة الجبل" على هجومه علىّ فى ذلك "، ولذلك وقفت وقلت:

" فى الحقيقة أننى ذهبت إلى العين الساخنة أثناء نوبتى فى الإشراف، فأنا قد أخطأت وأعتذر عن ذلك الخطأ "

ثم جلست، فإذا بالجميع يضحك مرة أخرى.

وبعد ذلك قال المدير:

" يبدو أنكم انتهيتم من عرض آرائكم، سوف أفكر جيدًا ثم اتخذ القرار المناسب "

وبالمناسبة فإن القرار الذى اتخذه المدير كان منع تلاميذ بين الطلاب من مغادرة البيت لمدة أسبوع وأن يعتذروا لى، لو لم يعتذروا لى لكنت قد استقلت وعدت إلى موطنى ولكن للأسف جاءت النتيجة على عكس ما أردت فاعتذروا، جاءت كما طلبت أن تكون ولكن هذا أدى إلى حدوث مشكلات كبيرة، وسوف اتحدث عن ذلك لاحقًا، ولقد استمر الاجتماع وقال المدير:

" يجب تصحيح العادات السيئة للتلاميذ على يد الاساتذة ولكن فى البداية يجب على الأساتذة عدم ارتياد المطاعم والمقاهى، إلا إذا كان هناك حفلة توديع شخص او أى مناسبة رسمية أخرى

ولكن الذهاب إلى المطاعم أو المقاهى الغير راقية منفردًا ممنوع، مثلاً مطاعم المكرونة أو مطاعم لقمة القاضى "

وعندما قال ذلك ضحك الجميع، ونظر صبى العالمة إلى "عاصفة الجبل" وقال " مكرونة بالخضراوات " وهو يغمز بعينه إليه ولكن "عاصفة الجبل" لم يعره اهتمامًا، فشعرت بالسعادة من رد فعل "عاصفة الجبل" على صبى العالمة هذا.

فقلت لنفسى " لأنى إنسان غبى فلم أفهم جيدًا ما قاله المدير (الكلب الراكون)، فأنا إنسان أحب الأكل، فكيف لى إذا أردت أن أستمر فى عملى كأستاذ إعدادى ألا أذهب للمطاعم !، هذا أمر لا أستطيعه، فإذا كانوا يريدون ذلك فأنا موافق على كلامهم ولكن يجب عليهم أن يعلنوا أنهم يريدون مدرسًا لا يحب المكرونة ولقمة القاضى قبل أن يُلحقوه فى العمل، ولكن إصدار أمر عقاب لى بعدم أكل المكرونة أو لقمة القاضى دون شرح الأسباب لهو ضرر كبير لى وخاصة أننى ليس لى اهتمامات أخرى غير الأكل "، وفجأة تحدث أبو قميص أحمر مرة أخرى وقال:

" فى الأصل أستاذ الاعداداى إنسان له مكانة اجتماعية مرموقة، ويجب عليه ألا يكون له اهتمامات مادية فقط، لأن الاهتمام الشديد بالنواحى المادية يؤثر على الشخصية تأثيرًا سيئًا، ولكن لأن استاذ الإعدادى إنسان فمن الطبيعى أن يكون له بعض الاهتمامات وخاصة إذا جاء إلى بلدة صغيرة ريفية مثل هذه فلن يستطيع العيش دون أن يكون له بعض الاهتمامات، فيجب أن

يكون له بعض الاهتمامات الروحانية السامية مثل الصيد أو قراءة الأدب أو كتابة الشعر الحديث أو القديم "

واستغل أبو قميص أحمر صمت الجميع واستمر فى كلامه ولكنى قلت لنفسى " إذا كان الذهاب إلى البحيرة واصطياد الأسماك التى لا تصلح إلا إلى أن تكون سماد للتربة، والتحدث عن الأديب الروسى " جُرْكِ " ووقوف صديقته المادونا تحت شجرة الصنوبر وقراءة شعر مثل: الضفدع قفز فى البحيرة القديمة: يُعتبر اهتمامات روحانية فإن أكل المكرونة بالخضراوات ولقمة القاضى أيضًا اهتمامات روحانية، ومن الأفضل لأبو قميص أحمر أن يرجع منزله ليغسل قميصه الأحمر بدلاً من الإهتمام بتلك الأشياء السخيفة "، ولقد شعرت بالغضب الشديد مما قاله فقلت له:

" وهل ملاقاة صديقتك المادونا أيضًا نوع من الاهتمامات الروحانية ؟ "

ورغم أننى عندما أقول شيئًا يضحك الجميع ولكن هذه المرة لم يضحك أحد، فلقد تغيرت ملامح وجوههم إلى التعجب ونظر كل منهم إلى الآخر، ونظر أبو قميص أحمر إلى أسفل فى ضيق، ثم قلت له فى نفسى " خذ هذه الضربة، بالتأكيد كان لها صدى كبير "، ولكن الشيء الوحيد الذى جعلنى اشعر بالحزن بعد أن قلت ذلك كان أن وجه "القرع الأزرق" الشاحب ازداد شحوبًا.

الفصل السابع

وفى ليل ذلك اليوم تركت المنزل الذى كنت أسكن فيه؛ حيث عدت إلى المنزل وبدأت فى جمع أمتعتى وتجهيزها لترك المكان وحينذاك جاءت زوجة صاحب المنزل وقالت:

" هل حدث ما لا ترضى عنه ؟ إذا كان هناك ما جعلك تغضب، فتحدث وسوف أحل المشكلة "

فشعرت بالدهشة من قولها هذا، ولماذا الدنيا مليئة ببشر غير واضحين مثل زوجة صاحب المنزل هذه، فأنا لا اعرف إذا كانت تريدنى أن ابقى أو ارحل، يبدو لى أنها مجنونة، وإذا تشاجرت مع هذه المجنونة ، سوف أدنس الشهرة الجيدة لرجال طوكيو بما أننى من طوكيو، ولذلك تركتها وذهبت فأحضرت عربة تُدفع باليد ووضعت عليها أمتعتى ورحلت فى الحال.

قالوا ارحل عن المنزل، فرحلت ولكنى لا أعرف اين أذهب، وإذا بسائق العربة يقول لى:

" إلى أين سوف تذهب ؟ "

فقلت له:

" اتبعنى فى صمت، وسوف أخبرك لاحقًا "

ثم سرت بسرعة، وفكرت فى الذهاب إلى فندق " يَمَشِـرُيا " الذى كنت أقيم فيه سابقًا بدلاً من البحث عن مكان آخر ولكن إذا نزلت فى ذلك الفندق فسوف أضطر مرة أخرى إلى تركه والبحث عن منزل أسكن فيه وهذا شيء متعب ولذلك تراجعت عن تلك الفكرة، وبينما كنت اسير وانظر على اللافتات ربما أرى لافتة عن شقة للإيجار، وقلت لنفسى إن السماء سوف تحدد لى أين أسكن، وبينما كنت اسير هنا وهناك فى منطقة هادئة وجميلة للسكن إذا بى قد وصلت إلى مدينة " كَجِيَتشو "، وهى مدينة يسكنها عائلات المحاربين ولا يوجد فيها منازل للإيجار، ولذلك قررت أن أغير اتجاهى وأذهب إلى حى شعبى ولكن فى تلك اللحظة خطرت على ذهنى فكرة جيدة، وهى أن الأستاذ الذى أحبه وأحترمه وهو الأستاذ "القرع الأزرق" يعيش فى هذه المدينة، وبما أنه من سكان تلك المدينة أبًا عن جد فهو بلا شك يعرفها جيدًا، فإذا طلبت منه أن يدلنى على شقة جيدة للسكن فسوف يدلنى، ومن حسن حظى أننى حضرت مرة سابقة إلى منزله لإقاء التحية عليه وبالتالى أنا أعرف مكان منزله ولن اتعب فى البحث عنه، ولقد جئت عند منزل وقلت لنفسى " هذا هو المنزل " وإذا به المنزل فعلاً، فصحت " معذرة " مرتين، فخرجت لى سيدة فى الخمسين من العمر تمسك شمعة على

الطراز القديم، وإن كنت لا أكرة الصبايا ولكنى عندما أشاهد سيدة مسنة أشعر بالحنين إلى الماضى، فأنا أحب السيدة " كيو "بشكل عام وعندما أشاهد سيدة مسنة أشعر أن روح السيدة " كيو " موجودة فى تلك السيدة، فتوقعت أن تكون غالبًا تلك السيدة هى أم "القرع الأزرق" وكانت سيدة ذات شعر قصير ويبدو عليها العظمة وتشبه " القرع الأرزق " كثيرًا، وقالت لى:

" تفضل بالدخول "

فقلت لها:

" أرجو أن تخبريه أننى أريد أن أقابله لبرهة هنا على مدخل المنزل "

فجاء وشرحت له الموقف وطلبت منه أن يدلنى على منزل للسكن إذا كان يستطيع، فقال لى:

" أنت فى موقف صعب "

ثم فكر برهة وقال:

" فى المدينة التى تقع خلفى يوجد عائلة اسمها عائلة السيد " هَجِنُ " وهى عائلة تتكون من زوج وزوجة مسنين، ولقد قالا لى يومًا ما:

" إن منزلنا فيه شقة خالية وإن تركها هكذا شىء غير مفيد لأحد، فإذا كنت تعرف شخصًا جيدًا يريد السكن فيها فلتخبرنا بذلك "

ولا أعرف إذا كان هذا المكان مازال خاليًا أم لا وهل مازالا يريدان تأجيره أم لا ولكن على العموم دعنا نذهب ونسأل "

ثم تكرم واصطحبنى معه إلى هناك.

ومنذ تلك الليلة سكنت فى منزل عائلة السيد " هَجِنُ "، ولكنى تعجبت بشدة من أنه بعد أن تركت شقتى السابقة فإذا بصبى العالمة يستأجرها من اليوم التالى لخروجى منها ويتصرف بطريقة عادية وكأن لم يفعل شيئًا يخجل منه، فقلت لنفسى " يالها من وقاحة، يبدو أن الدنيا مليئة بالمخادعين، وكل مخادع يخدع المخادع الآخر، يالها من دنيا قذرة، إذا كانت الدنيا خداعًا مثل هذا، فيجب أن أكون مخادعًا أيضًا وإلا لن أستطيع العيش فيها، هل إذا لم اسرق من السارق لن استطيع الحصول على الثلاث وجبات التى اتناولها يوميًا!، وإذا شنقت نفسى فسوف يكون ذلك إساءة لأجدادى وسمعة سيئة لى، وعندما أفكر الآن أعتقد أنه كان من الأفضل لى أن استخدم الستمائة ين التى ورثتها عن والدى وافتح بها محل ألبان من دخول مدرسة العلوم وتعلم الرياضيات، وإذا كنت فعلت ذلك لكانت السيدة كيو معى وعشت وأنا غير قلق عليها وهى تعيش بعيدة عنى كما أفعل الآن، لم أفكر فى كم هى سيدة جيدة عندما كنت معها ولكن عندما جئت إلى هذا الريف علمت كم هى إنسانة عظيمة، ولو سرت داخل اليابان على الأقدام أبحث عن سيدة طيبة مثلها فلن أجدها، وعندما كنت على وشك ترك كيو والحضور إلى هنا كانت مصابة بنزلة برد، ولكنى لا اعرف ماذا حدث لها بعد ذلك وهل هى الآن بخير أم لا، وعندما يصلها الخطاب الذى كتبته منذ عدة

أيام بالتأكيد سوف تفرح، ولقد حان وقت تلقى الرد منها "، ولم أفكر فى شىء آخر خلال الثلاثة أيام الأخيرة إلا ذلك فقط "

وبما أننى مشغول بالتفكير فى السيدة " كيو " فأحيانًا أسأل زوجة صاحب المنزل:

" هل وصلنى خطابات من طوكيو "

فتقول ووجها يكسوه الحزن علىّ:

" لا.. لم يصل أى خطابات "

ومالك هذا المنزل وزوجته يختلفان عن مالك المنزل السابق وزوجته، ومالك هذا المنزل وزوجته فى الأصل من عائلات النبلاء ولذلك فهما مهذبان، فعندما يأتى المساء ينشد صاحب المنزل أشعارًا يابانية بصوت غريب مثل الصوت الأوبرالى، ولكنه لا يفعل مثل صاحب المنزل السابق فلا يأتى دون دعوة ويشرب الشاى الخاص بى وبالتالى هو أفضل لى بكثير من مالك المنزل السابق، وأحيانًا تأتى زوجة صاحب المنزل إلى شقتى وتحدثنى عن أشياء كثيرة، فتقول لى:

" لماذا لم تصطحب زوجتك معك لتعيشا سويًا هنا "

فقلت لها:

" هل يبدو لك أننى متزوج ؟ للأسف أنا فقط فى الرابعة والعشرين من العمر "

فإذا بها تقول فى البداية:

" من الطبيعى أن أن يكون لك زوجة وأنت فى الرابعة والعشرين "

ثم قالت:

" فلان الفلانى تزوج فى عمر الإثنين والعشرين عامًا، وعلان العلانى تزوج وأنجب وهو فى عمر الثانية والعشرين "

فأذهلتنى بكلامها الذى يُناقض فكرتنى عن الزواج وذلك بذكر حوالى أسماء نصف دستة من الشباب الذين تزوجوا فى ريعان شبابهم، فرددت عليها بلهجتها وقلت:

" إذا كان الأمر كذلك، فأنا أريد أن أتزوج وأنا فى هذا العمر، فمن فضلك ساعدينى فى العثور على زوجة "

فسألتنى:

" هل فعلاً أنت جاد فيما تقول ؟ "

فقلت:

" نعم بالتأكيد، أريد أن اتزوج ولا أستطيع الصبر أكثر من ذلك "

فقالت:

" نعم، من الطبيعى ألا تستطيع الصبر فى هذ العمر فيجب أن تتزوج مثل أى شاب آخر "

فشعرت أن ما تقوله حقيقة مرة وكلام صريح وشعرت بالخجل فلم استطع التعليق على قولها هذا، ثم قالت:

" ولكن بالتأكيد أنت متزوج يا أستاذ، أنا اعلم ذلك من خلال ملاحظتى لك فأنا عندى خبرة "

فقلت لها:

" بالتأكيد أن لك خبرة، ولكن كيف عرفت أننى متزوج ؟ "

قالت:

" لماذا ؟ لأنك تسألنى كل يوم ألـم تصـلنى خطابـات مـن طوكيو، فأنت تنتظر بفارغ الصبر وبشوق للخطابات من طوكيو"

فقلت لها:

" لقد انبهرت بذلك، أنت فعلاً عندك خبرة "

فقالت:

" هل أنا صائبة فيما اقول ؟ "

فقلت لها:

" ربما تكونين كذلك "

فقالت

" ولكن نساء اليوم لسن كنساء زمان، يجب أن تكـون حـذرًا وذلك بأن تتواصل معها باستمرار ولا تغفل عنها "

فقلت:

" ماذا تعنين بذلك ؟ هل تعنين أن زوجتى تتخذ لها عشيقًا فى طوكيو ؟ "

فقالت:

" لا اقصد ذلك، زوجتك ليست هى التى تفعل ذلك "

فقلت:

" لقد شعرت بالراحة أن قلت ذلك، إذن احذر من ماذا ؟ "

فقالت:

" ليس هناك ما يجعلك تقلق على زوجتك ولكن "

فقلت:

" ولكن ماذا ؟ "

فقالت:

" ولكن النساء الذين لسن كذلك هنا كثيرات، ألا تعرف السيدة الشابة التى اسمها طُيَم؟"

فقلت:

" لا اعرفها "

فقالت:

" أنت لا تعرفها بعد، ولكنها الأكثر جمالاً هنا، ولجمالها الخلاب فإن أساتذة المدرسة يطلقون عليها مادونا، ألم تسمع بذلك؟"

فقلت:

" لقد سمعت اسم مادونا ولكنى اعتقدت أنه اسم راقصة وهى صديقة شخص اعرفه "

فقالت:

" لا ليس هكذا، ألا تعرف إنها كلمة أجنبية تعنى جميلة ؟ "

فقلت:

" ربما كلامك صحيح، إنى مندهش "

فقالت:

" إن من أطلق عليها هذا الاسم هو أستاذ الرسم الكبير "

فقلت:

" هل تقصدين أستاذ الرسم الذى يصطحب الأستاذ الذى يرتدى قميصًا أحمر هو الذى اطلق عليها اسم مادونا ؟ "

فقالت:

" لا، بل الأستاذ الذى يرتدى قميصًا أحمر "

فقلت:

" وهل مادونا هذه هى من نساء اليوم الذين لا يحافظن على أنفسن ؟ "

فقالت:

" نعم كذلك "

فقلت:

" ياله من عار، لا توجد امرأة منذ قديم الأزل لها اسم شهرة وتكون امرأة جيدة !، أليس كذلك ؟ "

فقالت:

" نعم هذا صحيح، حتى فى المسرحيات اليابانية الشخصيات النسائية التى لهن أسماء مستعارة كن سيئات الخلق ومخيفات "

فقلت:

" وهل مادونا مثل تلك النساء ؟ "

فقالت:

" هل تعرف أن مادونا هذه كانت مخطوبة إلى الأستاذ الذى قدمك لنا ؟ "

فقلت:

" هذا كلام عجيب، لم أكن اعلم أن هذا الأستاذ محبوب من الجنس الناعم إلى هذه الدرجة، يجب أن أحذر من الحكم على الناس من خلال مظهرهم "

ثم قالت:

" كانوا أغنياء ولهم أسهم فى البنوك وحالهم على ما يرام، ولكن أباه مات العام الماضى فتبدل حالهم فجأة وأصبحوا فقراء، هو أنسان طيب جدًا ولذلك خُدِع، فقد قامت بتأجيل موعد الزواج من الأستاذ الذى قدمك لنا وحين ظهر الناظر وطلب يدها للزواج "

فقلت:

" أبو قميص أحمر هذا إنسان حقير، كنت أشعر أن النار لون قميصه فقط ولكن يبدو أنه قلبه أيضًا، ثم ماذا حدث؟ "

فقالت:

" وبعد ذلك طلب الناظر من بعض معارفه التدخل عند عائلتها لمساعدته فى إقناعهم بالزواج من ابنتهم ولكنهم قالوا لهم أنهم عاهدوا الأستاذ الآخر على أن يتزوجها وبالتالى لا يستطيعون نقض هذا العهد بسرعة وأنهم يريدون مهلة من الوقت للتفكير فى ذلك، ولكن الناظر استعان ببعض المعارف الذين سهلوا له الذهاب كثيرًا إلى منزل عائلتها، ورويدًا رويدًا استطاع أن يستميل قلبها، وإن الجميع يرى أن تصرفات كليهما سيئة، فبرغم معرفة الناظر بأنها مخطوبة فما زال يذهب إلى منزلها حتى الآن، وهى تجاوبت معه رغم أنها مخطوبة لغيره، إن ما يفعلانه خطيئة، فهل تعتقد أن الرب سوف يرضى عن ذلك ؟ "

فقلت:

" طبعًا لا يرضى عن ذلك أبدًا "

وقالت:

" فشعر الأستاذ " هُطَّ (عاصفة الجبل) " بالحزن على صديقه الأستاذ " كُجَ (القرع الأزرق) " الذى هو خطيب " طُيَمَ "، فذهب إلى الناظر ليطلب منه البعد عن خطيبة صديقه ولكن الناظر قال له ليس لديه النية للتدخل لفسخ تلك الخطوبة ولكن إذا تم فسخها فسوف يطلب يدها وإن كل ما يفعله الآن أنه يزور عائلتها كصديق للعائلة وهذا ليس له علاقة بالخطوبة ولا إساءة للأستاذ " كُجَ (القرع الأزرق) "، فلم يجد الأستاذ " هُطَّ (عاصفة الجبل) " فائدة من الحديث مع الناظر أكثر من ذلك، ويُقال إن علاقتهما ساءت منذ ذلك الحين "

فقلت:

" أنت تعلمين أمورًا كثيرة، لماذا تعلمين تفصيليًا مثل تلك الأمور، إننى منبهر بمعرفتك كثيرًا من الأمور "

فقالت:

" نحن نعيش فى مجتمع صغير وبالتالى أعلم كل ما يدور فيه "

فقلت لنفسى " إنها تعلم أكثر من اللازم مما يجعلنى اشعر بالضيق، وبما أنها تعلم الكثير فربما تعلم موضوع المكرونة بالخضراوات وموضوع لقمة القاضى، إنى اعيش فى مجتمع يجلب المشكلات، ولكن بفضل ما ليها من معلومات استطعت معرفة معنى كلمة مادونا ومن المقصود بها ومعرفة العلاقة بين ابو قميص أحمر و"عاصفة الجبل" والتى سوف تفيدنى كثيرًا فيما بعد، ولكنى لا استطيع بعد تحديد أيهما الشخص السيئ، فأنا

إنسان بسيط فى تفكيرى إذا لم أحدد الأبيض من الأسود فلا استطيع تحديد إلى جانب من أقف، فقلت لها:

" أيهما الشخص الجيد؟ أبو قميص أحمر أو "عاصفة الجبل"؟ "

فقالت:

" من هو "عاصفة الجبل" ؟ "

فقلت:

" أنا أطلق على الأستاذ هُطَّ اسم "عاصفة الجبل". "

فقالت:

" بالنسبة للقوة فإن هُطَّ أقوى من أبو قميص احمر ولكن بالنسبة للشهادة والوظيفة فإن أبو قميص أحمر أفضل من هُطَّ، وبالنسبة للطيبة فإن أبو قميص أحمر أطيب من هُطَّ ولكن بالنسبة للسمعة بين التلاميذ فإن هُطَّ أفضل من أبو قميص أحمر".

فقلت:

"يعنى أيهما الأفضل؟".

فقالت:

"يعنى من يحصل على راتب أعلى هو الأعظم".

فقلت لنفسى " إنها لا تفهم ماذا أعنى وبالتالى ليس هناك فائدة من الكلام معها فى هذه النقطة " ثم أنهيت حديثى معها، وبعد عدة أيام عدت من المدرسة فوجدتها تبتسم وتقول:

" أخيرًا جاء ما تنتظره بفارغ الصبر "

ثم أحضرت خطابًا ثم قالت:

" خذ وقتك فى قراءته "

ثم تركتنى وخرجت، فقرأت اسم الراسل فإذا به من السيدة كيو، ثم وجدت أنه معنون على الفندق الذى أقمت فيه وقت وصولى هنا، ثم عنوان المنزل السابق ثم عنوان هذا المنزل وهذا يعنى أنه ذهب أولاً إلى عنوان الفندق ثم قام المسئولون عن الفندق بكتابة عنوان المنزل الذى كنت أقيم فيه سابقًا ثم عندما وصل هناك قام مالك المنزل السابق بكتابة عنوان المنزل الحالى، وفوق ذلك لقد بقى الخطاب فى الفندق لمدة أسبوع، ولا أعرف لماذا أبقاه المسئولون على الفندق مدة طويلة هكذا! هل اعتقدوا أنه زبون فجعلوه يقيم فى الفندق أسبوعًا !، فتحت الظرف فوجدت خطاب طويلاً جدًا، ومحتواه كالآتى:

" عندما وصلنى خطابك يا سيدى الصغير نويت أن اكتب الرد فورًا ولكنى أصبت بنزلة برد وخلدت إلى الفراش مدة أسبوع، وإنى اعتذر عن التأخر فى الرد، وفوق ذلك فأنا لا أجيد القراءة والكتابة مثل بنات اليوم فبذلت مجهودًا كبيرًا جدًا فى الكتابة ولكن خطى سيئ كما ترى، ولقد فكرت أن أطلب من ابن أخى أن يكتب بدلاً عنى ولكنى رأيت بما أنه منى فيجب أن أكتبه بنفسى، وإذا لم أفعل ذلك، فأنا أخطأ فى حقك، فكتبت مسودة أولاً ثم قمت بتبييضها بعد ذلك، ولقد استغرق التبييض يومين فقط ولكن كتابة المسودة استغرقت أربعة أيام، وأنا أعرف أنه من الصعب قراءة خطى ولكنى بذلت مجهودًا كبيرًا فى الكتابة فأرجو أن تقرأ الخطاب حتى نهايته، الخطاب من المقدمة إلى النهاية نحو مائة وعشرين سنتميتر، ويحتوى على موضوعات

متنوعة، ومن الصعب قراءته؛ فالخط سيىء وليس هناك علامات مثل الفاصلة أو النقطة مما يجعل معرفة نهاية جملة أو بداية أخرى شيء مجهد جدًا، وأنا إنسان ملول بطبيعتى ولا أستطيع تحمل قراءة خطاب طويل وسيئ الخط مثل هذا، حتى لو أعطانى شخص خمسة ينات مقابل أن أقرأه له سوف أرفض، ولكن الخطاب من السيدة كيو فقد قرأته باهتمام من البداية إلى النهاية، ولكن قراءته كانت مجهدة جدًا لى ولم استطع أن افهم معنى هذا بذاك فاعدت قراءته مرة أخرى من البداية، وأظلمت الحجرة من الداخل قليلاً فأصبح من الصعب رؤية المكتوب عن ذى قبل، فخرجت ناحية الشرفة فجلست هناك وقرأته بعناية، وإذا برياح بداية الخريف تهب فتهز أوراق أشجار الموز الموجودة فى الحديقة، وتضرب بشرتى ببرودتها، ثم ترجع فترفع الخطاب الذى كنت أقرأه ناحية الحديقة ، وفى النهاية فإن الرياح جعلت ورقة الخطاب الذى يبلغ طوله مائة وعشرين سنتميتر تصدر أصواتًا، فإذا تركت الخطاب طار ليصل إلى سياج الحديقة المواجهة لى فى الناحية الأخرى، ولكنى لم أكن عابئ بكل هذا، فأنا كنت منهمكًا فى قراءة خطاب السيدة كيو التى قالت لى:

" أنت إنسان مستقيم ولكنى قلقة عليك لأنك سريع الغضب، كما أنك تُطلق على الآخرين أسماء شهرة دون تفكير فى عاقبة ذلك، وهذا سوف يؤدى إلى ضغينة ضدك من هؤلاء الأشخاص، لا يجب ان تستخدمها دون حدود، وإذا استخدمتها قلها لى أنا فقط فى

الخطابات، أحذر من أهل الريف حتى لا تلاقى ما لا يُحمد عقبـاه، فهم أشرار، كما أن الجو فى الريف ليس مستقرًا كما هو فى طوكيو فاتخذ الملابس الملائمة والغطاء الكافى عند النوم حتى لا تتعـرض لنوبة برد، كما أن خطاباتك قصيرة ولا استطيع معرفـة أحوالـك جيدًا، فمن الآن وصاعدًا أكتب خطابات أطول، على الأقل الخطاب يكون نصف خطابى هذا، وإن إعطاءك خمسة ينات إكرامية لعمال الفندق شىء جيد ولكن ألن تصبح فى ضيق من العيش بعد ذلـك ؟، أنت ذهبت إلى الريف وليس لك هناك إلا نقودك، فبقـدر الإمكـان اقتصد فى استخدمها، حتى لاتقع فى ضائقة مادية يومًا ما، وحتى لا تشعر بالضيق من نقص المصروف فسوف أبعث لك حوالة بريدية بعشرة ينات، فلقد أعطيتنى خمسين ينًا ولقد وضعتها فى دفتر توفير بالبريد لكى نستخدمها عندما تعود إلى طوكيو وتملك منـزلاً فيهـا، فإذا أخذت من تلك الخمسين ين عشرة ينات سوف يتبقى أربعـون ينًا وهذا مبلغ كاف"

فقلت لنفسى: "حقًا، إن النساء تفكر فى التفاصيل الدقيقة كثيرًا"

وبينما كنت اجلس فى الشرفة ومُمسكًا بالخطاب الذى يتطاير بسبب الرياح، كنت غارقًا فى التفكير فى محتواه، فإذا بزوجـة صاحب المنزل تفتح باب الغرفة وتدخل حاملة طعام العشاء، ثـم تقول:

" هل مازلت تقرأ الخطاب ؟ أكيد إنه خطاب طويل "

فقلت لها:

" نعم إنه خطاب مهم جدًا ولذلك اتركه يتطاير فى الرياح ثم آخذه فأقرأ جزءًا ثم أتركه مرة أخرى يتطاير فى الرياح ثم آخذه وأقرأ الباقى "

وفى الواقع أننى قلت لها كلام غير مفهوم حتى أنا شخصيًا لا افهمه، ثم جلست لتناول طعام العشاء، فإذا بعشاء اليوم أيضًا بطاطا مسلوقة، عائلة صاحب المنزل هذا مقارنة بعائلة صاحب المنزل السابق، مؤدبون وطيبون وفوق ذلك يتعاملون بطريقة راقية، ولكن من المؤسف أن طعامهم لا يروق لى، أول أمس وأمس واليوم أيضًا كان بطاطا، أنا لا أُنكر أننى قلت أننى أحب البطاطا ولكن إذا اكلتها كل يوم سوف اموت، وأنا كنت أضحك على الأستاذ " قرع أزرق " لأكله القرع كثيرًا، ولكن إذا استمررت قليلاً على هذا المنوال فى أكل البطاطا فسوف أصبح الأستاذ " بطاطا صفراء "، وإذا كانت السيدة كيو هى التى تطهو لى لكانت أعدت لى ما أحبه من شرائح التونة النية أو فطائر بعجينة الأسماك، ولكن ما باليد حيلة طالما أننى جئت إلى منزل فقراء وبخلاء، ويبدو لى أننى لن أشعر بالراحة إلا إذا كنت عشت مع السيدة كيو، وإذا كان سيطول لى المقام هنا والعمل فى هذه المدرسة فسوف أحضرها للعيش معى هنا، فإنا لا استطيع أكل المكرونة بالخضراوات ولا لقمة القاضى فى المطاعم وفى المنزل آكل بطاطا فقط مما سوف يجعلنى أصفر اللون، إن العمل بالتدريس شىء سيئ، حتى الرهبان الذين يعيشون فى المعابد يأكلون طعامًا مفيد ولذيذ أكثر من هذا، وبعد أن تناولت

طبق البطاطا عن آخرة أخرجت من درج المكتب بيضتين نيئتين وضربتهما فى حافة إناء عميق ثم وضعت المحتوى فى الإنـــاء وشربتهما كتعويض عن الطعام غير المفيد الذى أتناوله كل يوم، فإذا لم أتناول طعامًا مفيدًا مثل البيض النىء فلن أستطيع تدريس إحدى وعشرون ساعة فى الأسبوع.

تأخرت اليوم عن الذهاب إلى حمام الاستحمام بســبب قــراءة خطاب السيدة كيو، ولكنى اعتدت على الذهاب كل يوم وإذا لــم أذهب يومًا أشعر بالضيق، ففكرت فى الذهاب بالقطار فأخــذت المنشفة الحمراء فى يدى وخرجت متجهًا إلى المحطـــة ولكــن عندما وصلت علمت أن القطار غادر منذ عدة دقائق فقط، ويجب الانتظار قليلاً لركوب القطار التالى، فجلست على مقعد وأشعلت سيجارة، فإذا بالأستاذ " قرع أزرق " يأتى بالمصادفة، وبما أننى كنت قد سمعت عن قصته منذ قليلاً من زوجة صاحب المنــزل فشعرت بالأسى عليه أكثر، عادة عندما تراه يعطيك انطباعًا بأنه شىء ضئيل وأنه يعيش على المساعدات من الآخرين فتشعر أنه إنسان مسكين، ولكنى لا أريد أن أفكر الليلة فى كم هو مســكين ولكن أريد أن أُفكر كيف يمكن أن يكون فى اســتطاعتى زيــادة مرتبه إلى الضعف فيتزوج المادونا بسرعة وأدعوه إلى الســفر إلى طوكيو شهر عسل، فناديت عليه وقلت:

" هل سوف تذهب إلى العين الساخنة ؟، تعال اجلس هنا "

ثم تركت مكانى بسرعة لكى يجلس عليه ولكنه لم يجلس بــل قال:

" لا تزعج نفسك من أجلى "

ثم ظل واقفًا ولا أعرف إذا كان يشعر بالخجل أن يجلس مكانى أم هناك سبب آخر، ثم قلت له:

" سوف نضطر إلى الانتظار حتى يأتى موعد تحرك القطار وإذا لم تجلس سوف تتعب من الوقوف، فتفضل بالجلوس "

وفى الحقيقة لقد كان عندى رغبة شديدة أن يجلس بجوارى لأننى كنت أشعر بالأسى له ولا أستطيع كبح شعورى هذا، وأخيرًا استمع إلى كلامى وقال:

" حسنًا، إسمح لى أن أجلس "

فقلت لنفسى " فى هذه الدنيا ناس مثل صبى العالمة صفيق اللسان والذى يأتى فى أوقات لا تريد رؤية وجهه فيها، وهناك ناس مثل "عاصفة الجبل" الذى تشعر من نظرات وجهه إن اليابان سوف تقع فى مشكلات إن لم يكن موجودًا، وأبو قميص أحمر الذى يعتبر نفسه خبيرًا فى الإيقاع بالنساء وخبيرًا فى المكياج، والمدير (الكلب الراكون) الذى يعتبر نفسه رمز التربية والتعليم عندما يرتدى الجاكت الطويل الذى يصل إلى الركبتين، جميعهم مختالون جدًا ولكن لم أقابل شخصًا مثل " القرع الأزرق "، فهو إنسان موجود ولكن لا تشعر بوجوده، هادئ وصامت وكأنه رهينة، وجهه متورم ولكن أن تترك المادونا رجلا جيدًا كهذا وتميل بقلبها إلى أبو قميص أحمر يعنى أنها متسرعة لا تزن الأمور جيدًا، فإن "القرع الأزرق" كزوج أفضل من نصف دستة أزواج من أبو قميص أحمر هذا، ثم قلت له:

" هل أنت مريضًا، يبدو عليك التعب "

فقال:

" لا لست مريض بمرضًا معين "

فقلت:

" هذا جيد، فإذا كان الإنسان مريض فليس منه فائدة "

فقال:

" أنت تبدو فى صحة جيدة "

فقلت:

" نعم أنا نحيف ولكن بصحة جيدة، فأنا أكره المرض جدًا "

وعندما قلت ذلك ابتسم ابتسامة كبيرة، ثم سمعنا صوت ضحك لشابة يأتى من ناحية مدخل المحطة، فنظرت بتلقائية خلفى فشاهدت شابة مذهلة، جميلة؛ فهى طويلة القامة وبشرتها بيضاء وتسريحة شعرها على الموضة، وتقف مع سيدة عمرها حوالى الخامسة والأربعين أمام شباك بيع التذاكر، وأنا من الرجال الذين لا يعرفون كيف يصفون جمال المرأة ولذلك لن أحاول وصفها ولكن بلا أدنى شك أنها فاتنة الجمال، ولكن شعرت أن أننى أقبض فى يدى على كره كريستال موضوع عليها عطر دافئ، أما السيدة التى معها فهى قصيرة القامة، ولكنها تشبهها وهذا يعنى أنها أمها، ولقد شدت انتباهى كلية فنسيت القرع الأزرق تمامًا وظللت أنظر إليها، وإذا بالقرع الأزرق توقف من مكان جلوسه بجانبى ويذهب متجهًا ناحيتها فتعجبت من ذلك، وقلت لنفسى " ربما هى المادونا خطيبة "،

وتبادل الثلاثة التحيات أمام شباك التذاكر، ولكنهم يقفون بعيدًا عنى فلم استطع معرفة عما يتحدثون.

نظرت إلى ساعة المحطة فوجدت أنه باقى خمس دقائق على حضور القطار، فتمنيت أن ياتى القطار بسرعة فإن القرع الأزرق تركنى فشعرت بالملل من الوحدة، وحينئذ شاهدت شخصًا يأتى مسرعًا ويدخل المحطة، وعندما نظرت جيدًا إلى هذا الشخص فوجدته أبو قميص أحمر، يرتدى جلبابًا خفيفًا وعلى خصره حزام من الكريب الصينى والحزام مشدود على خصره جيدًا ويتدلى منه السلسلة الذهبية التى دائمًا تلازمة فى أى مكان، وهذه السلسة الذهبية السلسلة ليست ذهبية المعدن بل تقليد، وأبو قميص أحمر يعتقد أنه لا أحد يعرف أنها تقليد فسيتخدمها ليتباهى بها ولكنى أعلم جيدًا أنها تقليد، دخل أبو قميص أحمر المحطة مسرعًا يتلفت يمينًا ويسارًا فى قلقًا ثم ذهب ناحية القرع الأزرق والشابة والسيدة والذين كانوا يقفون أمام شباك التذاكر، فحياهم بأدب ثم تحدث معهم قليلاً ثم فجأة توجه ناحيتى ماشيًا بخفة دون إحداث صوت كالقطط، ثم قال لى:

" هل تذهب أنت أيضًا إلى العين الساخنة ؟، لقد كنت قلقًا أن أتأخر عن موعد القطار فجئت مسرعًا ولكن ما زال هناك أربع دقائق باقية على تحرك القطار، فهل ساعة المحطة هذه مضبوطة؟"

ثم أخرج ساعة الجيب ونظر فيها وقال:

" إنها متأخرة دقيقتين عن ساعتى "

ثم جلس بجانبى، ووضع ذقنه فوق العصا التى كان ممسكًا بها ولم ينظر ناحية مادونا بل ظل ينظر أمامه فقط، وأحيانًا تنظر السيدة ناحية أبو قميص أحمر ولكن الشابة تنظر إلى جانب آخر، فقلت لنفسى " إن هذه الشابة بلا شك المادونا "

وأخيرًا سمعنا صافرة القطار التى تدل على وصوله، اندفع المنتظرون للركوب فى مقدمة القطار، أبو قميص أحمر كان أول من دخل عربة الدرجة المميزة، ولكن ركوب عربة الدرجة المميزة شىء لا يدعو إلى التباهى بالنفس، فإن المسافة إلى مدينة العيون الساخنة فى الدرجة المميزة نصف ين ولكن فى الدرجة العادية ثلث ين، فرق ليس كبيرًا بين ثمن تذكرة الدرجة المميزة والدرجة العادية، أنا شخصيًا اشتريت تذكرة الدرجة المميزة وهى فى يدى ولكنى لا أشعر بأن ذلك شىء يدعو إلى التباهى، ولكن أهل الريف بخلاء ويفكرون فى الفرق القليل بين ثمن تذكرة الدرجة المميزة والدرجة العادية وغالبًا يشترون تذكرة الدرجة العادية، وبعد ركوب أبو قميص أحمر ركبت المادونا وأمها الدرجة المميزة، أما القرع الأزرق فدائمًا يركب الدرجة العادية فقط، ذهب القرع الأزرق إلى باب دخول عربة الدرجة العادية ثم وقف مترددًا يركب أم لا ولكن عندما رآنى تشجع وقفز فى العربة، وعندما شاهدته هكذا شعرت بالحزن الشديد علية فركبت بعده بسرعة فى نفس العربة التى ركبها، وبرغم أن معى تذكرة الدرجة المميزة ركبت عربة الدرجة العادية ولكن هذا اشعرنى بالراحة.

وصلنا إلى مدينة العيون الساخنة ونزلت من الطابق الثالث فى أحد فنادق العيون الساخنة إلى حمام الاستحمام بروب الاستحمام فقابلت مرة أخرى القرع الأزرق، وإذا كنت فى الاجتماعات أو المواقف الرسمية أشعر بارتباك فلا تخرج الكلمات من فمى فى سهولة ويسر، ولكن فى الأوقات العادية أتحدث كثيرًا دون مشكلة، ولذلك تحدثت إلى القرع الأزرق عن أشياء كثيرة ونحن داخل الحمام، حيث اننى أشفقت عليه ولم اتحمل أن أراه هكذا، كما أنى رأيت أنه من واجبى كرجل من طوكيو أن أواسيه فى مثل هذه الظروف حتى ولو بالكلام، ولكن للأسف القرع الأزرق لم يكن يتجاوب معى فى الكلام، فكان يجيب إجابات قصيرة مختصرة عن أى شىء أقوله، فتخرج من فمه كلمات مثل" نعم " أو " لا " بصعوبة، فتراجعت عن فكرة التحدث إليه أكثر من ذلك.

ولم أقابل أبو قميص أحمر فى حمام الاستحمام الذى قابلت فيه القرع الأزرق، فهناك كثير من حمامات العيون الساخنة وبالتالى ليس كل من جائوا فى قطار واحد يتقابلون فى نفس حمام الاستحمام، ولذلك لم يكن غريبًا إلا أن أقابل أبو قميص أحمر، وعندما خرجت من الحمام كان القمر ساطعًا وجميلاً، وكان هناك أشجار صفصاف مصفوفة على جانبى الطريق وكانت فروع أشجار الصفصاف تلقى بظلال دائرية على الطريق، فقلت لنفسى " سوف اتنزه قليلاً "، فسرت إلى طريق صاعد متجه إلى الشمال حيث تؤدى إلى نهاية المدينة، وكانت هناك بوابة كبيرة على

اليسار، وبعد البوابة معبد وعلى الجانبين من داخل البوابة إلى المعبد بيوت فتيات ليل، فتعجبت بشدة لوجود بيوت فتيات ليل على جانبى مدخل معبد، شيء نادر لم اسمع عنه من قبل إطلاقًا، ففكرت فى الدخول ولكنى قلت لنفسى ربما يقوم المدير (الكلب الراكون) بتوبيخى مرة أخرى فى الاجتماعات، فتراجعت عن تلك الفكرة وسرت فى طريقى، وكان هناك بجانب البوابة مطعم لقمة القاضى صغير مكون من طابق واحد وعلى المدخل ستارة سوداء ونوافذه على شكل شبكة، وهذا هو المطعم الذى تناولت فيه سابقًا لقمة القاضى الذى سبب لى مشكلة فى المدرسة، ومكتوب فى ورقة معلقة على مصباح أمام مدخل ذلك المطعم الذى تسقط إضاءته على جذع شجرة صفصاف قريبة من إفريز المطعم " شربة خضار، لقمة القاضى "، فشعرت برغبة فى تناول لقمة القاضى ولكنى تحملت وسرت فى طريقى.

شيء مؤسف ألا استطيع أكل لقمة القاضى التى أريد أكلها، وأيضًا أن تحول مخطوبة مشاعرها إلى شخص آخر غير خطيبها، شيء مؤسف جدًا، وعندما أُفكر فى موضوع القرع الأزرق، فإن عدم تناولى لقمة القاضى أو أى طعام آخر لمدة ثلاثة أيام لهو شيء تافه لا يصل إلى أن أتذمر منه، فى الواقع ليس هناك مخلوق خائن أكثر من الإنسان، فعندما ترى وجه المادونا لا يمكن أن تتخيل أنها بلا مشاعر لدرجة فعل ذلك، فالإنسانة الجميلة ليس لها مشاعر، لايجب عليها أن تترك القرع الأزرق لأن وجهه ضخم مثل القرع، فهو إنسان فاضل، كنت

أعرف أن "عاصفة الجبل" إنسان شريف ولكن أبو قميص احمر قال إنه من حرض التلاميذ ضدى، فتصورت أن ذلك كلام صحيح ولكنى وجدت أن "عاصفة الجبل" يضغط على المدير لكى يُعاقب التلاميذ، والبغيض جدًا أن أبو قميص أحمر على غير المتوقع يكون لطيف فيحذرنى من الآخرين وإذا به يجذب المادونا إليه، وعندما اعتقدت أنه جذبها إليه، يقول إنه لن يتزوجها إذا لم يُعلن القرع الأزرق أنه تركها، وصاحب المنزل السابق يتصيد لى الأخطاء ويطردنى من منزله، وبعد ذلك مباشرة يدخل صبى العالمة ليسكن بدلاً منى عنده، وهذا جعلنى أشعر بعدم الثقة فى أى شىء فى هذه الدنيا، وإذا كتبت للسيدة كيو عن هذه الأشياء بالتأكيد سوف تندهش، وسوف تقول إن أبعد مكان تعرفه هو مدينة "هَكُنيه" والأماكن التى هى أبعد من ذلك مليئة بالعفاريت.

أنا بطبيعتى لا أقلق من شىء ولم أعان من أى شىء حتى الآن، ولكن بقضائى هنا حوالى شهر أو أقل شعرت أن الدنيا مليئة بالمتاعب، صحيح أنه لم يحدث لى مشكلة كبيرة، ولكنى شعرت بأننى كبرت حوالى خمسة أعوام، ولذلك ربما من الأفضل لى أن أترك هذا المكان وأعود إلى طوكيو، وتداعت لى الأفكار الواحدة تلو الأخرى إلى أن وجدت نفسى أعبر جسر حجرى إلى ضفة نهر " نُزِرجَوَ "، وإذا قلنا نهر فهذا يعنى مجرى مائيًا عريض ولكن فى الحقيقة، إن عرضه مائة وثمانون سنتيمترًا، ولو سرت مع مجرى النهر حوالى ألف وثلاث مائة

متر فسوف تصل إلى قرية " أى أُى مَرَ "، حيث يوجد هناك تمثال إله الرحمة.

ونظرت إلى الوراء حيث مدينة العيون الساخنة، فكانت المصابيح الحمراء اللون تتلألأ فى ضوء القمر، وهناك أصوات طبول اسمعها وأكيد أنها تأتى من بيوت فتيات الليل، مياة النهر ضحلة ولكنها تجرى بسرعة، فيتطاير رذاذ الماء بشده ويتلألأ، وسرت على ضفة النهر دون هدف معين حوالى ثلاثمائة وخمسين متر، فشاهدت ظل شخص، وعندما اعتمدت على ضوء القمر ونظرت جيدًا وجدت أن هناك ظلين لشخصين، فاعتقدت أنهما شابان جاءا إلى العيون الساخنة وفى طريق عودتهما إلى القرية، ولكنهما لا يتحدثان، صامتان تمامًا.

وكلما سرت ناحيتهما بخطوات أسرع كلما أصبح ظلاهما أكبر، فلاحظت أن أحدهما امرأة، وعندما اقتربت حوالى أربعة أمتار منهما وسمعا صوت أقدامى، فإذا برجل يلتفت ناحيتى فجأة، وكان القمر خلفى، فنظرت حينئذ إلى الرجل واندهشت، وإذا بالرجل والمرأة يبدآن فى السير مرة أخرى، فخطرت لى فكرة فسرت بأقصى سرعة للحاق بهما، وكانا هما يسيران كما سبق لهما دون الانتباه إلى أى شىء حولهما، والأن استطعت الاستماع إلى حديثهما، وعرض الضفة حوالى مائة وثمانين سنتيمترًا، فإذا أردت تخطيهما سوف أمر بجانبهما مباشرة، وبدون أى مجهود يذكر استطعت الوصول لأكون خلفهما ثم وأنا أتخطى الرجل لمست كم جلبابه ثم تقدمت عليه خطوتين، ثم

أدرت نفسى إلى الخلف ونظرت فى وجه الرجل، القمر أضـــاء بوضوح وجهى بشعر رأسى القصير حتى ذقنى، فخرج صـــوت خافت من الرجل يدل على دهشته ثم التفت بوجهه جانبًا ثم قـــال إلى المرأة حاضًا إياها على السرعة:

" هيا نرجع "

ثم غيرا اتجاههما عائدين ناحية مدينة العيون اساخنة.

هل كان أبو قميص أحمر وقحًا لدرجة أنه تخيل أنه يســـتطيع خداعى أو جبانًا لدرجة أنه يتحاشى أن يواجهنى ويظهر لى أنـــه هو وليس شخصًا آخر !، وعلى كل حال، فإن الذى يحـــدث لـــه متاعب بسبب أن هذه البلدة صغيرة، ليس أنا فقط.

الفصل الثامن

لقد بدأت اشك فى "عاصفة الجبل" بعد أن ذهبت إلى رحلة صيد الأسماك مع أبوقميص أحمر، فعندما طلب منى ترك الشقة السابقة رغم أننى لم أرتكب خطأ شعرت أنه أهاننى بشدة وأننى لا يمكن أن أغفرله لك، ولكن عندما عارض الجميع فى الاجتماع وطالب بعقاب التلاميذ شعرت أنه إنسان، وأنه فعل ما كنت لا اتوقعه منه وتعجبت من تصرفه هذا، وعندما سمعت من زوجة صاحب المنزل الحالى أنه ذهب إلى أبو قميص أحمر ليطلب منه أن يبتعد عن خطيبة القرع الأزرق، فشعرت بالاعجاب من تصرفه هذا وصفقت له، وقلت لنفسى " ومن هذه المواقف أستطيع أن أقول أن من هو شرير ليس "عاصفة الجبل" ولكن كنت أشك فى أن أبو قميص أحمر الذى له شخصية معوجة وأنه صور لى أفكارًا خاطئة عن "عاصفة الجبل" على

أنها حقيقة وأقنعنى بها بطريقة غير مباشرة، وعندما شاهدته على ضفة النهر يتنزه مع المادونا، فاعتقدت منذ ذلك الحين أنه إنسان لا يُوثق فيه، وإن كنت غير متأكد إذا كان إنسان يُوثق فيه أم لا، ولكنه بالتأكيد رجل ليس خيرًا، فهو رجل له ظاهر يختلف عن الباطن، والإنسان الذى يُوثق فيه يجب أن يكون إنساناً مستقيمًا، وحتى إذا تشاجرت مع إنسان شريف فإنك تشعر بشعور جيد، أما إنسان مثل أبو قميص أحمر يبدو طيبًا وعطوفًا ومن طبقة راقية ويتباهى أمام الناس بغليونه الكهرمانى فيجب عدم الإستهانة به أو التراخى فى الحذر منه، فإن التشاجر معه ليس كلعب المصارعة اليابانية فى حلقة مصارعة " أكُـإنْ " المشهورة فى طوكيو، فالشجار معه لن يؤدى إلى الإحساس بشعور جيد مثلما تشعر بشعور جيد عند لعب المصارعة اليابانية فى تلك الحلقة، وعلى هذا فإن "عاصفة الجبل" الذى تشاجرت معه فى حجرة استراحة الأساتذة على من يأخذ الين ونصف لهو إنسان بمعنى الكلمة، وفى الاجتماع حدق فىّ غضبًا بعينيه الغائرتين ذوى النن الصغير الدائرى، وحينذاك شعرت بأننى أكرهه، ولكن بعد ذلك فكرت ورأيت أن نظرته هذه أفضل من الصوت الناعم لأبو قميص أحمر الذى يشبه صوت القطة، وفى الحقيقة بعد أن انتهى الاجتماع تحدث إليه قليلاً بغية أن نتصالح، ولكنه لم يرد علىّ، بل نظر لىّ شذرًا فغضبت أنا أيضًا وتركته.

ومنذ ذلك الحين ونحن لا نتبادل الحديث، ومازالت الين والنصف التى وضعتها على مكتبه موجودة فى مكانها حتى

الآن، وتراكم التراب فوقها، وبالطبع لم اقترب من تلك النقـود، ولا "عاصفة الجبل" أخذها، ولقد أصبحت الين والنصف حـاجز بينى وبينه، ولقد فكرت فى أن اتحدث معه ولكنـى لا أسـتطيع فعل ذلك، "عاصفة الجبل" صامت كالحجر، ولقد أصبحت هـذه الين والنصف نحس على علاقتنا أنا وهو.

وبينما ظلت علاقتى ب" عاصفة الجبل " مقطوعة ظلت علاقتى بأبو قميص أحمر مستمرة كما هى سابقًا، ففى اليوم التـالى لليـوم الذى قابلته مع مادونا على ضفة النهر، جاءنى باكرًا فى المدرسـة وقال لى:

" هل أنت مستعد جيدًا للإشراف الليلي على بيت الطـلاب ؟، أنا ادعوك إلى رحلة صـيد أخـرى لصـيد أسـماك الأديـب الروسى،.... "

ثم تحدث معى فى أشياء أخرى كثيرة، ولكنى كنـت أشـعر ببعض الضيق منه فقلت له:

" لقد تقابلنا أمس مرتين "

فقال:

" نعم فى المحطة، هل دائما تذهب إلى العين الساخنة فى مثل هذا الوقت ؟ أليس ذلك الوقت متأخرًا ؟ "

ففاجأته بقولى له:

" ألم نتقابل على ضفة نهر نُزرِجَوَ "

فقال:

" أنا لا أذهب إلى تلك النواحى، أنزل العين الساخنة ثم أعود مباشرة وبسرعة "

فقلت لنفسى " كان من الأفضل أن يكون صريحًا ولا يحاول الكذب، لأننا تقابلنا بالفعل هناك، إنه رجل كذاب، فإذا كان بهذه الشخصية ويعمل ناظرًا، فمن حقى أنا أن أعمل رئيس جامعة "، ومنذ تلك اللحظة لم اعد اثق فى كلام أبو قميص أحمر، ويالله العجب، فإن الدنيا غريبة وعجيبة، فأنا استطيع التحدث مع أبو قميص أحمر الذى لا اثق فيه، ولا استطيع التحدث مع "عاصفة الجبل" الذى أقدره وأثق فيه.

وفى أحد الأيام قال لى أبو قميص أحمر:

" أريد أن اتحدث معك قليلاً، احضر إلى منزلى "

وهذا يعنى أن اليوم الذى سوف أذهب فيه إلى منزله لن استطيع الذهاب إلى العين الساخنة، وهذا شىء يحزننى، وعلى كل حال لقد ذهبت إلى منزله حوالى الساعة الرابعة وألغيت فكرة الذهاب إلى العين الساخنة، والناظر كان يسكن قديمًا فى شقة للإيجار ولكنه تركها ويسكن الآن فى منزل ذى مدخل فخم، يصل إيجاره إلى تسعة ينات ونصف، وإذا كانت تسعة ينات ونصف يجعل الإنسان يعيش فى منزل كهذا فسوف انشجع وانفقها على إيجار منزل وأُحضر السيدة كيو لكى يسعدها أن تعيش فى منزل مثل هذا ذى مدخل فخم، وعندما ناديت على من فى المنزل، فجاءنى الأخ الأصغر لأبو قميص أحمر، وأخوه الأصغر هذا تلميذ عندنا فى المدرسة وأقوم بتدريسه مادة الجبر ومادة الحساب ولكنه تلميذ بليد،

وهو ليس من هذه البلدة بل جاء من خارجها ومع ذلك فشخصيته أكثر سوءًا ممن ولدوا فى هذه البلدة.

قابلت أبو قميص أحمر وسألته عما يريد منى فأشعل غليونه الكهرمانى مثل العظماء وأخرج دخانًا كريه الرائحة للتبغ وقال الآتى:

"عندما حضرت أنت إلى مدرستنا بعد الأستاذ الذى كان موجودًا قبلك تحسنت نتائج التلاميذ وأسعد ذلك المدير وقال إننا قد حصلنا على أستاذ جيد ، وقد اكتسبت ثقتنا وارجو أن تجتهد فى أداء واجبك".

فقلت:

" اجتهد أكثر من ذلك ؟ لا استطيع الاجتهاد أكثر من ذلك "

فقال:

" يكفى أن تستمر فى الاجتهاد على المنوال الحالى الذى تسير عليه، ولكن لا تنسى ما اتفقنا عليه سابقًا "

فقلت:

" هل تقصد الموضوع الخاص بما حدث أثناء الإشراف الليلى على بيت الطلاب "

فقال:

" نعم، وإن كان من الصعب أن اتحدث بصراحة ولكن إذا ظللت على ما أنت عليه الآن من الاجتهاد فى العمل فاعتقد إن إدارة المدرسة سوف تأخذ ذلك فى الاعتبار عندما تسمح الظروف بذلك واعتقد أن ذلك من الممكن أن يحدث فى القريب العاجل "

فقلت:

" هل تعنى الراتب ؟، أنا لا يهمنى الراتب ولكن طبعًا من الأفضل لأى شخص أن يرتفع راتبه "

فقال:

" لحسن الحظ أن هناك أستاذًا سوف يترك المدرسة وينتقل إلى مكان آخر، وراتبه أعلى من راتبك ومن الممكن وضع الفارق بين راتبه وراتبك فى راتبك ولكن هذا يحتاج إلى أن اتحدث إلى المدير وأقنعه وسوف اتحدث إليه وأحاول إقناعه بذلك "

فقلت:

" شكرًا جزيلاً على ذلك، ولكن بالمناسبة من هو الأستاذ الذى سوف يترك المدرسة ؟ "

فقال:

" فى القريب العاجل سوف يتم الإعلان رسميًا عن ذلك وبالتالى لن تكون هناك مشكلة أن أقول لك إنه الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) "

فقلت:

" ولكن أليس الاستاذ كُجَ (قرع أزرق) من هذه البلدة ؟ "

فقال:

" نعم هذا صحيح ولكنه عنده ظروف، وهذه رغبته، ورغبته سبب رئيس فى تركه المدرسة "

فقلت:

" إلى أين سوف ينتقل ؟ "

فقال:

" منطقة نُبِيه أُكَ بمحافظة مِيزَكِ ، كلها أماكن ولكن راتبه سوف يرتفع درجة أعلى هناك "

فقلت:

" هل سوف يأتى أستاذ آخر بدلاً عنه ؟ "

فقال:

" غالبًا فقد تم تحديد البديل الذى سوف يأتى بعده، وسوف يكون راتبه أقل من راتب الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) وبالتالى يمكن تحويل ذلك الفارق إلى راتبك "

فقلت:

" لقد فهمت، عظيم ولكن إذا كان رفع راتبى سوف يسبب مشكلات فليس مهمًا رفعه "

فقال:

" على كل حال، سوف اتحدث إلى المدير بشأن زيادة راتبك، واعتقد أن المدير له نفس وجهة نظرى ولكن للعلم ربما سوف يتطلب ذلك منك أن تعمل أكثر من ذلك، فارجو أن تستعد نفسيًا من الآن "

فقلت:

" هل معنى ذلك زيادة عدد الساعات ؟ "

فقال:

" لا سوف يقل عدد الساعات عن الآن "

فقلت:

" سوف يقل عدد الساعات ولكن العمل سوف يزيد، كيف يحدث هذا ؟ شيء غير مفهوم "

فقال:

" نعم من الصعب أن تفهم ذلك لأننى لا استطيع توضيح ذلك الآن، ولكن معنى ذلك أنك سوف يوكل لك القيام بأعمال مهمة "

فقلت لنفسى "أنا لا أفهم مطلقًا ماذا يعنى هذا الكلام، فهل يعنى بأعمال مهمة أن أكون الأستاذ الأول لمادة الرياضيات !، ولكن "عاصفة الجبل" هو الأستاذ الأول، وهو طبعًا ليس عنده نية إلى ترك العمل، وعلاوة على ذلك فهو محبوب من التلاميذ ولذلك ليس من مصلحة المدرسة أن تنقله إلى مدرسة أخرى أو تقيله من العمل، وكلام أبو قميص أحمر دائمًا غامض لا استطيع فهم محتواه بسهوله ولكن وإن كنت لم أفهم جيدًا ملخص حديثة فإننى قد جئت كما أراد واستمعت إليه"

ثم بعد ذلك تحدث فى موضوعات متنوعة مثل عمل حفلة وداع للأستاذ قرع أزرق، ثم سألنى إن كنت أحتسى الخمر أم لا، ثم تحدث أبو قميص أحمر عن الأستاذ قرع أزرق وأنه شخص ذو شخصية رائعة تجعله محبوبًا من الجميع، ثم فى نهاية الحديث سألنى إن كنت أكتب شعرًا أم لا ؟ فشعرت أن هذا الإنسان غريب فأجبته بالنفى ثم أنهيت المقابلة معه وعدت إلى منزلى، فإن من يكتب الشعر إما أن يكون شاعرًا متخصصًا فى ذلك مثل الشاعر " بَشُو " أو من عنده وقت فراغ مثل الحلاق، من الطبيعى ألا تجد

أستاذ رياضيات يترك عمله ويكتب شعرًا عن أشياء مثل زهرة " نجمة الصباح " أو " الدلو الذى ينضحون به الماء من البئر ".

عندما رجعت المنزل بدأت فى تفكير عميق؛ الدنيا فيها ناس لا تستطيع فهمهم، شخص يعيش فى بلدته التى يوجد فيها منزله ويعمل فى مدرسة بلدته وبالتالى لا ينقصه شىء ومع ذلك يقول إنه سوف يتركها ويذهب إلى مكان آخر غريب عليه حيث سيواجه مشكلات هناك وذلك بسبب أنه شعر بالملل من وجوده فى بلدته، فإذا كان سوف يترك بلدته التى فيها منزله ومدرسته من أجل أن يذهب إلى مدينة متحضرة كالعاصمة مثلاً فيمكن تفهم موقفه أما أن يذهب إلى مكان نائى مثل " منطقة " نُبِيه أُكَ " بمحافظة " مِيزَكِ " فهذا غير مفهوم، فأنا قد وصلت إلى مكان مثل هذا الذى يمكن أن يرسو فيه قارب ولم يمر على وجودى فيه شهر ومع ذلك أريد العودة إلى موطنى، فإن منطقة " نُبِيه أُكَ " منطقة داخل مجموعة جبال كثيرة ووعرة، وأبو قميص أحمر يقول لكى نذهب إليها يجب أن نركب قاربًا إلى الشاطئ ثم من الشاطئ نركب خيلاً لمدة يوم إلى مدينة " مِيزَكِ " ثم ركوب عربة تجر باليد من مدينة " مِيزَكِ " لمدة يوم لكى نصل إلى تلك المنطقة، وحتى من خلال سماع اسمها لا يمكن أن تتخيل أنها مكان متحضر، أكيد أنها مكان نصف سكانه من البشر والنصف الآخر من القرود، وبالتأكيد القرع الأزرق الذى مثل القديسين فى رقته لن يحب أن يعيش مع القرود، إننى لا استطيع أن اتخيل ما الذى أحبه فى مكان غريب مثل ذلك.

احضرت لى زوجة صاحب المنزل طعام العشاء فقلت لها:

" هل اليوم أيضًا بطاطا ؟ "

فقالت:

" لا، اليوم فول "

فقلت لنفسى "كلها أشياء متشابهة، ليست لذيذة ولا لهـا قيمـة غذائية مرتفعة"

ثم قلت لها:

"الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) سوف يرحل إلى منطقة "نُبِيه أُكَ"

فقالت:

" نعم، مسكين، أنا أشفق عليه "

فقلت:

" لماذا هو مسكين ولماذا تشفقين عليه ؟، طالمـا أن رغبتـه كذلك فما باليد حيلة "

فقالت:

" من الذى يريد أن يذهب بإرادته ؟ "

فقلت:

" هو، الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) الذى اختار الـذهاب إلـى ذلك المكان الغريب، أليس كذلك ؟ "

فقالت:

" أنت طيب وتصدق ما تسمع، إن الحقيقة مختلفة تمامًا عمـا سمعت "

فقلت:

" الحقيقة مختلفة !، لقد قال أبو قميص أحمر ذلك، إذا كانت الحقيقة مختلفة فإن أبو قميص أحمر الشرير كاذب "

فقالت:

" طبيعى أن يقول لك الناظر ذلك وطبيعى أن يقول الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) إنه لا يريد الذهاب إلى ذلك المكان "

فقلت:

" إذن طبيعى أن يقول كلاهما ما قال، ولكنى أحبك لأنك تتكلمين دون انحياز لأحد، فهل تعرفين الحقيقة ؟ "

فقالت:

" لقد حضرت أم الاستاذ كُجَ (قرع أزرق) صباح اليوم وقصت علىّ الحقيقة "

فقلت لها:

" هات ما عندك بالتفصيل "

فقالت:

" بعد أن مات والد الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) تغير بهم الحال فأصبحوا يعيشون فى ضائقة ولم نكن نعلم نحن ذلك، فذهبت أم الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) إلى مدير مدرسته وطلبت منه أن يرفع راتب الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) بسبب تلك الظروف ولأنه يعلم فى المدرسة منذ أربعة أعوام "

فقلت:

" كلام معقول "

فقالت:

" قال لها المدير دعينى أنظر فى ذلك وتوقعى خيرًا، فاعتقدت أنه سوف يرفع راتب ابنها وانتظرت حدوث ذلك شهرًا بعد شهر ولكن لم يحدث شيء ثم استدعى المدير الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) وأخبره أنه لا يوجد ميزانية فى المدرسة لرفع راتبه ولكن يوجد مكان خال فى مدرسة بمنطقة نُبيه أُكَ والراتب هناك أعلى من الراتب هنا خمسة ينات وأنه قد كتب له خطاب نقل إلى تلك المدرسة حتى يحقق له رغبته فى رفع الراتب وأنه ممكن أن يذهب هناك "

فقلت:

" هذا ليس عرضًا ولكنه أمر يجب تنفيذه "

فقالت:

" نعم كما تقول، ولقد قال له الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) إنه يفضل البقاء هنا بنفس المرتب الذى يحصل عليه الآن حيث إنه له منزل هنا وأمه تعيش معه ولكن المدير قال له إنه لا يستطيع فعل شيء حيال ذلك فلقد تم اتخاذ الإجراءات الخاصة بذلك وتم قبول أستاذ جديد سوف يعمل بدلاً منه بعد رحيله "

فقلت:

" شيء مؤسف أن يتآمروا على الأستاذ كُجَ (قرع أزرق)، إذن الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) لم يكن يريد الذهاب برغبته، فلقد ارتبت فى الموضوع وقلت لنفسى من هذا الأبله الذى يذهب إلى مكان فى وسط الجبال ويعيش مع القرود فقط لكى يحصل على خمسة ينات زيادة فى راتبه "

فقالت:

" ماذا تعنى كلمة أبله يا أستاذ ؟ "

فقلت:

" لا شىء مهم، بالتأكيد إن هذه مكيدة من مكائد أبو قميص أحمر، معاملة سيئة. إن هذا خداع، ثم يقول إنه لا مشكلة أن يرفع راتبى، يالها من وقاحة، إنه مخطأ أن يتخيل أننى سوف اسمح لهم أن يرفعوا راتبى "

فقالت:

" يا أستاذ هل سوف يرتفع راتبك ؟ "

فقلت:

" قال لى سوف يرفع راتبى ولكنى سوف أرفض "

فقالت:

" لماذا ترفض ؟ "

فقلت:

" سوف أرفض بشدة، يا سيدتى، أبو قميص أحمر هذا إنسان أحمق وجبان "

فقالت:

" جبان جبان ولكن إذا كان سوف يرفع راتبك فلتقبل ذلك دون تعالٍ، فالإنسان وهو شاب يغضب كثيرًا ولكن عندما يطعن فى السن يقول ياليتنى ما غضبت وياليتنى تحملت قليلاً، ويشعر بالندم على ما فات، فمن الطبيعى أن الغضب يؤدى إلى الخسارة، والخسارة تؤدى إلى الندم، اسمع كلامى فأنا سيدة

مسنة، تقبل رفع الراتب الذى يعرضه عليك أبو قميص أحمر بالشكر والعرفان "

فقلت:

" المسنون دائمًا يحاولون فرض رأيهم على الآخرين ولكن الراتب راتبى ولذلك أنا الذى يقرر إذا كان يرتفع أو ينخفض "

انسحبت زوجة صاحب المنزل من شقتى صامتة، وأما صاحب المنزل فكان ينشد الأشعار اليابانية بذلك الصوت الغريب الى يشبه الصوت الأوبرالى، وإذا قرأه بصوت عادى لأمكن فهمه ولكن الانشاد بذلك الصوت الغريب الذى يشبه الصوت الأوبرالى يجعل ما تستطيع فهمه غير مفهوم، وأنا لا استطيع أن أفهم ما الذى يعجبه فى الانشاد ذلك كل يوم دون ملل، وعلى كل حال فعندى ما هو أهم ويشغلنى عن ذلك الإنشاد الأوبرالى، ألا وهو موضوع رفع راتبى، فأنا لم أكن أريد رفع راتبى ولكنى اعتقدت أنها نقود فائضة عن الحاجة وبالتالى تركها خسارة فقبلت أن أحصل عليها كزيادة فى راتبى، ولكن أن تكون جزءًا من راتب أستاذ يتم نقله دون رغبته فهذا تصرف لا إنسانى ولا يمكن قبوله، فبرغم أن الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) يقول إنه يريد البقاء هنا بنفس الراتب الحالى فقد قرروا معاقبته بنقله إلى " نِبِيه أُكَ "، فكيف يفعلون ذلك وبأى حق يفعلون ذلك !، فالسيد " سُجَوَرَ مِتْشِظَنِيه " والذى كان سياسيًا فى القرن التاسع عندما تم نفيه فى المدينة الكبيرة " هَكَطَ "، والسفاح " كَوَى مَطَجُرُ " الذى كان فى القرن السابع عشر عندما تم نفيه فى المدينة الكبيرة "

صَجَرَ"، وعلى كل حال فلن أشعر براحة الضمير إلا بالذهاب إلى أبو قميص أحمر ورفض رفع راتبى.

ارتديت زيًا رسميًا وخرجت من المنزل وذهبت إلى منزل أبو قميص أحمر وناديت فخرج لى أخاه الأصغر مرة أخرى، وعندما رأى وجهى نظر إلى بطريقة تقول " أنت مرة أخرى "، ولكن طالما هناك ما يجب فعله فسوف أحضر مرة ثانية وثالثة، حتى لو اضطر الأمر أن احضر فى منتصف الليل أوقظه فسوف أفعل، إن كان يعتقد أننى حضرت لكى أقول لأبو قميص أحمر " كيف حالك ؟ لقد افتقدتك " فهو مخطئ، لقد حضرت لكى أقول له إننى لا أريد رفع راتبى، ولكن أخيه الأصغر جاء وقال لى:

" لا يستطيع مقابلتك الآن، عنده ضيوف الآن "

قلت له:

" أخبره أننى سوف أتحدث معه قليلاً فى موضوع مهم هنا على مدخل المنزل "

فدخل مرة أخرى، فنظرت إلى أسفل فشاهدت قبقابًا خشبيًا مغطى بحصير خفيف وناعم، ثم سمعت صيحات فرحة صدرت من داخل المنزل، فعلمت أن من بالداخل هو صبى العالمة، فإن من يصيح صيحات عالية وبغيضة مثل ذلك ومن يرتدى قبقابًا مثل قبقاب الراقصات لن يكون إلا صبى العالمة وليس شخصًا آخر.

وبعد برهة جاء أبو قميص أحمر إلى المدخل ممسكًا بمصباح وقال:

" تفضل بالدخول، ليس هناك شخص غريب، إنه الأستاذ يُشكَوَ (صبى العالمة) "

فقلت له:

" لا، هنا مكان مناسب، هل يمكن التحدث هنا "

وعندما نظرت جيدًا إلى وجهه وجدته أحمر مثل البنجر، فعرفت أنه كان يحتسى الخمر مع الأستاذ يُشكَوَ (صبى العالمة)

وقلت له:

" لقد قلت منذ قليل إنك سوف ترفع راتبى ولقد وافقت أنا على ذلك ولكنى غيرت رأيى، أنا ارفض ذلك "

فإذا بأبو قميص أحمر يمد يده بالمصباح إلى الأمام ويحملق فى وجهى ولا يجيب من فرط الدهشة، يفتح فاه بطريقة غريبة ويقف كالمسمار لا يتحرك، ربما يقول لنفسه " هل هناك شخص فى هذه الدنيا يأتى جريًا هكذا ويقول إنه يرفض رفع راتبه، وإذا كان يريد الرفض لماذا رجع بهذه السرعة، كان يمكن الانتظار إلى بعد ذلك، شىء محير، أو ربما كل هذا معًا "

فقلت له:

" لقد وافقت على ذلك لأنى فهمت منك أن انتقال الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) إلى مدرسة أخرى كان نابعًا من رغبته "

فقال:

" جزء من أسباب انتقاله هو رغبة تامة منه فى الانتقال "

فقلت:

" لا.. ليس كذلك، فهو يريد أن يبقى هنا بنفس الراتب الـذى يحصل عليه الآن، يريد أن يبقى فى موطنه "

فقال:

" هل سمعت ذلك منه ؟ "

فقلت:

" لا، لمن اسمع منه ذلك "

فقال:

" إذن سمعت مِن مَن ؟ "

فقلت:

" سمعت من زوجة صاحب المنزل الذى اسـكن فيـه، فلقـد سمعت ذلك من أم الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) وأخبرنـى بـذلك اليوم".

فقال:

" هل قالت زوجة صاحب المنزل الذى تسكن فيه ذلك ؟ "

فقلت:

" نعم "

فقال:

" للأسف هذا ليس صحيحًا، بناءً على كلامـك هـذا، فأنـت تصدق زوجة صاحبة المنزل الذى تسكن فيه ولا تصدق الناظر، هل تحليلى لكلامك صحيح أم أنا مخطئ ؟ "

فشعرت أننى وقعت فى ورطة، فعلاً حامل شهادة الليسـانس شخص عظيم، يبحث عن نقطة ضعف فى الموضوع ثم يبدأ فى

الهجوم من تلك النقطة، ولقد كان أبى دائمًا يقول لى " أنت متسرع وعديم الفائدة "، فقلت لنفسى " نعم، هذا صحيح، فأنا متسرع بعض الشىء، فعندما سمعت هذا الكلام من زوجة صاحب المنزل خرجت مسرعًا وحضرت لأقابل أبو قميص أحمر، ولكنى لم أقابل الأستاذ قرع أزرق، ولم أقابل أمه واستوضح الأمر جليًا، ولذلك شخص مثل أبو قميص أحمر الحاصل على الليسانس يهاجمنى ولا استطيع صد هجومه.

من الصعب صد هجومه وجهًا لوجه ولكن من خلال كلامه شعرت فى قلبى أننى على صواب فى عدم الثقة فيه، فبلا أدنى شك أن زوجة صاحبة المنزل الذى اسكن فيه سيدة بخيلة جدًا، لكنها لا تكذب، فهى ليست لها ظاهر يختلف عن الباطن مثل أبو قميص أحمر، ولما لم أجد ردًا جيدًا أدافع به على هجومه هذا، فلم يكن أمامى إلا أن أقول له:

" ربما ما قلته صحيح ولكن على كل حال فأنا اعتذر عن قبول رفع راتبى "

فقال:

" هذا الكلام أكثر غرابة من كلامك السابق، فلقد حضرت لكى تخبرنى إنك لا تستطيع قبول رفع راتبك وعندما شرحت لك أن أسباب عدم قبول رفع راتبك غير صحيحة، فأنت تصر على رفض رفع راتبك، مما يجعلنى لا استطيع أن افهم جيدًا أسباب رفض رفع راتبك "

فقلت له:

" ربما لا تستطيع فهم ذلك ولكن على كل حال فأنـا أرفـض رفع راتبى "

فقال:

" إذا كنت تريد ذلك فلك ما تريد، فأنا لا استطيع أن أجبـرك على فعل ما لا تريد ولكن خلال تلك الثلاث ساعات تغيرت دون سبب مقنع وهذا سوف يؤثر على ثقتى فيك مستقبلاً "

فقلت له:

" ليس مهمًا أن يحدث ذلك "

فقال:

" بل مهم، فليس هناك أهم من الثقة فى الناس، دعنا نفتـرض أن صاحب المنزل..... "

فقلت:

" ليس صاحب المنزل بل زوجة صاحب المنزل "

فقال:

" بصرف النظر عن ذلك ولكن لو افترضنا أن أن مـا قالتـه زوجة صاحبة المنزل حقيقة، إن رفع راتبك لن يكـون نتيجـة خفض راتب الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) ، فالأسـتاذ كُـجَ (قـرع أزرق) سوف يذهب إلى نُبِيه أُكَ، وسوف يأتى أستاذ جديد بـدلاً منه، وإن راتب الأستاذ الجديد أقل قليلاً من راتب الأسـتاذ كُـجَ (قرع أزرق) ، وأن ذلك الفارق بين الراتبين سوف يتم تحويلـه إلى راتبك، فليس هناك ما يجعلك تشعر بأنك تسـببت فـى أذى لأحد، والأستاذ كُجَ (قرع أزرق) سوف يحصل على ترقية فـى

نُبيه أُكَ، ولقد اتفقنا مع الأستاذ الجديد على أن يأتى على راتب صغير، وبالتالى يمكن رفع راتبك، أليس هذا شيئًا جيدًا للجميع !، وإذا كنت لا تريد ذلك فلك ما تريد ولكن أليس من الافضل أن تعود وتفكر فى ذلك فى المنزل ؟ "

فقلت لنفسى " أنا لست ذكيًا، ولذلك عندما يتحدث إلى شخص بلسان فصيح هكذا فإننى اقتنع بكلامه واشك فى أنى على صواب فأنسحب من المناقشة، ولكنى اليوم لن أفعل ذلك، لقد جئت اليوم هنا وأنا أشعر بكره تلقائى تجاه أبو قميص أحمر، وأثناء الكلام معه تحسنت فكرتى عنه، فلقد اعتقدت أنه رجل طيب مثل النساء ولكن بعد ذلك اكتشفت أنه ليس طيبًا كما كان يبدو، وأدى ذلك إلى نتيجة عكسية وهى أننى كرهته أكثر من ذى قبل، وهو ناظر يتحدث بطريقة مبنية على المنطق وفصاحة اللسان ونجح فى هزيمتى فى الحوار وأنا فشلت فى الرد عليه بالمنطق وفصاحة اللسان ولكن كل هذا لا يهمنى، فالإنسان الذى يتحدث بفصاحة ومنطق ويستطيع الفوز فى مناقشة ليس من الضرورى أن يكون إنسانًا خيّرًا، وإن من ينهزم فى مناقشة ليس من الضرورى أن يكون إنسانًا شريرًا، فمن ناحية الظاهر فإن أبو قميص أحمر ممتاز ولكن مهما كان ظاهره عظيمًا فلن أجعله يجذبنى إليه ويغير ما فى قلبى، فإذا كان المال والسلطة والمنطق تستطيع تغيير قلوب الناس، فإن أول ناس يجب أن نحبهم هم المرابى ورجل المرور وأستاذ الجامعة، ولن يستطيع ناظر مدرسة

إعدادية تغير ما فى قلبى بالكلام المنطقى، فقلوب الناس تتغير بالحب أو الكره، ولا تتغير بالكلام المنطقى "

ثم قلت له:

" ما تقوله صحيح ولكنى أشعر بالضيق أن أحصل على زيادة فى راتبى ولذلك فأنا أرفض زيادة مرتبى، ومهما فكرت فسوف أصل إلى نفس النتيجة، استأذن فى الرجوع "

ثم تركته وخرجت من بوابة منزله، فنظرت أعلى إلى السماء فشاهدت خطوط درب التبانة.

الفصل التاسع

فى اليوم الذى تحدد أن تُقام فيه حفلة وداع للقرع الأزرق، ذهبت إلى المدرسة وفجأة جاء "عاصفة الجبل" وقال لى:

"وقت أن كنت تسكن فى المنزل السابق، جاءنى صاحب المنزل وقال إنك تصرفاتك غير لائقة فتسبب له إزعاجًا ورجانى أن أجعلك تترك المنزل، فصدقت ما قاله وقلت لك أن تترك له منزله، ولكن بعد ذلك علمت أن صاحب المنزل هذا شخص سيئ فيبيع أدوات لوحات وأشياء أخرى مقلدة ويضع عليها ختمًا مزورًا وتوقيعًا مزورًا مثل ختم وتوقيع الفنان الأصلى، وبالتالى ما قاله عنك لم يكن صحيحًا، فلقد حاول أن يتكسب من بيعك اللوحات والأنتيكات ولكنك لم تشتر منه فلفق لك تهمة أنك سيئ السلوك وخدعنى بها، وأنا لم أكن أعرفه جيدًا فظلمتك، وأنا أعتذر لك بشدة على تصرفى غير المؤدب هذا وأرجو قبول اعتذارى".

فلم أعلق على كلامه واخذت الين والنصف الذى كانا فوق مكتبه ووضعتهما فى حافظتى، فسألنى والشك يساوره:

" هل سوف تسترد تلك النقود حقًا "

فقلت:

" نعم، لقد شعرت بالضيق أن تدعونى للطعام على نفقتك ولكنى فكرت بعد ذلك ورأيت أنه من الأفضل أن أقبل دعوتك على نفقتك ولذلك سوف أسترد النقود".

فإذا بـ "عاصفة الجبل " يضحك بصوت عال ثم يقول:

" إذن لماذا لم تستردها من قبل ؟ "

فقلت:

" لقد فكرت كثيرًا أن أستردها ولكنى شعرت بشعور غريب فتركتها كما هى، ولكن فى الأيام الأخيرة عندما أحضر إلى المدرسة وأراهم كنت أشعر بالضيق الشديد وكأنى أتألم "

فقال:

" أكيد أنت من النوع الذى لا يستسلم للهزيمة "

فقلت:

" وأنت أكيد من النوع العنيد جدًا "

وبعد ذلك دار بيننا الحوار التالى:

قال: "من أين أنت بالضبط ؟ "

قلت: "من طوكيو "

قال: "أنا كنت أعلم أن أهل طوكيو لا يستسلمون للهزيمة "

قلت: "وأنت من أين؟ "

قال: "من منطقة أَيْزُ بمحافظة فُكُشِمَ".

قلت: "أَيْزُ، إذن أنت عنيد، هل سوف تحضر حفلة الوداع المقامة اليوم".

قال :"طبعًا سوف أذهب، وأنت؟".

قلت: "وأنا طبعًا سوف أذهب، وأنوى الذهاب إلى الشاطئ لتوديع الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) هناك".

قال: "حفلات الوداع دائمًا ممتعة، أرجو أن تحضر الحفلة، اليوم سوف أحتسى كثيرًا من الخمر "

قلت: "احتس كما تشاء ولكنى سوف أعود بعد أن أتناول الطعام، كل من يحتسون الخمر حمقى".

قال: " أنت رجل يسعى دائمًا إلى عمل شجار، شخصيتك مثال لأبناء طوكيو، فهم متهورن".

قلت: " بصرف النظر عن ذلك، من فضلك تعالى إلى منزلى قبل الذهاب إلى الحفلة، عندى بعض الأشياء أريد إخبارك بها "

جاء "عاصفة الجبل" إلى منزلى كما اتفقنا، وفى تلك الفترة كنت كلما رأيت القرع الأزرق أشعر بالحزن عليه لا اتحمل الوقوف مكتوف اليدين حيال ذلك، ويوم الحفلة شعرت بحزن شديد على حال القرع الأزرق وقلت لنفسى " لو أستطيع الذهاب بدلاً منه إلى تلك المدرسة فسوف أفعل "، وفكرت فى إلقاء خطاب طويل أمام الجميع فى الحفلة يعبر عن مشاعرى تجاهه ولكنى أتكلم بلهجة طوكيو ولست فصيحًا فى الكلام ولذلك دعوت "عاصفة الجبل" إلى منزلى خصيصًا لكى أطلب منه أن يقول ما

أريد قوله، حيث أنه يتحدث بصوت عال يرعب أبو قميص أحمر.

وبدأت الكلام مع "عاصفة الجبل" من موضوع مادونا وقصصت عليه موضوع أبو قميص أحمر ومادونا ولكنه بالطبع يعرف ذلك أكثر منى، ثم قلت له قابلت أبو قميص أحمر مع المادونا على نهر نُزرِجَوَ، ثم قلت على أبو قميص أحمر

"أحمق"

فقال لى "عاصفة الجبل"

"أنت دائمًا تقول على الناس أنهم حمقى، فلقد قلت علىّ يوم أن تشاجرت معى أننى أحمق، فإذا كنت أنا أحمق فأبو قميص أحمر ليس أحمق؛ حيث أننى وأبو قميص أحمر لسنا متشابهين".

فقلت:

" حسنًا، أبو قميص أحمر الأحمق والجبان "

فوافق بحرارة على ذلك الوصف وقال:

"نعم هو كذلك"

و"عاصفة الجبل" يعرف الكثير من الكلمات ولكن بالنسبة لمثل تلك الكلمات فأنا أعرف أكثر منه بمراحل، وربما كل من هو من منطقة أَيْزُ مثله.

وعندما أخبرته عما قاله أبو قميص أحمر عن رفع راتبى وأننى سوف أقوم بمسئوليات أكثر أهمية من الآن فقال بصوت يدل على نفاد الصبر والضيق الشديد:

" إذن هو يريدنى أن أترك العمل "

فقلت له:

" هل تنوى ترك العمل إذا طلب من ذلك ؟ "

قال بثقة:

" من الذى يترك العمل ؟ إذا اضطررت إلى ترك العمل فسوف أجعله يترك العمل معى "

فقلت:

" وكيف سوف تجعله يترك العمل معك ؟ "

فقال:

" هذا ما لم أفكر فيه بعد "

و"عاصفة الجبل" قوى الجسم ولكنه ضعيف العقل، وعندما قلت له إننى رفضت أن يرفع أبو قميص أحمر راتبى فرح جدًا ومدحنى قائلاً:

" هؤلاء هم أبناء طوكيو، عظماء "

ثم سألته:

" إذا كان الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) يكره أن ينتقل إلى مدرسة أخرى فلماذا لم تحاول أن تفعل شيئًا ليبقى هنا ؟ "

فقال:

" عندما سمعت عن موضوع انتقاله هذا، كان الموضوع قد حُسِم من قبل، فلقد ذهبت مرتين إلى المدير ومرة إلى أبو قميص أحمر وتحدثت إليهم ولكنى لم أستطع اقناعهم، وفوق ذلك فإن الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) كان سلبيًا أكثر من اللازم مما جعل حل المشكلة صعب، فعندما استدعاه أبو قميص أحمر وحدثه أن

ينتقل إلى تلك المدرسة لم يرفض بشدة بل هرب من الرفض الصريح قائلاً: سوف أفكر، فاستغل أبو قميص أحمر هذه الفرصة واستصدر له قرار نقل من المدير بسرعة وبعد ذلك ذهبت أم الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) للمدير تبكى طالبة بقاءه هنا وذهبت أنا أيضًا أحاول إقناعه بذلك ولكن ذلك لم يغير فى الأمر شيء وهذا كان أمر محزنًا جدًا "

فقلت:

" هذا الموضوع مدبر من أبو قميص أحمر لإبعاد الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) عن المادونا، أليس كذلك؟".

فقال " أكيد، ليس هناك شك فى ذلك، ذلك الشخص له وجه هادئ ولكنه شرير، فإذا اتهمه أحد بشيء فهو دائما جاهز عنده ما يقوله للدفاع عن نفسه، إنه شيطان، والطريقة الوحيدة التى تأتى بنتيجة معه هى الضرب بقبضة اليد".

ثم رفع كم الجلباب وأرانى ذراعه مفتولة العظلات، فقلت له:

" يبدو عليك أنك قوى، هل تمارس رياضة الجودو ؟ "

فإذا به يفتل العضلة العلوية للذراع ويقول لى:

" تحسسها "

فضغطت عليها بأصابعى فكانت متحجرة مثل الأحجار الموجودة فى الحمامات العامة للاستحمام.

ولقد شعرت بالإعجاب بذراعيه القويتين هذه فقلت له:

" إنك تستطيع بهذه الذراع القوية أن تطيح بخمسة أشخاص مثل أبو قميص أحمر أرضًا".

فقال:

"طبعًا"

ثم أخذ يفرد ذراعه ويثنيها فتتكون عضلات كثيرة تحت الجلد، وكان ذلك منظرًا مدهشًا، وحسب قوله فإننا إذا وضعنا خيطًا حول عضلة الذراع ثم شد ذراعه لتتكون العضلة فإن الخيط ينقطع فورًا، فقلت له:

" إننى ممكن أن أفعل ذلك "

فقال:

"ممكن؟ إذا كان ممكن أن تفعل ذلك فافعل"

فقلت لنفسى "إذا لم أستطع فعل ذلك فسوف يكون منظرى سيئًا "، فتراجعت عن فعل ذلك.

فقلت له متعمدًا التحريض بعض الشيء والفكاهة البعض الآخر:

" ما رأيك بعد أن تحتسى كثيرًا من الخمر فى الحفلة أن تضرب أبو قميص أحمر وصبى العالمة ؟ "

فكر قليلاً ثم قال:

" لن أفعل ذلك الليلة "

فقلت له:

" لماذا "

قال:

" سوف نضع بذلك الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) فى موقف سيئ، لأن الحفلة حفلته، كما أننى يجب أن أفعل ذلك عندما

أقبض عليهما وهما يفعلان شيئًا سيئًا وإلا سوف يكون ذلك مشكلة لى"

فشعرت أنه كلام منطقى وأن "عاصفة الجبل" يفكر فى ذلك بجدية أكثر منى.

ثم قلت له:

" ألق كلمة أمدح فيها الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) كثيرًا، فإذا حاولت أنا إلقاء كلمة سوف أتحدث بلجهة طوكيو فلا يفهمنى أحد، وفى المناسبات الرسمية سوف أتلعثم ولن تخرج الكلمات من حلقى ولذلك تحدث بالنيابة عنى".

فقال:

" هذا مرض غريب، إذن أنت لا تستطيع الكلام أمام الناس، ألا تشعر بالضيق من ذلك ؟ "

فقلت:

" نعم أشعر بضيق ولكن ليس لدرجة كبيرة "

وأثناء الكلام جاء موعد الذهاب إلى الحفل، ذهبت أنا و"عاصفة الجبل " إلى مكان إقامة الحفل، المكان مطعم من المطاعم الفاخرة فى البلدة واسمه "كَشِنْتِيه"، لم يسبق لى أن دخلته، ولقد علمت أنه كان فى الاصل منزلاً لحاكم تلك المنطقة واشتراه شخص وفتحه مطعمًا كما هو دون تغير، والمكان يبدو فخمًا، وتحويل منزل حاكم منطقة إلى مطعم كتحويل بالطو جيش إلى ملابس داخلية.

وعندما وصلنا نحن الإثنين كانت الأغلبية موجودة فى حجرة حوالى مائة وثلاثين متـرًا مربعًـا، ومتجمعـين فـى ثـلاث مجموعات، وجانب وضع الزينة مثل الزهور واللوحـات كـان كبير وجميل، والحجرة التى كانت فى الفندق الذى أقمت فيه عند وصولى هنا كانت أربعين مترًا، ولكن لا تقارن أبدًا بهذا المكان، وقد كان طول ركن الزينة حوالى ثلاثة ونصف المتر، وقد كان فى الناحية اليمنى يوجد إناء فخارى أحمر اللـون مـن منطقـة "سِتُ" وفى وسطة وُضِع فرع كبير من شـجرة الصـنوبر، ولا أعرف لماذا وُضِع فى الإناء فرع صـنوبر، ولكـن ربمـا لأن الصنوبر يعيش عدة أشهر وهى مدة طويلة بالتالى يوفر المـال الذى ينفق على زهور تزبل بسرعة، ولقد سألت أستاذ العلوم:

" هذا الإناء الفخارى من منطقة سِتُ، أليس كذلك ؟ "

فقال:

" هذا ليس من منطقة سِتُ، بل من منطقة إِمَرِ "

فقلت:

" لقد اعتقدت أن كل الفخار من منطقة سِتُ "

فضحك أستاذ العلوم، ولكنى من طوكيو ولـذلك لا اعـرف الكثير عن الفخار فاعتقدت أن كل الفخار من منطقة "سِتُ"، وقد كان هناك لوحة مكتوب عليها ثمانى وعشرين كلمـة صـينية، وكل حرف مكتوب بحجم كبير مثل حجم وجهى، والخط سـيئ، ولأن الخط سيئ جدًا فقلت لأستاذ اللغة الصينية:

" لماذا يضعون هذه اللوحة فى مكان مهم كذلك ؟ "

فقال:

" إنها لخطاط مشهور اسمه كَى أُكُ "

وبصرف النظر أنها للخطاط " كَى أُكُ " أو غيره فمازلت اعتقد أنها مكتوبة بخط سيئ.

وأخيرًا حضر سكرتير المدرسة السيد " يُشمُرَ" وقال لنا:

" تفضلوا بالجلوس فى الأماكن المخصصة لكم"

فجلست فى مكان مناسب لى حيث يوجد عمود لكى اسند ظهرى عليه، وجلس المدير "الكلب الراكون" أمام لوحة الخطاط "كَى أُكُ" مرتديًا زيًا رسميًا، وجلس على يساره أبو قميص أحمر، وجلس على يمين المدير عريس الحفل وهو القرع الأزرق، مرتديًا زيًا يابانى الطراز، أما بالنسبة لى فقد كنت أرتدى زيًا أوربيًا ولذلك كان يصعب علىّ أن أجلس جلسة رسمية على كعبىّ ولذلك جلست مربع القدمين، وأما أستاذ الرياضة فقد جلس بجانبى مرتديًا سروالاً أسود بطريقة رسمية جدًا، وذلك بالجلوس على كعبيه وهما مرفوعتان لأعلى، وهو الوحيد الذى جلس جلسة رسمية جدًا مثل ذلك، وبعد ذلك بمدة جاءت موائد الطعام ثم اصطفت قارورات الخمر، ثم توقف الشخص الذى قام بالإعداد للحفل وافتتح الحفل بكلمة، ثم تلاه المدير (الكلب الراكون) ثم أبو قميص أحمر، فوجهوا جميعهم كلمات وداع للقرع الأزرق تحمل نفس المعنى، بأنه أستاذ ممتاز وشخصية محبوبة، وفراقه محزن لهم، ليس فقط على مستوى المدرسة ولكن أيضًا على المستوى الشخصى، وأن النقل كان

بناءً على رغبته الشخصية وأنه كان مصمم على النقل ولذلك لم يكن بيدهم حيله إلا الاستجابة إلى رغبتـــه، ولكنـــى تعجبـــت أن يقيموا حفل وداع ويكذبون هكذا ومع ذلك لا يشعرون بأى نـــوع من الحياء، وإن أكثر من مدح القرع الأزرق من الثلاثة الـــذين تحدثوا كان أبو قميص أحمر فقد قال من بين ماقاله:

" فى الحقيقة إننى حزين أشد الحزن على فقدان هذا الصـــديق العزيز".

ولقد كان يتحدث بصوت رقيق جدًا، وكان صوته أكثر رقـــة من صوته المعهود بالرقة، وأكيد أن أى شـــخص ســـمعه لأول مرة، سوف ينخدع فيه ويعتقد أنه صادق فيما يقـــول، وأكيـــد أن المادونا قد انجذبت إليه بسبب أسلوبه الناعم الخادع هذا، وبينمـــا كان أبو قميص أحمر يقول كلمة الوداع فـــإذا بـــالقرع الأزرق والذى كان يجلس فى الجهة المواجهة لى ينظر ناحيتى بنظـــرة صاعقة تنم عن غضب شديد، فرددت عليه بوضع أصبعى على أنفى وإخراج لسانى دليلاً على السخرية مما يقوله أبـــو قمـــيص أحمر.

انتظرت بفارغ الصبر أن ينتهى أبو قميص أحمر من كلمتـــه وعندما قام بعده "عاصفة الجبل" ليلقى كلمة شـــعرت بالســـعادة، وصفقت دون أن أدرى، وإذا بالمدير (الكلب الراكون) ومن بعده الجميع ينظر لى فشعرت بالحرج، وقلت لنفسى "ماذا سوف يقول "عاصفة الجبل"؟ "

فقال:

" لقد قال المدير ثم من بعده الناظر إنهما يشعران بالحزن الشديد لانتقال الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) إلى مدرسة أخرى ولكنى أشعر بمشاعر مختلفة عنهم، فأنا أتمنى أن يرحل الاستاذ كُجَ (قرع أزرق) بسرعة وكلما كان أسرع كان أفضل إلى تلك المدرسة، فمنطقة (نُبِيه أُكَ) منطقة نائية منعزلة ومقارنة بهنا فهى تفتقر إلى وسائل الراحة المادية المتوافرة هنا ولكن حسبما علمت فإنه الناس هناك مازالوا يحافظون على العادات القديمة من طيبة ونقاء وعدم الخبث، وأن جميع الأساتذة والتلاميذ مثل السابقين؛ فهم يحافظون على تقاليد القدماء من الصدق، وأنا متأكد من عدم وجود أى إنسان هناك يُظهر ما لا يُبطن؛ لا يوجد شخص هناك جميل الوجه ومنافق، يوقع بشخص طيب فى ورطة، ولذلك فبالتأكيد إن إنسانًا طيبًا وصادقًا مثل الأستاذ كُجَ (قرع أزرق) سوف يكون محل ترحاب كبير من الجميع هناك، ولهذا فأنا سوف احتفى بانتقال الاستاذ كُجَ (قرع أزرق) احتفالاً كبيرًا إلى (نُبِيه أُكَ)، وفى النهاية أتمنى عندما تنتقل إلى (نُبِيه أُكَ) أن تختار فتاة من هناك تليق بأن تكون زوجة لك فتتزوجها وتكون أسرة سعيدة وأن تكون متواضعة وألا تكون عابثة تجلب لك العار فتموت من الحسرة".

ثم تجشأ مرتين وجلس، ففكرت أن أصفق له ولكنى تراجعت خوفًا من أن ينظر إلىّ الجميع مرة أخرى، وبعد أن جلس "عاصفة الجبل" قام القرع الأزرق وذهب من مكانه إلى آخر

الحجرة حيث يجلس أقل الأساتذة مكانًا وقام بالإنحاء فى أدب جم إلى الجميع، ثم قال:

" قررت مؤخراً أن اذهب إلى جزيرة كيوشو بسبب ظروف شخصية، وإنى أشعر بالتأثر الشديد من تفضلكم جميعًا بإقامة حفل وداع كبير مثل هذا لأستاذ صغير مثلى، ولن أنسى أبدًا كلماتكم الجميلة وخاصة كلمة المدير وكلمة الناظر، وسوف أترك هذا المكان وأذهب إلى مكان بعيد وارجو ألا تنسونى وأن تظلوا عونًا لى كما كنتم من قبل"

سجد احترامًا للجميع وعاد إلى مكانه، وفى الحقيقة أن القرع الأزرق إنسان طيب جدًا لدرجة ليس لها حدود، فبرغم أن المدير والناظر تآمرا عليه فى موضوع النقل هذا ولكنه أظهر لهما احترامًا شديدًا فى كلمته التى ألقاها، ومن خلال شكله والكلمات التى استخدمها وتعبيرات وجهه تستطيع أن تقول إنه فعلاً شكرهما من قلبه بصدق، وكان من المفترض أن يشعر المدير (الكلب الراكون) وأبو قميص أحمر بالخجل ويحمر وجههما مما قاله القرع الأزرق من كلمات شكر صادقة لهما ولكنهما استمعا إلى كلمته باهتمام شديد ووجههما يحمل ملامح عادية ولم يبد عليهما الخجل أو يحمر وجههما وكأنه من الطبيعى أن يشكرهما بتلك الطريقة.

وبعد انتهاء كلمات الوداع بدأت أصوات تناول الطعام والشراب تتعالى، وبدأت أنا أيضًا أفعل مثل ما يفعلون، فتذوقت الحساء ولكن كان سيئ الطعم، وكان هناك فطيرة أسماك

مبشورة ولكن الأسماك كانت سوداء وهذا يعنى أنهـا لـم يـتم طهوها بدرجة كافية، وكان هناك أسماك نيئة ولكن كانت مقطعة إلى قطع سميكة وأكلها سوف يكون شيئًا مقززًا مثل أكل قطـع تونة نيئة، ومع ذلك فإن من يجلسون بجانبى كانوا يأكلون بـنهم وكأنها أطعمة شهية، أكيد لم يسبق لهم تناول أطعمة طوكيو.

وبدأت قارورات الخمر الدافئة تنتقل من شخص إلـى آخـر وتحول المكان كله إلى صخب، وذهب صبى العالمة إلى المدير وحصل منه على كأس خمر، فقلت لنفسى: "إنسان ذليـل، وقـام القرع الأزرق بالمرور على جميع الحضور، يصب لهم خمر فى كئوسهم ويصبون له خمرًا فى كأسه ويتقارعون الكئـوس فـى صحة بعضهم البعض، أنه عمل شاق، ثم جاء أمامى ثم أصـلح الزى الذى يرتديه وطلب منى بطريقة رسمية أن اسمح له بتناول كأس الوداع متمنيًا الصحة لى فجلست جلسة رسمية رغم أننـى أرتدى سروالاً ويصعب علىّ فعل ذلك مع إرتداء السروال، ثـم اقترعنا كئوسنا، ثم قلت له:

" من المؤسف أن ترحل وتترك المكان بعـد قـدومى بمـدة قصيرة، متى سوف ترحل ؟، أريد الذهاب إلى الشاطئ لوداعـك هناك".

فقال:

" أنت مشغول بأشياء كثيرة ولذلك ليس هناك داع أن ترهـق نفسك وتأتى "

فقلت لنفسى " مهما يقول، فسوف اتغيب عن المدرسة وأذهب لتوديعه على الشاطئ "

وبعد ذلك بساعة انتهى النظام فى الحجرة، وكان هناك واحد أو اثنان يقولان أشياء بصوت غير واضح مثل " اشرب، لقد قلت لك اشرب "، شعرت بالملل فذهبت إلى دورة المياه ثم وقفت أشاهد الحديقة القديمة الطراز والتى يسطع عليها نور النجوم، وحين إذ جاء "عاصفة الجبل" وقال:

" ما رأيك فى كلمتى ؟ ألم تكن ممتازة ؟ "

وبدا عليه أنه سعيد بما قال، فقلت له مهاجمًا:

" موافق على أغلبية ما قلت ولكن هناك شىء واحد لا أوافق عليه "

فقال:

" ما هو الذى لا توافق عليه ؟ "

فقال:

" لقد قلت فى (نُبِيه أُكَ) لا يوجد شخص جميل الوجه ومنافق، يوقع بشخص طيب فى ورطة "

فقال:

" هذا صحيح "

فقلت " إن كلمة منافق غير كافية "

ثم فقلت:

" تقول: منافق ونصاب ودجال وثعلب وغشاش وغير جدير بالثقة وقذر وجاسوس جبان وندل "

فقال:

" أنا لا استطيع قول ذلك، أنت فصيح اللسان، تعرف كثيـرًا جدًا من الكلمات ولكن من الغريب أنك لا تستطيع أن تلقى كلمة أمام الجميع "

فقلت:

" ماذا ؟ هذه الكلمات حفظتها لكى استخدمها وقـت الشـجار، ولكن لا يمكن استخدامها فى خطاب "

فقال:

" ولكن تلك الكلمات تخرج من فمك بطلاقة، كررهـا مـرة أخرى من فضلك "

وبينما كنت أكرر قلت:

" سوف أكررها كما تشاء، منافق ونصاب ودجال وثعلب وـ"

وهو يقول بعدى، فإذا بأستاذين يترنحان ويتحدثان بأصـوات عالية تسبب الضوضاء يسيران نحو الشرفة التـى نقـف فيهـا ويقولان لنا:

" أنتما الاثنان تهربان، لن ندعكما تهربان أبدًا طالما نحن هنا، من فضلكما احتسيا الخمر، تقولان نصاب ؟ هـذا شـىء مثيـر للدهشة، من فضلكما تعالا واحتسيا الخمر "

ثم سحبانا أنا و"عاصفة الجبل " وسارا بنا إلى الداخل، ومـن الغريب أن هذين الإثنين حضرا فى الأصل لدخول دورة الميـاه ولكن لأنهما سكيران فقد نسيا دخول دورة المياة وانشغلا بسحبنا

إلى داخل الحجرة، فالسكران ينشغل بما أمام عينيه وينسى تمامًا ما كان ينوى فعله.

ثم قالا:

" أيها السادة، لقد أحضرت لكم هـذين النصـابين، اسـقيهما خمرًا، اسقيا هذين النصابين خمرًا إلـى أن يقـولا لا نسـتطيع احتساء المزيد، ولا تجعلاهما يهربان "

ولم أحاول الهروب ولكنهم ألصقونى ناحية الحائط، ونظـرت حولى فوجدت كل موائد الطعام فارغة ولا يوجد فيها حتى طبق واحد عليه طعام، ولقد أكلوا طعامى كله عن آخره، ومنهم مـن انتقل مسافة عشرة أمتار ليبحث عن طعام يأكلـه، ثـم نظـرت لأرى المدير فإذا به غير موجود ولا اعلم متى رحل.

ثم سمعت عدة راقصات تسألن عن الحجرة، وبعد ذلك دخلـن الحجرة التى نحن فيها، ولكنى كنت ملتصقًا بالحائط ولم أسـتطع الحركة فظللت أرى ما يحدث فقط، وإذا بأبو قميص أحمر الذى كان يجلس مستندًا إلى عمود أمام ركن الزينة ويـدخن غليونـه الكهرمانى فى تفاخر كالمعتاد يقوم فجأة وهم بالسير ناحية الباب للخروج، وإذا بإحدى الراقصات الى أتت من ناحية الباب تتقابل معه فتبتسم له وتلقى عليه التحية، وتلك الراقصة كانت أصـغر الراقصات وأكثرهن جمالاً، ولقد كانا بعيدين عنى فلم اسمع مـا قالت ولكنها غالبًا قالت " من! سيادتكم! مساء الخير "، ولكن أبو قميص أحمر تجاهلها متعمدًا وخرج من الحجرة عائدًا إلى منزله كما فعل المدير.

تحولت الأجواء داخل الحجرة إلى أجواء بهجة مع قدوم الراقصات، وتعالت أصوات الترحاب بقدوم الراقصات وكأنها أصوات بداية حرب وأصبح المكان ضوضاء، البعض لعب مع الراقصات لعبات مثل أن يضع يده خلفه ويضع فيها بعض الأحجار الصغيرة ثم يمد يده أمامها ويسألها كم حجر فى يدى، وكانت أصواتهما عالية وهما يفعلان ذلك مثل القدماء الذين كانوا يتباريان على من يُخرج سيفه قبل الآخر، وهناك من يلعبان لعبة " الحجر والورقة والمقص " ويفعلان ذلك بحماس شديد ويهزان أيديهما بمهارة أكثر من مهارة من يقوم بتحريك العرائس بخيوط، وفى الركن المقابل من ينادى على الراقصة أن تسكب له خمرًا من الزجاجة ولكنه عندما يهز الزجاجة فيجدها فارغة فينادى على النادل ليحضر له زجاجة أخرى، وأصبحت الضوضاء والصخب عالية لدرجة لا يمكن تحملها، أما القرع الأزرق فكان وسط كل هذا خالى اليدين وينظر إلى أسفل غارقًا فى التفكير، فلقد أقاموا حفل ليس حزنًا على انتقاله لمدرسة أخرى ولكن ليحتسوا الخمر ويلهون، من أجل أن يجلس وحيدًا خالى اليدين يعانى، إذا كان هذا هو حفل الوداع، فكان من الأحرى ألا يُقام له حفل وداع.

وبعد قليل بدأ كل شخص يغنى أغانيه المفضله عنده بصوته الأجش، ثم جاءت راقصة وقالت لى:

" أنت، ماذا تفعل ؟ من فضلك غنى شيئًا "

فقلت لها:

" لا أستطيع الغناء، غنى أنت "

فغنت:

"مع ضرب الطبلة وهز الجرس، خرجنا للبحث عن الولد الصغير المفقود، فإذا كنت قد وجدته، فإنى أبحث عن حبيب".

قالت ذلك على مرتين ثم قالت:

" لقد شعرت بالتعب الشديد "

فقلت لنفسى " إذا كانت قد شعرت أن غناء هذه الأغنية صعب عليها، فلماذا لم تختر أغنية أسهل من هذه! "

وحينئذ ظهر فجأة "صبى العالمة" فجاء وجلس بجوارها تلك الراقصة وقال لها بطريقته المعتادة فى التمثيل وكأنه راوى حكايات:

" يا آنسة سُزُ، لقد حضرت لتقابلى رجلاً معينًا ولكن للأسف ذلك الرجل غادر الآن، إنى متعاطف معك واشعر بالحزن عليك"

فردت عليه بتجهم وضيق:

" أنا لا افهم عما تتحدث"

ثم تجاهلته، فبدأ " صبى العالمة بغناء مقطع من مسرحية غنائية مشهورة تتحدث عن الحب، فقال بصوت سيئ "التقى الحبيب والحبيبة بالصدفة"، فإذا بالراقصة تضربه على ركبته قائلة " توقف عن هذا " فضحك فى سعادة غامرة، وكانت هذه الراقصة هى الراقصة التى ألقت التحية على "أبو قميص أحمر" منذ قليل، ولكن أن يضحك " صبى العالمة " فى سعادة غامرة

لأن الراقصة ضربته على ركبته، فهذا امر يدل على أنه أبله، ثم قال لها:

" اعزفى لى قطعة موسيقية لكى اقوم بالرقص عليها "

فتعجبت مما قال وقلت لنفسى " يا لها من وقاحة، هل ينوى الرقص أيضًا "

وفى الجانب الآخر من الحجرة جلس أستاذ اللغة الصينية وبدأ فى الغناء وهو يحاول التحكم فى فمه الذى ليس فيه أسنان لكى يغنى بصوت مقلدًا به صوت النساء حيث غنى

" كيف تتعاملين معى بهذه القسوة بعد ما كان بيننا من حب كبير "

ورغم أنه قال هذا المقطع بطريقة صحيحة إلا أنه توقف بعد ذلك وسأل الراقصة التى بجانبه:

" ماذا بعد ذلك ؟ "

فإنه رجل مسن ولذلك فهو كثير النسيان. ثم قامت راقصة أخرى بالامساك بأستاذ الطبيعة وقالت له:

" هناك أغنية جديدة ألا تريد سماعها ؟ "

ثم قالت له " استمع جيدًا "

وغنت أغنية عن فتاة متأمركة، تصفف شعرها على طراز أجنبى وتربطه برباط أبيض وتركب دراجة وتعزف على كمان وتقول لكل من يقابلها بلغة إنجليزية ضعيفة جدًا I am glad to see you (أنا سعيدة بلقائك)، ولقد أعجبت تلك الأغنية أستاذ

الطبيعة لأنها تحتوى على أجزاء باللغة الإنجليزية وعلى أجـزاء باللغة اليابانية معًا.

ثم قام "عاصفة الجبل" بالصراخ بصوت عال آمرًا إيها حيـث قال:

"أيتها الراقصة، أيتها الراقصة، اعزفى لى على القانون أغنية "رقصة السيف" لكى أغنيها ".

ولكن لأن طريقته فى الطلب كانت عنيفة فاندهشت الراقصـة من أسلوبه هذا فلم تستجب لطلبه، ولكنه تجاهل رد فعلها وجـاء إلى منتصف الحجرة وبدأ فى الغناء والرقص منفردًا دون عزف منها ورقص وهو يغنى:

" صعدت الجبال رغم القمم التى لا حصر لها ورغم الضباب الذى يلتف حولها من كل جانب "

أما " صبى العالمة " فلقد انتهى مـن غنـاء مجموعـة مـن الأغانى والآن فقد شمر عن ساعدية ويسر فى الحجـرة يمينًـا ويسارًا كالمجنون يغنى أغنية عسكرية تبدأ بمقطع " المفاوضات مع الصين باءت بالفشل ".

ولقد شعرت بالأسف على الأستاذ " قرع أزرق " حيث كـان يرتدى الزى الرسمى طوال الوقت مما جعله لا يشعر بالراحـة رغم أن الحفل حفله وكنت ارى أنه ليس من المهم أن يظل فـى الحفل ليرى رقص شخص مجنون مثل " صبى العالمة " ولـذلك ذهبت إليه وقلت له:

" هيا نترك المكان "

فإذا به يقول:

" الحفل هو حفل وداعى ولذلك ليس من اللائــق أن أتركــه وأذهب قبل الآخرين، تفضل أنت إذا كنت تريد المغادرة"

ثم ظل جالسًا لا يتحرك. ولكنى قلت له:

" لا يجب أن تفكر فى ذلك، انظر جيدًا، هل هذا حفــل وداع، إذا كانوا يريدون إقامة حفل وداع فيجب أن يقيموهــا بطريقــة لائقة، هذا حفل مجانين، هيا نذهب".

وسحبته رغمًا عن رغبته وعندما كنا على وشك الخروج من الغرفة، إذا بصبى العالمة يأتى وفى يده مكنسة يهزها ثم قال:

"عيب أن يغادر صاحب الحفل قبل الآخرين"

ثم وضع المكنسة فى وضع أفقى فمنعنا من الخروج وقال:

" لن يغادر صاحب الحفل" ثم استمر فى غناء "المفاوضات مع الصين باءت بالفشل".

وبما أننى كنت غاضبًا مما يحدث فقلت له:

" بما أن المفاوضات مع الصين قد فشلت، فابتعــد عنــا يــا صينى".

ثم ضربته بقبضة اليد فى رأسه، فحدث له ذهول لمــدة عــدة ثوان ثم قال:

" أشعر بألم، إنه لعار أن تضربنى، تضــربنى أنــا! شــكرًا جزيلاً، إن هذا سوف يؤدى إلى فشل حقيقى للمفاوضــات مــع الصين".

ثم قال أشياء أخرى غير مفهومة، وفى هـذه الأثنـاء انتبـه "عاصفة الجبل" إلى وجود مشكلة هنا فتـرك الـرقص والغنـاء وجاء مسرعًا إلى، ثم مسك صبى العالمة من قفاه بقوة وسـحبه إلى الخلف، فما كان من صبى العالمة إلا أن قال:

"أشعر بألم، أشعر بالم، ما هذا العنف؟!"

وبينما كان يحاول الافلات من مسكة "عاصفة الجبل" بالالتواء إلى الجانب فإذا به يسقط على الأرض ويصطدم بها بشـدة، ولا اعلم ماذا حدث بعد ذلك ولكنى افترقت عن القرع الأزرق فـى منتصف طريق العودة إلى منازلنا وعندما وصلت إلـى منزلـى كانت الساعة قد تخططت الحادية عشرة مساءً.

الفصل العاشر

اليوم إجازة للمدارس بمناسبة انتصار اليابان على الصين فى الحرب، ولوجود عرض عسكرى فى ساحة التدريبات العسكرية فوجب على المدير (الكلب الراكون) أن يجمع التلاميذ ويأخذهم لحضور ذلك العرض، وبالطبع سوف أذهب أنا معهم كأحد أساتذة المدرسة، وعندما خرجنا من بوابة المدرسة وجدنا المدينة كلها مليئة بأعلام اليابان لدرجة تبهر العين، وبما أن عدد تلاميذ المدرسة يزيد على الثمانمائة تلميذ، فقام أساتذة التربية الرياضية بتقسيمهم إلى مجموعات ووضع أستاذ على رأس كل مجموعة لتنظيمها، ووضع أستاذ أو اثنين على رأس كل مجموعة لتنظيمها فكرة ممتازة جدًا ولكن لا يمكن تطبيقها على أرض الواقع، فالتلاميذ أطفال وفوق ذلك قليلو الحياء ويعتقدون أن اتباع النظام شىء سيئ يمس كرامتهم وسمعتهم، ولذلك فإن وجود

أساتذة على رأس المجموعات شيء ليس له فائدة في الواقع، فدون أمر من الأساتذة ينشدون الأناشيد الوطنية من تلقاء أنفسهم ويتوقفون عن إنشادها أيضًا من تلقاء أنفسهم، ودون سبب منطقي يصيحون صيحات الحرب، كجيش دون قائد يسير في أرجاء المدينة هنا وهناك دون نظام، وعندما لا ينشدون الأناشيد العسكرية ولا يصيحون صيحات الحرب، يتحدثون مع بعضهم البعض بأصوات عالية فيحدثون ضوضاء، من الممكن أن يسيروا دون أن يتحدثوا ولكن كل اليابانيين عندما ولدوا خرجت أفواههم في البداية، فهم يحبون الكلام حبًا جمًا، فمهما قلت لهم أن يكفوا عن الكلام فإنهم لا يطيعون، فالكلام دون مقابل، فهم لا يدفعون نقودًا لكي يتم السماح لهم بالكلام، والأسوأ من ذلك أنهم منحطون، فهم يتحدثون بالسوء عن الأساتذة، لقد تصورت أنني علمتهم درسًا في الأخلاق وذلك حينما جعلتهم يعتذرون عما فعلوه من شقاوة ليلة أن كنت مشرفًا على بيت الطلاب ولكن في الواقع فإن تصوري هذا كان تصورا خاطئًا، أو كما قالت صاحبة المنزل الذي أسكن فيه " إذا كنت تصورت أن اعتذار التلاميذ لك يدل على ندم حقيقي من قلوبهم على ما فعلوا فهذا وهم كبير، فإنهم احنوا رءوسهم لك بطريقة شكلية لأن مدير المدرسة قال لهم أن يفعلوا ذلك، وهم في ذلك مثل البائع الذي يحني رأسه لك ولكنه في نفس الوقت يبيع لك بضائع مغشوشة، فالتلاميذ يعتذرون لك شكليًا فقط ولكنهم لن يتوقفوا عن القيام بالشقاوة وافتعال المشكلات أبدًا".

وعندما فكرت جيدًا وجدت أن جميع الناس يفعلون مثل ما يفعل هؤلاء التلاميذ، وبالتالى من الغباء أن نأخذ اعتذار الآخرين عن تصرفاتهم مأخذ الجد، فنعتقد أنهم صادقون فى شعورهم بالندم وأنهم يعتذرون على هذا الأساس، فإذا اعتذروا لك شكليًا فتتقبل اعتذارهم شكليًا وإذا كنت تريد أن يعتذروا لك بصدق من قلوبهم فيجب عليك أن تستمر فى عقابهم بشدة إلى أن ينهاروا ويعتذروا من قلوبهم".

وبينما كنت أسير خلف مجموعة من التلاميذ وأمام مجموعة أخرى كنت اسمع باستمرار من يقول " مكرونة بالخضراوات المقلية " ومن يقول " لقمة القاضى "، ولكن بما أن من يقول ذلك كثيرون فلا استطيع أن أحدد أيهم الذى يقول ذلك، وعلى افتراض أننى أستطعت أن أحدد من يقول ذلك وقلت له "أنت تتحدث عنى بالسوء"، فطبعًا سوف يرد "أنت مفرط فى الحساسية، فتتصور أن كل من يتحدث عن تلك الأشياء يقصدك أنت"، فلقد تعود أهل هذا المكان على أن يكونوا جبناء وذلك منذ أن كانت اليابان دولة إقطاعية، وعليه فمهما تقل لهم وتحاول إصلاحهم فلن تفلح فى ذلك، فهم كما هم لن يتغيروا، وإذا ظللت أنا هنا لمدة عام كامل، ربما سوف أصبح مثلهم، فأقلدهم فى تصرفاتهم وأفقد نقائى، وقلت لنفسى "لن أقول لهم إنكم تتحدثون عنى بالسوء حتى لا أعطيهم الفرصة ليقولوا إننا لا نقصدك فأضع نفسى فى موقف ضعف وأبدو كأبله، ولكن بصرف النظر عن كونهم أطفالاً أو تلاميذ فإنهم ذوو أجسام أكبر منى، ويجب

علىّ أن أرد على تصرفهم هذا بطريقة ما حتى لا يستهينوا بى، ولكن لو حاولت الرد عليهم بطريقة عادية فسوف يقومون بفعل شىء ما ضدى، فيبدون أمام الجميع أنهم شرفاء ومجنى عليهم ويبدو ردى عليهم أنه هجوم ليس له مبرر وأننى جان عليهم، ورغم أننى أرد على هجومهم، لكن إذا كشفت أخطائهم أمام الجميع فإن ما سوف أفعله لن يبدو ردًا على هجومهم، أى إذا لم اكشف أخطاءهم سوف يبدو أمام الجميع ما سوف أفعله كمحاولة لجرهم إلى مشاجرة، وسوف يكون هذا أمرًا شديد السوء بالنسبة لى، وإذا تركتهم يسيئون إلىّ فسوف يشعرون بنشوة الانتصار علىّ وسوف يتمادون فى ذلك، وهذا ليس فى صالح المجتمع ككل، ولذلك ليس هناك مفر من استخدام طريقة مثل طريقتهم فى الرد عليهم ولكن يجب ان تكون طريقة لا يمكن اكتشافها، ولكن إذا حاربتهم بنفس طريقتهم هذه الجبانة فلن أكون من أبناء طوكيو المعروف عنهم أنهم شرفاء، ولكن ما المانع أن أكون جبانًا مثلهم، فأنا إنسان وإذا لم أحاربهم بنفس طريقتهم فسوف أظل فى هذا الوضع طوال العام، وإن الشىء الوحيد الذى يخرجنى من هذا كله هو الرجوع بسرعة إلى طوكيو والعيش مع السيدة " كيو "، فإن العيش فى هذا الريف سوف يجعل تصرفاتى بذيئة، وإن العمل حتى فى توزيع الصحف فى طوكيو أهون علىّ من العمل فى هذا الريف الذى سوف يحط من أخلاقى "

وبينما كنت أتحامل على نفسى فى السير وأنا أفكر فى مثل تلك الأشياء، سمعت ضوضاء فى مقدمة الصفوف، كما أن

الصفوف توقفت مرة واحدة عن السير، فشعرت بحدوث شيء غريب أدى إلى ذلك، فخرجت من الصفوف إلى الناحية اليمنى ونظرت إلى مقدمة الصفوف فوجدت كثير من التلاميذ يتدافعون ويدفع بعضهم البعض عند نهاية شارع " أُوتيه مَتَش " ومنحنى بداية شارع "يَكُشِ مَتَش"، فاقتربت من أستاذ التربية الرياضية الذى بُحَّ صوته من النداء بصوت عال على التلاميذ أن يتأدبوا فى معاملة الآخرين وألا يدفعوهم، وسألته ماذا حدث فقال لى إن تلاميذ مدرستنا الإعدادية اصطدموا وتشاجروا مع تلاميذ المدرسة الإعدادية للمعلمين عند منحنى الشارع، والعلاقة بين تلاميذ المدارس الإعدادية العادية ومدارس المعلمين فى كل المحافظات علاقة سيئة، كالعلاقة بين القطط والكلاب، ولا اعلم لماذا تكون علاقة سيئة ولكن طبائعهم وطريقة تفكيرهم وشخصياتهم مختلفة اختلافًا تامًا عن بعضهم البعض، فإذا حدث خلاف ولو بسيط بينهم ينقلب على الفور إلى عراك، وربما يتعاركون مع بعضهم البعض لأنهم يعيشون فى قرية صغيرة مثل هذه وعندهم وقت فراغ، فيتعاركون كنوع من شغل وقت الفراغ، وبما أننى أحب العراك فعندما علمت أن هناك تصادمًا وعراكًا بين تلاميذ مدرستنا الإعدادية ومدرسة المعلمين شعرت بشيء من الإثارة والسعادة واسرعت إلى مكان الحدث، فوجدت تلاميذ مدرستنا الاعدادية المتواجدين فى مقدمة الصفوف يصيحون فى تلاميذ مدرسة المعلمين قائلين:

" انتظروا أن نعبر أولاً يتلاميذ مدرسة المعلمين، أنتم لا تدفعون مصروفات تعليمكم من أموالكم الخاصة، بل يتم دفعها لكم من الضرائب التى يسددها الشعب "

ومن خلفهم من يقول بصوت عال:

" ادفعوهم جانبًا وتقدموا "

وحينئذ فرقت التلاميذ الذين كانوا يقفون أمامى يعيقوننى عن التقدم، ثم تقدمت إلى الأمام حيث المنحنى الذى يتعارك فيه التلاميذ، وعندما كدت اصل هناك، سمعت من يصيح بصوت حاد وعال:

"إلى الأمام".

ثم بدأ تلاميذ مدرسة المعلمين فى التقدم إلى الأمام، وهذا يعنى أن المشكلة تم حلها، أى أن تلاميذ المدرسة الاعدادية تنازلوا عن فكرة دخول الشارع قبل تلاميذ مدرسة المعلمين وتركوهم يدخلون قبلهم، حيث أنه من ناحية المستوى التعليمى والمكانة، فإن مدارس المعلمين تُعتبر أعلى من المدارس العادية الآخرى مثل مدرستنا الاعدادية.

المراسم الرسمية للاحتفال بالنصر كانت بسيطة جدًا، قائد الجيش قال كلمة تهنئة ثم تبعه المحافظ أيضًا بكلمة تهنئة ويصيح المشاركون فى الصفوف باطلاق صيحات النصر "تحيا اليابان" وهكذا انتهت المراسم الرسمية للاحتفال.

وعلمت أن هناك فقرات ترفيهية فى الاحتفال سوف تكون بعد الظهر فقررت الرجوع إلى المنزل وكتابة خطاب إلى السيدة "

كيو " حيث أنها كانت قد طلبت منى أن اكتب لها خطابًا طويلاً تفصيليًا عن أحوالى وكان ذلك الامر يشغل بالى، فنويت ان اكتب لها خطابًا جيدًا واحضرت ورقة كبيرة ووجدت أننى أريد أن أكتب لها عن أشياء كثيرة جدًا ولم أعرف من أين أبدأ، فقلت لنفسى "أكتب عن هذا الشيء ولكن صعب أن أكتب عنه، إذًا، أكتب عن ذاك الشيء ولكن ذاك الشيء ممل"، فلم أجد شيئًا يخرج من عقلى بسرعة استطيع أن أكتب عنه ويكون شيئًا شيق، اخرجت الحبر ووضعت الريشة فى الحبر واستعددت للكتابة، ونظرت إلى الورقة، ثم وضعت الريشة فى الحبر ونظرت إلى الورقة مرة أخرى، ثم فعلت ذلك أكثر من مرة وفى النهاية وجدتنى لا أستطيع الكتابة فتراجعت عن الكتابة وأغلقت علبة الحبر، ثم قلت لنفسى "إن كتابة الخطابات شيء متعب وإن افضل شيء أن أذهب إلى طوكيو فأقابل السيدة كيو واتحدث إليها مباشرة، أنا أشعر أنها قلقة علىّ ولكن كتابة خطاب تفصيلى يطمئنها علىّ كما تريد شيء أصعب من صيام ثلاثة أسابيع متواصلة".

تركت الريشة والأوراق واستلقيت على بطنى واضعًا ذراعىّ تحت رأسى بدلاً من الوسادة ونظرت إلى حديقة المنزل وفكرت فى السيدة "كيو" وقلت لنفسى الآتى:

" طالما أننى هنا فى مكان بعيد عن السيدة كيو ومع ذلك أفكر فيها فأكيد أن روحى على إتصال بروحها وبالتالى ليس هناك أهمية لكتابة خطابات لها، فإذا لم اكتب لها خطابات فسوف تفهم

أننى أعيش بخير، فيكفى كتابة الخطابات فى حـالات الوفـاة أو المرض أو الظروف الطارئة "

وحديقة المنزل، حديقة مسطحة، مساحتها حـوالى ٣٥ متـرًا مربعًا ولا يوجد فيها أى نوع من الأشجار، إلا شـجرة يوسـفى واحدة وكبيرة وعندما تراها من بعيد تعرف أين يقـع المنـزل، وعندما أعود إلى المنزل، دائمًا انظر إلى تلك الشجرة وأتأملهـا، حيث أنه بالنسبة لإنسان مثلى لم يغادر طوكيو أبدًا، شىء نـادر جدًا أن يشاهد يوسفى على الأشجار ينمو ويكبر أمامه، بالتأكيـد أن ذلك اليوسفى الأخضر سوف ينضج ويصبح لونـه أصـفر، وسيكون منظره جميلاً، وحتى الآن تغير لون حـوالى نصـف اليوسفى من الأخضر إلى الأصفر، وعندما سألت صاحبة المنزل عن يوسفى تلك الشجرة قالت: إن تلك الشجرة تنتج يوسفى كثيـر الماء جدًا ولذيذ الطعم، ثم قالت لى عندما ينضج اليوسفى تنـاول منه ما شئت، ولكنى أنوى أن اتناول كل يوم القليـل، وسـوف يكون اليوسفى ناضجًا وصالحًا للأكل بعد حوالى ثلاثة أسـابيع، ولكن أمعقول أن ارحل من هذه البلدة قبل مرور ثلاثة أسابيع؟!.

وبينما كنت أفكر فى اليوسفى فإذا بالأستاذ "عاصـفة الجبـل" يأتى فجأة للتحدث معى، وقال:

"بما أن اليوم يوم الاحتفال بعيد النصر، فلقد أحضرت لحمًـا بقريًا لنتناوله معًا".

ثم أخرج من كم الجلباب لفافة من لحاء الخيزران ووضـعها فى وسط الحجرة، وبما أنه محكوم علىّ أن أتناول الدرنات مثـل

البطاطس والبقوليات مثل الفول المخثر داخل المنزل، وفوق ذلك لا أستطيع الذهاب إلى مطـــاعم المكرونـــة ولا مطـــاعم لقمـــة القاضى، فطرت فرحًا بتلك الهدية وفى الحـــال اســـتعرت إنـــاء وبعض السكر من صاحبة المنزل وبدأت فى طهى اللحم.

وبينما كان "عاصفة الجبل" يملأ فمه باللحم قال لى بتلقائية:

" هل تعرف أن أبو قميص أحمر على علاقة براقصة؟".

فقلت:

" طبعًا أعرف، لقد كانت إحدى الراقصات التى حضرن حفل الأستاذ قرع، أليس كذلك ؟ "

فقال مادحًا إياى:

" لقد انتبهت أنا إلى ذلك ولكن بعد مدة طويلة ولكنك انتبهـــت إلى ذلك بسرعة، أنت شديد الفطنة ".

ثم قال:

" هذا البنى آدم دائمًا يتحدث أمام الجميع عن أن الإنسان يجب أن يكون ذا شخصية راقية وعن أهمية قراءة الشـــعر والرســـم كنوع من الفنون الروحانية التى تسمو بشخصية الإنسان ولكنـــه يقيم علاقات مع الراقصات فى الخفاء، إنه إنسان غير شـــريف، وبرغم أنه يستمتع لكنه يحرم الاستمتاع على الآخرين، فهو الذى جعل مدير المدرسة يمنعك من الاستمتاع بتناول المكرونة ولقمة القاضى فى المطاعم، بحجة أن هذا خطر سوف يؤدى إلى وجود حالة من عدم الانضباط، أليس كذلك ؟ "

فقلت:

" نعم، فهذا البنى آدم يعتقد أن شراء راقصة بالمال يكون استمتاعًا روحانيًا وأن تناول المكرونة ولقمة القاضى استمتاع مادى، ولكن إذا كان هذا صحيحًا فلماذا لا يقيم علاقات مع الراقصات فى الخفاء ؟ لماذا لا يعلن للجميع أنه على علاقة براقصة إذا كان يرى أنه يفعل الصواب!، ماذا يحسب نفسه!، عندما دخلت الراقصة التى على علاقة به حفل الأستاذ قرع ترك مكانه وغادر الحفل هاربًا، دائمًا يحاول خداع الناس ولذلك فأنا لا استطيع تقبله، وعندما تهاجمه يتهرب بقول أشياء غير مفهومة تجعلك ترتبك فتفقد التركيز، كأن يقول لا افهم ماذا تعنى بذلك أو يتحدث عن الأدب الروسى أو يتحدث عن أن الشعر الأوروبى والشعر اليابانى أشقاء، إن شخصًا جبانًا مثل هذا ليس رجلاً، إنه مثل حريم السلطان، أو ربما كان أبوه مخنثًا،

فقال " عاصفة الجبل ":

" ما معنى كلمة مخنث؟ "

فقلت:

" رجل تصرفاته ليست رجولية، أى مثل النساء فى تصرفاتهم، يارجل، لا تأكل قطعة اللحم هذه، فهى لم تنضج بعد، إذا أكلتها سوف تصاب بمرض يجلب لك الدودة الشريطية "

فقال:

" أتعتقد ذلك؟ أنا أعتقد أنه لا مشكلة فى أكل قطعة اللحم هذه لأنها ناضجة، رجوعًا إلى الحديث السابق، فلقد سمعت أن أبو

قميص أحمر يذهب إلى مدينة العيون الساخنة ويلتقى بعشيقته الراقصة فى " كَدُيـَ ".

فقلت:

" هل تقصد بـ كَدُيـَ ذلك الفندق ؟ "

فقال:

" نعم ولكنه فندق وفى داخلة مطعم أيضًا، ولذلك فإن خير وسيلة لكشف حقيقة هذا البنى آدم أن أتأكد من وجودهما فى ذلك الفندق، ثم أدخل عليهما فجأة وهما معًا "

فقلت:

" إن التأكد من وجودهم يعنى مراقبتهما، فهل سوف تراقب الفندق طوال الوقت بما فى ذلك فى فترة الليل ؟ "

قال:

" نعم، فأمام ذلك الفندق فندق آخر اسمه مَسُيَـ، فسوف أقيم فى حجرة بالدور الثانى مواجهة لذلك الفندق وسوف افتح فتحة صغيرة فى باب الشرفة المطلة على ذلك الفندق وأراقب منها ذلك الفندق "

فقلت:

" وهل تعتقد أنهما سوف يحضران إلى الفندق فى الفترة التى تراقبه فيها ؟ "

فقال:

" أكيد، ولكن على كل حال فإن المراقبة ليلة واحدة لن تكون كافية، فيجب أن أقوم بالمراقبة لمدة أسبوعين "

فقلت:

" سوف تتعب تعبًا شديدًا، فعندما كان أبـى يحتضـر سـهرت أسبوعًا أقوم بتمريضه ولكنى بعد ذلك شعرت بالتعـب والضـعف الشديد "

فقال:

" أنا لا أعبأ بأن أتعب قليلاً، لأن ترك ذلك المخادع هكذا ليس فى صالح اليابان، ولذلك سوف اقوم بتنفيذ عقاب الإله فيه "

فقلت:

" هذا عظيم، وأنا سوف أشاركك فى ذلك، فهل سـوف نبـدأ المراقبة الليلة من اليوم ؟ "

فقال:

" ليس بعد، فأنا لم احجز غرفة بعد فى فندق مَسُيَـ، ولذلك لن نستطيع القيام بالمراقبة هذه الليلة "

فقلت:

" إذن متى سوف نبدأ "

فقال:

" فى القريب العاجل، وعلى كل حال سوف أخبـرك قبلهـا، فأرجو أن تشاركنى فى ذلك "

فقلت:

" طبعًا سوف أشترك معك فى أى وقت تراه، صـحيح أننـى لست جيدًا فى وضع الخطط ولكنى جيد جدًا فى العراك "

وبينما كنا منهمكين فى الإعداد لخطة القضاء على المخادع أبو قميص أحمر إذا بصاحبة المنزل تدخل علينا وتخبرنا بأن أحد تلاميذ المدرسة جاء لمقابلة الأستاذ " عاصفة الجبل "، وأنه قال أنه ذهب إلى منزل "عاصفة الجبل" ولكنه لم يجده هناك فتوقع أن يكون هناك فجاء هنا للبحث عنه، وهو الآن يجلس القرفصاء تحت الشجرة التى بجوار المدخل منتظرًا الرد، فذهب "عاصفة الجبل" إلى مدخل المنزل ثم عاد وقال لى:

" لقد جاء التلميذ يدعونى لمشاهدة فقرات الاحتفال بعيد النصر، فلقد حضرت كثير من فرق الرقص من مدينة كُوتْشِ والفريق المشهور كذا وكذا، فما رأيك أن نذهب معًا، هيا نذهب معًا".

ولقد حاول حثى على الذهاب لمشاهدة الاحتفال ولكنى قد شاهدت الرقص كثيرًا فى طوكيو، ففى احتفال مثل احتفال معبد " هَتْشِمَنْ " كانت تأتى مسارح متنقلة تجوب المدينة وكنت أشاهد فرق الرقص على تلك المسارح كل الرقصات المشهورة مثل رقصة " صنع الملح "، ورغم أننى غير متحمس لمشاهدة فرق الرقص تلك ولكن بما أن "عاصفة الجبل" يحثنى على الذهاب معه لمشاهدتهم فقررت أن أذهب معه وعندما خرجنا من بوابة المنزل، فوجئت أن من حضر لدعوة "عاصفة الجبل" لمشاهدة الاحتفال هو الأخ الأصغر لأبو قميص أحمر، فشعرت بأن هناك شىء مريبًا.

وعندما دخلت ساحة الاحتفال وجدت أعلامًا كبيرة موضوعة فى كل مكان فتذكرت صالة المصارعة الموجودة فى معبد "

أكُوإن" والاحتفال الكبير لبوذا فى معبد " هُنْمُنْجِ " فى طوكيو حيث كانت هناك أعلام مثل تلك الأعلام، وفوق ذلك كان هناك أعلام كثيرة لكل دول العالم لدرجة تجعلك تعتقد أنهم استعاروها من تلك الدول، كانت تلك الاعلام معلقة فى كل مكان فوق الحبال والخيوط، فأصبحت السماء الواسعة مزينة بتلك الأعلام الكثيرة، ولقد تم إنشاء مسرح مؤقت فى الركن الأيمن من أجل رقصة كذا من مدينة كُوتْش، وعلى يمين ذلك المسرح بحوالى خمسين مترًا أقاموا معرضًا للزهور محاطًا بسياج من البوص، وكل من يشاهد المعرض ينبهر به ولكن بالنسبة لى فإنه معرض فى منتهى التواضع، فإذا كانت رؤية بعض العشب والبوص المنحنى تجعل الشخص يشعر بالانبهار فإن السير مع رجل منحنى الظهر أو زوج منحنى السيقان يجعل الشخص يشعر بالزهو.

وفى الناحية المواجهة للمسرح تتصاعد الألعاب النارية دون توقف، وأحيانًا ترتفع بالونات من مكان إطلاق الألعاب النارية إلى أعلى مكتوب عليها " تحيا الأمبراطورية اليابانية " فتطير أعلى أشجار الصنوبر بجانب برج المراقبة ثم تسقط داخل ثكنات الجنود، ثم بعد ذلك يدوى صوت إطلاق كرة سوداء كبيرة فترتفع ارتفاعًا شاهقًا وكأنها سوف تخترق السماء فى فصل الخريف وتعبر منها، ثم تنفتح فوقى ويخرج منها دخان أزرق على شكل مظلة ثم يختفى هذا الدخان مع حركة الهواء، ثم ترتفع بالونة حمراء مكتوب عليها بخط أبيض " تحيا القوات البحرية

وقوات المشاة " فتسير يميناً ويساراً مع الرياح تجاه مدينة العيون الساخنة ثم ناحية قرية " أى أُى مُرَ " وغالبًا سقطت فى معبد بوذا.

لم يكن هناك كثير من الناس فى وقت مراسم الاحتفال التى أقيمت فى الصباح ولكن الآن هناك كثير جدًا من الناس الذى حضروا لمشاهدة الفقرات الفنية للحفل، فالمكان مزدحم بشدة ولم أكن أتخيل أن كثيرًا من الناس يعيشون فى الريف كما يحدث فى المدن الكبيرة، فإذا نظرت جيدًا إلى الوجوه فتكتشف من خلالها أنه يبدو عليهم الغباء ولكن من ناحية عددهم فلا يمكن أن تستخف بهم، حيث إن عددهم كبير، وبعد قليل بدأ عرض رقص الفريق كذا من مدينة كُوتْش، ولقد كنت أعتقد أن تلك الفقرة سوف تقوم برقص رقصات تقليدية مثل التى شاهدتها من قبل كثيرًا ولكنى كنت مخطأ خطأ كبيرًا.

ولقد اندهشت جدًا، حيث ظهر على المسرح ثلاثون رجلاً، واصطف كل عشرة منهم فى صف، يلبس كل منهم قميصًا وبنطالاً قصيرًا معقودًا عند الركبة ويضع على رأسه رباط للشعر مربوط بشدة، وكل منهم يحمل سيفًا، والمسافة بين كل شخص والشخص الذى أمامه قصيرة جدًا، حوالى خمسين سنتيمترًا فقط، وكذلك المسافة بين كل شخص ومن على يمينه أو على يساره نفس المسافة أيضًا، لا تزيد أو تنقص، وشخص واحد فقط خارج الصفوف، حيث يقف على حافة المسرح، وهذا الشخص يرتدى زيًا مثلهم ولكنه لا يضع رباط شعر على رأسه وبدلاً من أن يحمل سيفًا على خصره، يحمل طبلة على صدره،

وبينما يضرب على الطبلة، يصيح صيحات معينة لم أسمعها من قبل ويغنى بطبقة صوت غريبة لم اسمعها من قبل، أغنية هى مزيج من أغانٍ مفرحة وأغانٍ حزينة فى نفس الوقت.

الأغنية هادئة جدًا وطويلة جدًا وكان صوت الطبلة هو الفاصل بين المقطع الغنائى والآخر، وكان الإيقاع مستمرًا دون توقف وكأن الأغنية لا نهاية لها، وكانت السيوف تتلألأ على ذلك الإيقاع وكانت سرعة أعضاء فريق الرقص فى تحريك السيوف وخفة أيديهم تجعلك وأنت تشاهدهم تشعر بالقشعريرة، فالمسافة بين الشخص والآخر حوالى خمسون سنتمتر وكلهم يتحركون بسيوفهم فى نفس الوقت معًا، فإذا تقدم أحدهم أو تأخر فى تحريك نفسه، فسوف يتسبب فى إصابة نفسه أو إصابة الآخرين، وإذا لم يتحرك وحرك السيف فقط إلى أى ناحية، فذلك أيضًا سوف يكون خطرًا عليه وعلى الآخرين، وفى لحظة معينة يقفزون ويستديرون جميعًا إلى الجانب وأحيانًا يستديرون دورة كاملة معًا، وأحيانًا يقفزون ثم ينزلون على الركبة معًا بالسيوف، فإذا تأخر أحدهم عن الباقى ثانية واحدة أو تقدم عليهم ثانية واحدة فربما يطير أنفه، أو يقطع رقبة آخر، هناك مجال لتحرك السيف بحرية ولكن هذا المجال محدد بخمسين سنتيمترًا من جميع الجهات، وعلاوة على ذلك فإن الحركة يجب أن تكون فى نفس الاتجاه إذا كان أمامًا أو خلفًا أو يمينًا أو يسارًا وبنفس السرعة، ولقد انبهرت جدًا من ذلك العرض، إنه عرض رقص رائع، لا نستطيع أن نقارن الرقص التقليدى مثل رقصة "صانعى

الملح" أو "الأحباء" به، وعندما سألت عن كيف يفعلون ذلك، علمت أن ذلك يتطلب تدريبًا شاقًا حتى يصلوا إلى تلك الدقة فى توحيد الحركة فى نفس الاتجاه بنفس السرعة، وقد سمعت أن أصعب الأدوار هو دور الشخص الذى يطبل ويغنى ويصيح، حيث ان حركة أقدام الثلاثين راقص وحركة أيديهم وحركة الخصر تعتمد كلها على طبل وغناء وصياح ذلك الشخص، ومن المدهش أنه إذا لم تفكر بعمق فتعتقد أن ذلك الشخص أقلهم أهمية فهو مجرد شخص يقوم ببعض الصيحات ويغنى على هواه ولكن فى الواقع يقع على عاتقه مسؤلية ثقيلة.

وبينما كنت أنا و"عاصفة الجبل" نشاهد عرض رقصة السيوف هذه بشغف شديد، إذ نسمع أصوات عراك على بعد خمسون متر وإذا بالناس الذين كانوا منهمكين بمشاهدة عرض السيوف يتفرقون على الفور كالأمواج إلى اليمين واليسار، وسمعنا من يقول:

" عراك، عراك "

ثم نظرنا ناحية مصدر الصوت فشاهدنا أخو أبو قميص أحمر يخترق جموع البشر ويأتى نحونا ويقول:

"عراك آخر يا أساتذة، لقد قرر تلاميذ مدرستنا الإعدادية الانتقام من تلاميذ مدرسة المعلمين لعبورهم الطريق قبلهم فى الصباح فبدأوا فى عراك معهم، من فضلكم احضروا بسرعة لنجدتنا".

ثم اختفى بعد ذلك فى جموع البشر، حيث لا نعلم أين ذهب.

فقال " عاصفة الجبل ":

" فعلها الأولاد مرة أخرى، ألم يكن من الأفضل ألا يفعلوا تلك الأشياء التى تسبب لنا المتاعب! "

ثم دون تفكيراسرع بالذهاب إلى مكان العراك وهو يتحاشى الاصطدام بمن يفرون من ذلك المكان، وبالتأكيد سوف يحاول تهدئة الجانبين وإنهاء ذلك العراك، وبالطبع فأنا ليس عندى النية فى التخاذل وتركه وحيدًا فى ذلك الموقف، فجريت خلفه إلى مكان العراك، وكان العراك على أشده، وكان عدد تلاميذ مدرسة المعلمين حوالى من خمسين إلى ستين فردًا وهم بذلك أكثر من تلاميذ مدرستنا الإعدادية بحوالى الثلث، وكان تلاميذ مدرسة المعلمين يرتدون زيهم المدرسى ولكن تلاميذ مدرستنا الاعدادية كانوا قد استبدلوا زيهم المدرسى بعد المراسم الصباحية للاحتفال وارتدوا ملابسهم العادية، ولذلك كان من اليسير التفرقة بين تلاميذ مدرسة المعلمين وتلاميذ مدرستنا الاعدادية، ولكنهم كانوا منقسمين إلى مجموعات صغيرة وكل مجموعة تتعارك مع الأخرى، فكانوا مختلطين ومتداخلين بعضهم على بعض مما جعل مسألة تفرقتهم صعبة، فأنت لا تعرف من أين تبدأ تفرقتهم ولا كيف تفعل ذلك، ووقف "عاصفة الجبل" ينظر إليهم ويبدو على وجهه الضيق ثم قال:

" إذا استمر هذا الوضع فسوف تحضر الشرطة مما يزيد الوضع سوءًا لنا جميعًا "

ثم قفز وسط العراك يحاول تفرقة المتعاركين، ونظر نحوى ودون انتظار لكى يسألنى أن أسانده فقمت أنا من تلقاء نفسى بالقفز فورًا إلى أشد الأماكن عراكًا، ثم قلت:

" توقفوا، توقفوا، إن ما تفعلونه يسيء إلى مدارسكم، ألا تتعقلون! "

ثم ذهبت إلى مكان مناسب للفصل بين الجانبين ووقفت هناك محاولاً فصل الجانبين عن بعضهما البعض ولكنى فشلت فى فعل ذلك، ثم تحركت حوالى عشرين مترًا ولكنى لم استطع التقدم ولم أستطع التقهقر، ووجدت أمام عينى تلميذًا من مدرسة المعلمين وكان ضخم البنيان مقارنة بتلاميذ مدرستنا وكان يتعارك مع تلميذ من مدرستنا فى حوالى الخامسة عشر أو السادسة عشر من العمر، فقلت له:

" قلت لك توقف فلماذا لا تتوقف، توقف "

ثم مسكته من كتفه محاولاً إيقافه عن العراك ولكن فى هذه اللحظة وجدت تلميذا يجذب أرجلى من أسفل فيعرقلنى، فوجئت بذلك التصرف فتركت كتف ذلك التلميذ ووقعت على جانبى، ثم وجدت آخر يرتدى حذاء غليظًا ويصعد فيدوس فوق ظهرى، فوقفت على يداى وركبتاى فوقع من كان فوق ظهرى على الجانب الأيمن، وقفت ونظرت ناحية "عاصفة الجبل" الذى كان يبعد عنى حوالى خمسة أمتار فوجدته بجسده الكبير محاصرًا من كل جانب التلاميذ، وسمعته يصيح:

" توقفوا، توقفوا "

فقلت له:

" لا فائدة من محاولة إيقاف العراك "

ولكنه لم يرد على كلامى وربما لم يسمعنى.

وإذا بحجر يصدرصوتاً وهو يخترق الهواء فيصدم عظام وجهى، ثم بعد ذلك مباشرة شخص يضربنى من الخلف على ظهرى بعصا، ثم سمعت من يقول:

" هناك أستاذ مشترك فى العراك، لماذا يشترك فى العراك رغم أنه أستاذ! "

ثم من يقول:

" بل هناك أستاذان، أحدهم كبير الجسم والآخر صغير الجسم، ألقوا عليهم الأحجار "

فقلت:

" لا تتصرفوا بهذه الطريقة الوقحة، أنتم فلاحون فى تصرفاتكم "

وكان أحد تلاميذ مدرسة المعلمين يقف بجانبى فضربته على رأسه، وإذا بحجر يطير فى الهواء ناحيتى ولكنه يمر بجانب رأسى بفارق اثنين سنتيمتر فقط، ولم استطع أن أرى ما يحدث لعاصفة الجبل، فأنا مشغول بما يحدث عندى، ففى البداية حضرت لكى أوقف العراك وضُربت وأُلقِيت علىّ الأحجار فهل أخاف وأهرب مثل الآخرين !، فقلت لهم:

" هل تنظرون إلىّ باستخفاف !، صحيح أنى صغير الجسم ولكنى أكبر منكم ولقد تدربت على فنون القتال فى طوكيو "

ثم أخذت فى دفعهم بعيدًا وأخذوا هم فى دفعى إلى أن سمعت من يقول:

" اهربوا الشرطة حضرت "

فوجدت نفسى استطيع الحركة فى يسر رغم أننى منذ لحظات كنت لا استطيع الحركة لأنى كنت محاطًا بطوفان من البشر، فالكل سواء كانوا معى أم ضدى قد فروا وتركوا المكان خاليًا، ورغم أنهم فلاحون لكنهم نفذوا عملية الفرار من الشرطة بسرعة وبراعة شديدة تجعلك تُذهل، إنهم أكثر مهارة فى عملية الانسحاب من القائد العسكرى الروسى " كروباتكن ".

ثم نظرت ناحية "عاصفة الجبل" لكى أعرف ماذا حدث له، فوجدت جلبابه ممزقًا ويمسح أنفه، فلقد ضُرِب فى عظمة أنفه وكان أنفه ينزف دمًا بغزارة، تورمت أنفه وأحمرت جدًا وأصبح منظره مثيرًا للشفقة جداً، أما جلبابى فقد تلطخ بالطين عن آخره ولكن ما أصابه من ضرر ليس كثيرًا مثل ما أصاب جلباب "عاصفة الجبل" من ضرر، ولكنى كنت أشعر بألم شديد فى وجهى ولا استطيع تحمله، ولقد قال لى "عاصفة الجبل" أنه ينزف دماء بغزارة.

حضر حوالى خمسة عشر أو سته عشر من رجال الشرطة من ناحية ولكن التلاميذ كانوا قد فروا من الناحية الأخرى، ومن تم القبض عليهم من الشرطة أنا و"عاصفة الجبل " فقط، ولقد ذكرنا أسماؤنا إلى رجال الشرطة وحكينا عليهم ما حدث ولكنهم أخبرونا بضرورة ذهابنا إلى قسم الشرطة معهم، فذهبنا إلى هناك حيث حكينا ما حدث تفصيليًا لقائد الشرطة ثم عدنا إلى منازلنا.

الفصل الحادى عشر

وفى اليوم التالى استيقظت فشعرت بآلام شديدة فى جميع أنحاء جسمى لا يمكن تحملها، ومن الطبيعى أن أشعر بتلك الآلام، لأنى لم اشترك فى عراك منذ مدة طويلة، وقلت لنفسى " للأسف بما أننى بهذه الحالة من الشعور بالألم والتعب فلن أستطيع التفاخر بنفسى كمقاتل "

وبينما كنت أفكر فى حالتى السيئة هذه، فإذا بصاحبة المنزل تحضر لى الصحيفة المحلية لجزيرة " شِكُكُ " ووضعتها بجانب الوسادة، وفى الحقيقة أننى كنت اشعر بالتعب لدرجة عدم القدرة على قراءة الصحيفة، ولكنى قلت لنفسى " كيف أكون رجلاً وشىء بسيط مثل ذلك العراك يجعلنى اشعر بالتعب لدرجة عدم القدرة على قراءة الصحيفة! "

ثم تحاملت على نفسى ونمت على بطنى وفتحت الجريدة على الصفحة الثانية وفوجئت، والذى فاجئنى ليس أن موضوع العراك الذى حدث أمس مكتوب فى الصحيفة، ولكن ما فاجأنى أن يُقال إن:

" الأستاذ هُطَّ "عاصفة الجبل" وإستاذ وقح جاء من طوكيو قريبًا قد استغلا التلاميذ الأبرياء وأقاموا ذلك العراك، والأكثر من ذلك أنهم اشتركا فى العراك وكانا يصدران إليهم توجيهات أثناء العراك، ولم يتوقفا عند ذلك بل قاما بضرب تلاميذ مدرسة المعلمين بعنف وقوة دون توقف "

كما قالوا الآتى:

" إن مدارس محافظتنا الاعدادية لها سمعة جيدة منذ زمن طويل، إنها مثل يحتذى به لكل المدارس الاعدادية فى اليابان، ولكن هذان الأستاذان اللذان يتصرفان بطريقة حمقاء مثل الأطفال قد أساءوا إلى السمعة الممتازة لمدارسنا فى جميع أنحاء المدينة، وإننا نعتقد أنه يجب أن يتحملوا نتيجة ما اقترفوه من أفعال، وأن المسئولين عنهم سوف يعاقبون العقاب الرادع الذى يتناسب مع تلك الفضيحة، وذلك بوقفهما عن التدريس تمامًا قبل أن نتدخل نحن لفعل ذلك "

ولقد كتبوا ذلك بخط مختلف عن الخط المستخدم فى بقية الصحيفة حتى يثيروا القراء أكثر، فقلت وأنا مستلقى فى الفراش " اللعنة عليهم " ثم قفزت فجأة واقفًا، وتعجبت من قدرتى على الوقوف بسرعة، فلقد كنت أشعر بآلام شديدة فى كل مفاصل جسمى ولكنى نسيت ذلك ووقفت فى ثانية بخفة.

لففت الصحيفة كالكرة ثم ألقيت بها فى الحديقة، ولكن هذا لم يشف غليلى، فذهبت وأخذتها وألقيتها فى المرحاض ثم رجعت حيث كنت، وقلت لنفسى " إن الصحف لا تنقل لنا إلا الأكاذيب، ليس هناك أكثر كذبًا فى الدنيا من الصحف، لقد قالوا بدلاً عنى ما كان يجب أن أقوله أنا، وبجانب ذلك يقولون عنى: أستاذ وقح جاء مؤخرًا من طوكيو، فكيف يقولون ذلك! ولماذا لم يذكروا اسمى صراحة! أليس لى اسم !، انظروا إلى شجرة عائلتى، انظروا جيدًا فسوف تجدونها تبدأ من القائد العسكرى العظيم " طَضَ "، ثم غسلت وجهى فشعرت بألم مفاجئ فى وجهى، فطلبت من صاحبة المنزل مرآة لكى اتفحص وجهى فقالت لى " هل انتهيت من قراءة الصحيفة " فقلت لها " نعم ولقد ألقيتها فى المرحاض، فإذا كنت تريدينها فاستخرجيها من المرحاض "، فاندهشت من إجابتى وتركت المكان، وعندما تفحصت وجهى فى المرآة وجدت الجروح كما كانت أمس، فقلت لنفسى " صحيح أن وجهى مجروح لكن ذلك لا يقلل من أهميته بالنسبة لى، ولكن من يجعلنى أشعر بالضيق الشديد أن الصحيفة تصفنى بأننى وقح رغم ما أصابنى فى وجهى من جروح، كما أنهم لم يذكروا اسمى وكأن ليس لى اسم ".

قلت لنفسى " إذا تغيبت عن الذهاب اليوم إلى المدرسة خوفًا مما قالته الصحيفة، فسوف يكون ذلك عار علىّ إلى الأبد "، ولذلك تناولت طعام الإفطار وخرجت على الفور إلى المدرسة حيث وصلت مبكرًا عن الآخرين، وكل من يصل المدرسة من

المدرسين ينظر إلى وجهى فيضحك، فقلت لنفسى " ما المضحك فى وجهى؟!، إنه وجه ككل الوجه، ليس وجه صنعتموه لى ".

ثم حضر صبى العالمة فقال:

" ما فعلته أمس كان انجازًا عظيمًا، وهذه الجروح هى الدليل على ذلك النصر المبين "

وقد قال ذلك بتشف كانتقام لضربى له يوم حفل وداع "القرع"، فقلت له:

" لا تتدخل فيما لا يعنيك، اذهب وإلحس فرشاة الرسم الخاصة بك "

فقال:

" أنا آسف أننى قلت ذلك ولكن تلك الجروح تسبب لك آلامـا، أليس كذلك ؟ "

فقلت له فى غضب:

" جروح تسبب ألم أم لا هذا ليس من شأنك، إنه وجهى وليس وجهك، وأنا لست فى حاجة إليك "

فانسحب وذهب إلى مكتبه حيث جلس بجوار مدرس التـاريخ وكان ينظر ناحيتى ويضحك.

ثم جاء "عاصفة الجبل"، وكان أنفه ذا لـون أحمـر قرمـزى ومتورما وبالتأكيد إذا ضغطت عليه سوف يخرج منه صديد، ولا أعلم لماذا شعرت أن الأصابات فى وجهه أكثر من الأصـابات فى وجهى، ربما تقتى الزائدة فى نفسى جعلتنى أشعر بذلك، وأنا و"عاصفة الجبل" متقاربان، حيـث أن مكتبـى بجانـب مكتـب

"عاصفة الجبل"، كما أن شخصيته متقاربية من شخصيتى، ولكن من سوء الحظ أن مكاتبنا فى وسط الحجرة وأمام المدخل مباشرة، فإذا شعر أحد الأساتذة بالملل سوف ينظر تجاه وجهينا القبيحين المنظر، وأكيد أنهم يقولون لأنفسهم " هذان الشخصان أحمقان "، وإذا لم يكونوا يقولون لأنفسهم ذلك فلماذا يتحدثون بأصوات هامسة ويتضاحكون، ولكن عندما ذهبت ودخلت الفصل فوجئت بتصفيق حاد من التلاميذ، وقال بعض التلاميذ " يحيا الأستاذ"، فقلت لنفسى "لا أعلم إذا كانوا يمحوننى أو يسخرون منى"، ورغم أننى و"عاصفة الجبل" كنا محط أنظار الجميع إلا أن أبو قميص أحمر فقط كان الوحيد الذى كان يتصرف بطريقة عادية، حيث جاء بجانبى وقال ببرود:

" إنكما كنتما ضحيتين، وإنى أشعر بالحزن على ما حدث إليكما، ولقد تناقشت مع المدير عن محتوى المقالة التى كانت فى الصحيفة وطلبنا تصحيح ما جاء فيها من بيانات مغلوطة عنكما، فلا تقلقا مما كُتب فى الصحيفة، وإنى أعتذر عما حدث إليكما، فلو لم أرسل أخى الأصغر لدعوتكما لمشاهدة احتفال النصر لما حدث لكما هذا، ولذلك سوف أبذل قصارى جهدى لإصلاح ذلك الأمر، فأرجو ألا تتهمونى بفعل ما يسوءكما "

ثم خرج المدير من حجرة فى وقت الحصة الثالثة وقال بوجه يبدو عليه القلق:

" لقد ذكرت الصحيفة كلامًا سبب مشكلات، واتمنى ألا يؤدى ذلك إلى عواقب وخيمة "

فقلت لنفسى " إذا كان الأمر سوف يصل للإقالة، فسوف استقيل قبل أن أُقال، ولكنى إذا استقلت سوف يؤكد ذلك كلام الصحيفة بأننى مخطأ ولذلك يجب أن أقوم بتصويب الأخبار الكاذبة التى نشرتها الجريدة عنى واستمر فى عملى"، ولقد فكرت أن اذهب للصحيفة وأنا فى طريق العودة بعد المدرسة وأطلب منهم الاعتذار عما كتبوه ولكن بما أن مدير المدرسة قال إنه طلب من الصحيفة الاعتذار فلم يعد هناك حاجة لكى أذهب إلى الصحيفة.

وقمت أنا و"عاصفة الجبل" بانتهاز فرصة وجود وقت راحة قصير بين الحصص فقابلنا المدير والناظر (أبو قميص أحمر) وحكينا لهما ماحدث دون زيادة أو نقصان، فاقتنع كلاهما بما قلناه وقالا إنهما قد تناقشا وتوصلا إلى أن الصحيفة نشرت ذلك المقال الذى يهجمنا لأنها تأخذ موقفًا من مدرستنا، فقام الناظر (أبو قميص أحمر) بالذهاب إلى كل أستاذ فى حجرة الأساتذة ووضح لهم ماحدث بناء على ما قلناه، كما قال ما حدث كان خطأ منه وذلك لأنه أرسل أخاه الأصغر لدعوتنا لمشاهدة احتفال النصر، فقال جميع الأساتذة إن الصحيفة أساءت لنا إساءة كبيرة وهذا عمل بذيىء، وأننى و"عاصفة الجبل" ضحيتان.

وعند العودة قال لى "عاصفة الجبل" محذرًا إياى:

" هناك ما يجعلنى ارتاب فى أبو قميص أحمر، احذر جيدًا من أبو قميص أحمر، وإلا سوف نلاقى متاعب جمة"

فقلت له:

" على كل حال، الريبة فى تصرفاته لم تبدأ اليوم، فتصرفاته مريبة من قبل "

فإذا به يقول:

" ألم تنتبه بعد إلى ما حدث !، إن حضور أخى أبو قميص أحمر أمس خصيصًا لكى يدعونا إلى الاحتفال ثم حضوره بعد ذلك ليستنجد بنا عند وقوع العراك ماهو إلا خطة من أبو قميص أحمر للإيقاع بنا "

فقلت " لقد فهمت الآن ماذا حدث، ولم أكن متنبهًا لذلك من قبل، يبدو على "عاصفة الجبل" أنه إنسان متهور ولكنه أقدره لأنه فى الواقع رجل أكثر ذكاء وحكمة منى.

ثم قلت:

" لقد جعلنا أبو قميص أحمر ندخل فى عراك ثم ذهب بسرعة إلى الصحيفة وجعلهم يكتبون تلك الأكاذيب، إنه فعلاً شيطان "

ثم سألت:

" لقد اندهشت من قدرته على اقناع الصحيفة بكتابة تلك الأكاذيب، فهل وصلت قوته إلى أن تقوم الصحيفة بكتابة ما يراه هو بهذه السهوله ؟ "

فقال:

" لماذا لا يكتبون ما يقوله، إذا كان له صديق يعمل فى تلك الصحيفة "

فقلت:

" له صديق ؟ "

فقال:

" حتى إذا لم يكن له صديق، فإذا كذب وقال للصحفيين إنهـا حقيقة ما حدث كذا وكذا فسوف يصدقونه ويكتبون ما يقول "

فقلت:

" أنه إنسان فاجر، فإذا كان ما حدث لنا من تدبيره فربما يـتم فصلنا من العمل "

فقال:

" هذا احتمال قائم إذا تطورت الأمور إلى الأسوأ "

فقلت:

" إذا كان الأمر كذلك فسوف استقيل غدًا وارجع طوكيو، حتى لو توسلوا لى أن ابقى فلن أفعل "

فقال:

" استقالتك لن تؤدى إلى شىء، فإذا استقلت فلن يضير هذا أبو قميص أحمر "

فقلت:

" هذا صحيح، فما الذى يجعله يتضرر ؟ "

فقال:

" إن هذا الشيطان يفعل كل شىء واضعًا فى اعتباره ألا يترك دليلاً على أفعاله ولذلك يصعب النيل منه "

فقلت:

"هذه معضلة، فإذا هاجمعنا دون دليل سوف نكون فى وضـع اتهام، شىء محير، إن هذه الدنيا ليس فيها عدل، الشرير يُثـاب، والخَيِّر يُجَازَى".

فقال:

" حسناً ليس أمامنا إلا أن ننتظر عدة أيام ونرى ما سوف يحدث، وأن نحاول الإيقاع به فى مدينة العيون الساخنة"

فقلت:

" هل تعنى نترك أمر العراك ونفكر فى شىء آخر ؟ "

فقال:

" نعم، سوف نباغته فى مدينة العيون الساخنة ونكشف خداعه"

فقلت:

" هذه فكرة جيدة، ولكنى ضعيف فى وضع الخطط، ولذلك سوف اترك لك التخطيط لذلك، ولكنى سوف أشارك فى التنفيذ بفعل أى شىء تراه "

ثم افترقنا بعد ذلك الحديث، وفكرت فى الأمر وقلت لنفسى " إذا كان أبو قميص أحمر فعلاً قد خطط لجرنا لذلك العراك كما قال " عاصفة الجبل "، فهو داهية، وإن ذكاءنا لا يقارن بذكائه ولذلك لا نستطيع الانتصار عليه، والطريقة الوحيدة للنيل منه هى ضربه، نعم، بدليل أنه على مستوى الدول فالحروب بين الدول منتشرة فى العالم، وحتى على مستوى الأشخاص فعندما تتأزم المشكلات بين الأشخاص فليس هناك إلا العراك والضرب.

وفى اليوم التالى انتظرت صدور الصحيفة وعندما حصلت عليها وقرأتها لم أجد لا تصويب للأخطاء ولا اعتذار، فذهبت إلى المدير (الكلب الراكون) وطلبت منه أن تنشر الصحيفة

اعتذارًا بسرعة ولكنه قال غالبًا سوف يصدر اعتذار من الصحيفة غدًا، وفى اليوم التالى ظهر خبر بخط صغير جدًا يصوب الأخطاء ولكن لم يكن هناك اعتذار، فذهبت مرة أخرى للمدير وقلت له لم يظهر اعتذار فى الصحيفة فقال إنه لا يستطيع فعل أكثر من ذلك، فقلت لنفسى "إن المدير له وجه مثل وجه الكلب الراكون ويرتدى معطفًا فاخرًا لا يرتديه إلا عِلْيَة القوم ومع ذلك ليس له سلطة، فهو لا يستطيع أن يجعل صحيفة محلية نشرت خبرًا كاذبًا أن تعتذر، فشعرت بالغضب الشديد وقلت له:

" إذا كان الأمر كذلك فسوف أذهب بنفسى وأتحدث مع رئيس التحرير "

فقال لى وكأنه يتحدث إلى طفل صغير:

" لا تفعل ذلك، لو فعلت ذلك سوف يكتبون مزيدًا من الإساءات عنك، فبصرف النظر ما كتبوه كان صحيحًا أو خطأ، فليس هناك ما نستطيع فعله، ولذلك من الأفضل لك أن تستسلم ولا تفكر فى فعل شىء آخر "

فقلت لنفسى " إذا كانت الصحف تقول لنا الكذب ولا نستطيع فعل شىء حيالها فالأفضل لنا جميعًا ألا يكون هناك صحف، فما علمته اليوم من المدير (الكلب الراكون) ولم أكن أعلمه، أنه أن يتم الكتابة عنك فى صحيفة مثل أن تهاجمك حية عملاقة وتلتف حولك، فكلاهما لا تستطيع فعل شىء تجاههما، ليس أمامك إلا الاستسلام والخضوع والخنوع "

وبعد ذلك بثلاثة أيام فقط، جاء "عاصفة الجبل" غاضبًا فى وقت الظهيرة وقال:

" لقد حان الوقت لتنفيذ الخطة، سوف أقوم أنا بتنفيذها "

فقلت له:

" سوف أشاركك فى تنفيذها "

فقال لى وهو يحنى رأسه:

" من الأفضل لك ألا تشترك فى تنفيذها "

فقلت له:

" لماذا ؟ "

فقال:

" هل استدعاك المدير وطلب من أن تستقيل ؟ "

فقلت:

" لا.. لم يحدث، فهل حدث لك ذلك ؟ "

فقال:

" لقد استدعانى المدير اليوم إلى حجرته وقال لى من المؤسف أن اقول لك إن الظروف تجبرنى أن أطلب منك أن تترك المدرسة".

فقلت:

" هذا ليس عدلاً، إن المدير (الكلب الراكون) يكيل بمكيالين، ألم نذهب معًا أنا وأنت إلى الاحتفال وشاهدنا رقص مدينة كُوتْشِ وذهبنا معًا لإيقاف العراك، فإذا طلب الاستقالة فيجب أن يطلب منا نحن الاثنين الاستقالة وليست أنت فقط، هذه هى المساواة،

فلماذا لا يعى المسئولون عن المدارس الريفية مثل تلك الاشـياء المنطقية !، شىء يثير الضيق".

فقال:

" إن أبو قميص أحمر وراء كـل ذلـك، فـنحن شخصـيتان متنافرتان لا نتفق أبدًا ولذلك لا يسعنا مكان واحد مما يجعله يريد التخلص منى، وأما بالنسبة لك فهو يعتقد أنه لن يضيره شىء إذا بقيت أنت".

فقلت:

" ومن قال إنه سوف يكون هناك اتفاق بينى وبينه!، إنه مخطأ أن يعتقد أنه لن يصيبه ضرر إذا ظللـت أنـا هنـا فـى هـذه المدرسة".

فقال:

" هو يعتقد أنك إنسان طيب جدًا ولذلك إذا بقيت هنا، فسـوف يستطيع خداعك بطريقة أو بأخرى "

فقلت:

" هذا اعتقاد أسوأ، فأنا لن اتفق معه أبدًا على أى شىء "

ثم قال:

" وفوق ذلك فإنه بعد رحيل " القرع " لم يأت الأستاذ الجديـد الذى سوف يعمل بديلاً عنه، كما أن رحيل كل منا فـى الوقـت ذاته سوف يؤثر على المستوى التعليمى للتلاميذ، حيث إنه لـن يكون هناك من يقوم بتدريسهم "

فقلت:

" وهذا يعنى أنهم أبقوا علىّ فقط لملء خانة، هذه وقاحة، فهل هناك إنسان عنده كرامة يقبل بذلك!".

ولذلك ذهبت فى اليوم التالى إلى مدير المدرسة وقابلته وتناقشت معه فى ذلك الأمر.

فقلت:

" لماذا لم تطلب منى تقديم استقالتى ؟ "

ففوجئ بسؤالى وجعلته المفاجأة لا يستطيع إلا أن يقول:

" ماذا ؟ "

فقلت:

" هل هناك سبب منطقى يجعلك تطلب من الأستاذ هُطَّ "عاصفة الجبل" أن يستقيل ولا تطلب منى ذلك؟".

فقال:

" مصلحة المدرسة تتطلب ذلك "

فقلت:

" مصلحة المدرسة لا تتطلب ذلك، مصلحة المدرسة تتطلب أنه إذا لم يكن هناك سبب منطقى لكى أتقدم باستقالتى فإن مصلحة المدرسة تتطلب أيضًا ألا يتقدم الأستاذ هُطَّ باستقالته، أليس كذلك "

فقال:

" من الصعب شرح ذلك ولكن الظروف تحتم أن يترك الأستاذ هُطَّ "عاصفة الجبل" المدرسة ولكن بالنسبة إليك فليس هناك أهمية لكى تستقيل "

فقلت لنفسى " إنه فعلاً راكون، فهو يجلس فى هدوء ويتجنب ذكر الأشياء المهمة لكى يقنعنى بما فعل وألا اتقدم باستقالتى "

فقلت:

" إذا كنت ترى ذلك فسوف اقدم استقالتى، ربما أنت تعتقد أنك سوف تجعل الأستاذ هُطَّ "عاصفة الجبل" يستقيل وأننى سوف اشعر بالرضا عن ذلك وسوف أبقى، ولكنى لا استطيع أن اشعر بالرضا عن تصرف غير إنسانى مثل هذا "

فقال:

" استقالتك سوف تسبب لنا المتاعب، فإن رحيل الأستاذ هُطَّ "عاصفة الجبل" وكذلك أنت سوف يجعل المدرسة ليس فيها مدرس رياضيات وبالتالى لن يكون هناك تدريس لمادة الرياضيات"

فقلت:

" حتى إذا توقف تدريس مادة الرياضيات لعدم وجود مدرس رياضيات فهذا شأن ليس لى به علاقة "

فقال:

" لا تفكر فى نفسك، فكر قليلاً فى المدرسة، لقد حضرت إلى هنا منذ حوالى شهر ونقول إنك تريد الاستقاله، هذا كلام يؤثر على مستقبلك كأستاذ، ولذلك انصحك بأن تفكر فى مستقبلك "

فقلت:

" أنا لا اقلق على مستقبلى، المبادئ عندى أهم من مستقبلى "

فقال:

" حسنًا، سوف اتفق معك واقول إن ما قلته منطقى وصحيح ولكن من فضلك فكر ولو قليلاً فيما قلته أنا، فإذا كنت مصممًا على الاستقالة فسوف اقبل استقالتك ولكن أرجو منك أن تظل تعمل فى المدرسة إلى أن نحضر أستاذ رياضيات آخر، وعلى كل حال أرجو أن ترجع إلى منزلك وتعيد التفكير فى الموضوع ككل مرة أخرى "

وقلت لنفسى "لماذا أعيد التفكير فى موضوع الاستقالة طالما عندى أسباب واضحة وقوية ومنطقية، ولكن بما أن وجه المدير (الكلب الراكون) ازرق ثم احمر وأصبح فى وضع يثير الشفقة" فقلت له:

" نعم سوف أفكر فى الموضوع مرة أخرى "

ثم تركته، ولم أحاول أن اتحدث مع أبو قميص أحمر فى ذلك الموضوع، فطالما سوف نلاحقه فليس هناك أهمية للتحدث إليه فى ذلك الموضوع، بل المهم أم نركز جيدًا فى ملاحقة إلى أن نكشف خداعه.

ثم حكيت على "عاصفة الجبل" الحوار الذى دار بينى وبين المدير (الكلب الراكون)، فقال:

" لقد توقعت أنه سوف يقول ذلك، أما بالنسبة للاستقالة فلا تقدمها الآن، انتظر إلى أن ننتهى من تنفيذ خطتنا "

ففعلت مثلما قال، فهو أكثر منى حكمة ولذلك قررت أن آخذ بنصائحه فى كل شىء.

قدم "عاصفة الجبل" استقالته وودع جميع الأساتذة ثم ذهب إلى الفندق الموجود على الميناء ولكنه رجع سرًا دون أن يراه أحد إلى مدينة العيون الساخنة ثم نزل فى فندق مَسُيَـ، فى حجرة فى الطابق الثانى مطلة على واجهة الفندق، ثم ثقب ثقبًا فى باب الشرفة وبدأ فى مراقبة ما يحدث فى الفندق المواجه له، ومن يعرف ذلك الأمر هو أنا فقط، وطبعًا أبو قميص أحمر لن يحضر إلا ليلاً متأخرًا، فإذا جاء فى بداية الليل ربما يقابل التلاميذ أو آخرين يعرفونه، ولذلك سوف يحضر ولكن ليس قبل الساعة التاسعة، وفى أول ليلتين قمت بالمراقبة مع "عاصفة الجبل" حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً ولكنه لم يحضر، وفى الليلة الثالثة قمت بالمراقبة من الساعة التاسعة حتى الساعة الحادية عشرة ولكنه لم يأت، ولقد شعرت بالضيق الشديد لأنى أرجع إلى منزلى بعد منتصف الليل دون أن نحقق شيئًا من تلك المراقبة، وبعد مرور أربعة أو خمسة أيام من المراقبة الليلة فوجئت بأن صاحبة المنزل بدأت تقلق علىّ وتقول لى:

" إن الرجل المتزوج لا يجب أن يتأخر ليلاً ويقضى الوقت فى اللهو "

فقلت لها:

" إننى لا ألهو اللهو الذى تتخيلينه، إن لهوى ما هو إلا أننى أنفذ حُكم الإله "

ولقد ظللت أسبوعًا كاملاً أقوم بالمراقبة الليلية دون أى نتيجة مما جعلنى أشعر بالضيق والملل، فأنا إنسان بطبيعتى متسرع

وملول، فإذا قررت القيام بعمل فإنى أتفانى فى القيام بـه حتـى أننى اسهر الليل كله فى القيام بذلك العمل ولكنـى لا أطيـق أن أستمر فى ذلك العمل مدة طويلة، حتى لو كان هذا العمـل هـو تنفيذ حُكم الاله، وفى الليلة السادسة بدأت أشـعر بالملـل مـن المراقبة وفى الليلة السابعة بدأت أفكر فى عدم الاسـتمرار فـى ذلك، وعندما كنت أذهب إلى الفندق للقيام بوردية مراقبـة بعـد وردية " عاصفة الجبل "، كنت أندهش مما يفعله، فهو يقول لـى أنه خلال وردية مراقبته من بداية الليل حتـى السـاعة الثانيـة عشرة كان ينظر من خلال الثقب الموجود فى باب الشرفة إلـى الفندق المقابل ويذكر لى إحصائية بعدد الزبائن الذين حضـروا إلى مطعم الفندق وعدد الزبائن الذين أقاموا فى الفنـدق وعـدد الراقصات اللاتى حضرن، وعندما كنت أقول له:

" أبو قميص أحمر لن يحضر، أليس كذلك "

فكان يعقد ذراعيه ويقول وهو يأخذ نفسًا عميقًا:

" بالتأكيد سوف يأتى "

وكنت أشعر بالشفقة عليه، فإذا لم يحضر أبو قمـيص أحمـر فإن "عاصفة الجبل" لن يستطيع أن ينفذ فيه حكم الإله.

وفى اليوم الثامن للمراقبة خرجت حوالى الساعة السابعة مـن المنزل وذهبت إلى العين الساخنة حيث استحممت كيفما أشـاء، ثم اشتريت ثمانى بيضات من المدينة، لكى يعينوننى على تغذيتى وتقويتى عوضًا عن البطاطا المقررة علىّ مـن قِبـل صـاحبة المنزل، ووضعت أربع بيضات فى الجيب اليمين وأربعًـا فـى

الجيب اليسار، ثم وضعت المنشفة الحمراء على كتفى، وصعدت الدرج المؤدى إلى فندق مَسُيَـ ويداى فى جيبـاى، ثـم دخلـت الحجرة التى فيها "عاصفة الجبل" وإذا بوجهه مشرق جدًا ويبعث على أمل كبير فى أن نصل إلى مبتغانا، وحتى ليلة أمس كنـت أشعر بالحزن لدرجة التشاؤم ولكن عنـدما رأيـت الآن وجهـه المشرق، شعرت بالسعادة تغمرنى فجأة ودون أن أسـأله عمـا حدث قلت:

" مرحى، مرحى "

فقال:

" فى الساعة السابعة من مساء اليوم دخلت الراقصـة التـى اسمها سُرُ فندق كَضُيَـ "

فقلت:

" هل كانت مع أبو قميص أحمر ؟ "

فقال:

" لا "

فقلت:

" إذًا لم نصل إلى شىء "

فقال:

" إنهما اثنان من الراقصات، وهذا يعنى أن هناك أملاً كبيرًا "

فقلت:

" كيف ذلك ؟ "

فقال:

" لماذا ؟ لأنه إنسان ملتو، فسوف يبعث الراقصات أولاً ثم يأتى هو بعد ذلك متخفيًا "

فقلت:

" ربما كما تقول، الساعة الآن التاسعة، أليس كذلك "

فأخرج من جيبه ساعة نيكل ونظر إليها وقال:

" الآن التاسعة واثنتا عشرة دقيقة "

ثم قال:

" أطفئ المصباح حتى إذا جاء لا يرى خيالنا على نافذة الشرفة فيرتاب فى الأمر، فإنه ثعلب ويجب الحرص الشديد فى التعامل معه "

فنفخت فى المصباح الموجود فوق المنضدة فانطفأ، ولكن لوجود إضاءة طبيعية من النجوم فكنت أستطيع رؤية باب الشرفة قليلاً، ولم يكن القمر قد ظهر بعد، ووضعت عيناى على الثقبين الموجودين فى الباب وكذلك فعل "عاصفة الجبل" وأخذنا فى المراقبة بتركيز شديد، وفجأة كسرت ساعة الحائط الصمت معلنة التاسعة والنصف.

فقلت:

" هل سوف يأتى الليلة ؟ إذا لم يأت الليلة فسوف أتوقف عن المراقبة "

فقال:

" أنا سوف استمر فى المراقبة طالما عندى مال لاستئجار تلك الحجرة "

فقلت:

" لقد دفعت حتى اليوم إيجار ثمانية أيام، دفعت خمسة ينـــات ونصف، أدفع كل إيجار الليلة فى ليلتها حتى إذا أردت مغـــادرة الفندق فى أى لحظة أستطيع ذلك "

فقلت:

" لقد أعددت جيدًا لذلك، أكيد أن موظفى الفندق مندهشون من أنك تدفع كل ليلة "

فقال:

" المشكلة ليست فى فيما يعتقد موظفو الفندق ولكن فى أننى لا أستطيع أن استرخى قليلاً "

فقلت:

" ولكنك تنام نهارًا، أليس كذلك ؟ "

فقال:

" نعم أنا انام نهارًا ولكنى لا استطيع الخروج حتى لا يعـــرف أحدًا أننى هنا ولذلك أشعر بالملل الشديد لدرجة عدم التحمل "

فقلت:

" إن تنفيذ حكم الإله يحتاج إلى مجهود كبير، فـــإذا اســـتطاع الهروب من توقيع العقاب الإلهى عليه فسوف أشـــعر بالضـــيق الشديد"

فقال بصوت منخفض جعلنى أشعر بصدمة غير متوقعة:

" بالتأكيد سوف يأتى الليلة، انظر انظر "

فإذا برجل يرتدى قبعة سوداء يسير وينظر إلى المصباح الذى أما فندق " كَضُيَــ " ثم يختفى فى الظلام بعد ذلك، فقلت لنفسى " ما هذا إنه، ليس أبو قميص أحمر "، ثم تعالــت دقــات ســاعة استقبال الفندق معلنة الساعة العاشرة، فقلت لنفسى " من الواضح أنه لن يأتى هذه الليلة أيضًا "

أصبحت المدينة هادئة، ولكن وصلت إلــى مســامعى دقــات الطبول من بيوت اللهو، وظهر وجه القمر مــن خلــف الجبــال الواقعة وراء العيون الساخنة، يضــىء الطرقــات والشــوارع، وفجأة سمعنا صوت شخص من أسفل، ولــم نســتطع أن نطــل برءوسنا من النافذة ولذلك لم نستطع أن نتبين من هــو، ولكنــه اقترب ناحيتنا، وتدريجيًا ارتفع صوت القبقاب الذى يرتديه مــع اقترابه ناحيتنا، فوجهنا أنظارنا تجاه الصــوت فشــاهدنا خيــال شخصين يقتربان ناحيتنا.

ففوجئنا بصوت صبى العالمة وهو يقول:

" لقد أصبحنا فى مأمن بعد أن أزحنا العقبة التى كانت أمامنا "

فقال أبو قميص أحمر:

" نهاية طبيعية لشخص يستخدم القوة البدنية وليس العقل "

ثم قال صبى العالمة:

" وذلك الولد الذى يتحدث مثل رجال عصابات طوكيو، فتــى طائش ولكنه يعتقد أنه رجل، شىء مضحك، أليس كذلك "

ثم قال:

" ولكنه رفض زيادة الراتب ويريد أن يقدم استقالته، أكيد أنه مريض نفسى "

وعندما سمعت ذلك أردت أن اقفز من الطابق الثانى وأوسعه ضربًا ولكنى تمالكت نفسى ألا أفعل ذلك بعد عناء شديد، وضحكا الاثنان واتجها من تحت المصباح الذى أمام فندق "كَضيَة" إلى مدخل الفندق حيث دخلا.

وقلت:

" أخيرًا جاء "

فقال " عاصفة الجبل ":

" أخيرًا أستطيع الشعور بالراحة "

ثم قلت:

" صبى العالمة القذر يقول عنى: فتى طائش يعتقد أنه رجل "

ثم قال " عاصفة الجبل ":

" إنه كان يعنى بالعقبة التى أمامهم، أنا، إنه فى منتهى الوقاحة"

أنا و"عاصفة الجبل " يجب أن نباغتهم بالهجوم فى طريق العودة، ولكننا لا نعرف متى يخرجون من الفندق، فقام "عاصفة الجبل" بالذهاب إلى استقبال الفندق وطلب منهم أن يتركوا باب الفندق مفتوحًا ليلاً حيث أننا سوف نخرج فى منتصف الليل خارج الفندق لقضاء بعض الأمور، ولكنى عندما أفكر الآن فى ذلك الأمر أعتقد أن موظفى الفندق فعلوا ما طلبه رغم أن ذلك طلب غير عادى، ففى العادى إذا طلب شخص مثل ذلك الطلب فسوف يعتقد موظفو الفندق أن ذلك الشخص لص.

انتظار تحمل حضور "أبو قميص أحمر" إلى الفندق كان أمرًا شاقًا، وانتظار خروجه من الفندق أمر أشد إرهاقًا، وبالطبع لا أستطيع النوم، كما أن المراقبة من ثقب باب الشرفة دون راحة شيء متعب جدًا وهذا يجعلنى فى حالة قلق، فلم يسبق لى أن مررت بتجربة صعبة مثل هذه، ففكرت أن ننقض على الفندق ونمسكهما متلبسين ولكن "عاصفة الجبل" رفض ذلك، حيث قال:

" إذا ذهبنا الفندق لنمسكهما متلبسين فإن موظفى الفندق سوف يعتقدون أننا معتدون ولذلك سوف يعترضوننا، أو إذا شرحنا لهم الموقف وطلبنا منهم أن يسمحوا لنا بالدخول عليهما فسوف يقولون إنهما ليسا موجودين، أو سوف يدخلوننا حجرة ليسا موجودين فيها، وإذا افترضنا أننا استطعنا أن ندخل الفندق دون أن ينتبه الموظفون لدخولنا فهناك العشرات من الحجرات ومن الصعب معرفة فى أى الحجرات يوجدان، وإن انتظار خروجهما من الفندق أمر ممل ولكن ليس هناك مفر من ذلك، وعلى هذا فقط ظللنا نتحمل الانتظار لخروجهما حتى الساعة الخامسة صباحًا.

وبمجرد أن لمحنا أبو قميص أحمر وصبى العالمة يخرجان من فندق "كَضُيِّـ"، خرجنا خلفهما وتتبعناهما، وكان الوقت مبكرًا على خروج أول قطار إلى " مدينة القصر " ولذلك لم يكن أمامهما إلا أن يسيرا على الأقدام لكى يصلا إلى تلك المدينة، وعندما ابتعدنا عن مدينة العيون الساخنة بحوالى مائة متر، كان هناك طريق على جانبه أشجار صنوبر، وعلى الناحية اليمين

والناحية اليسار حقول أُرز، وعندما تخطينا تلك المنطقة دخلنا منطقة مليئة بالبيوت ذات السقوف المصنوعة من قش القمح، ثم وصلنا إلى طريق وسط الأراضى الزراعية يؤدى إلى " مدينة القصر "، وطالما أننا خرجنا بعيدًا عن المدينة فمن الممكن أن ننقض عليهم فى أى مكان ولكننا فضلنا ألا يكون ذلك وسط الأماكن السكنية، بل فى أماكن التى بها أشجار الصنوبر، وكنا نتخفى خلف تلك الأشجار حتى لا يرونا، وعندما خرجنا من المدينة تتبعناهما بخطى سريعة كسرعة الرياح العاتية، فانتبه أحدهما إلى أن هناك من يسير خلفهما ثم التفت وقال:

" من ؟ "

فوضع "عاصفة الجبل" يده على كتف ذلك الشخص وقال له:

" قف مكانك "

وكان ذلك الشخص هو أبو قميص أحمر، وارتبك صبى العالمة وحاول الفرار ولكنى وقفت أمامه ومنعته من الفرار.

فهاجم "عاصفة الجبل" أبو قميص أحمر قائلاً له:

" لماذا يذهب شخص يعمل فى منصب ناظر ليقيم فى فندق كَضُيَـ ؟ "

فرد أبو قميص أحمر بأسلوب مؤدب فى الكلام كما اعتاد أن يفعل وقال وهو شاحب الوجه قليلاً:

" وهل هناك قانون يقول إن الناظر لا يجب أن يقيم فى فندق كَضُيَـ ؟ "

فقال "عاصفة الجبل"

" ولماذا شخص يدعى الشرف فيقول حفاظًا على سمعة المدرسة لا يجب على الأساتذة ارتياد مطاعم المكرونة ولقمة القاضى، وهو يرتاد فندق ويقيم مع راقصة ؟ "

وأثناء ذلك حاول صبى العالمة أن ينسحب ويهرب ولكنى وقفت أمامه ومنعته من الهروب وصحت فيه بصوت عال:

" من هو الفتى الطائش الذى يتحدث مثل عصابات طوكيو ؟ "

فقال مبررًا ذلك بوجه لا يعرف الخجل:

" هذا الكلام لم يكن عليك، لم تكن أنت المقصود بهذا الكلام على الإطلاق "

وفى تلك اللحظة انتبهت إلى أننى كنت أضع يداى على جيوبى، فلقد وضعت يداى على جيوبى منذ أن بدأت فى تتبعهما فى السير حتى لا يهتز البيض الذى داخل الجيوب فينكسر، فوضعت يداى فى جيوبى وأخرجت بيضة فى كل يد ثم ضربتهما فى وجه صبى العالمة، فانكسرت البيضتان على وجهه وسال صفارهما على مقدمة أنفه، فارتعب صبى العالمة وسقط على مؤخرته ونادى قائلاً:

" إلحقونى، إلحقونى "

وقد كنت اشتريت البيض ووضعته فى جيوبى لكى آكله وليس لكى أضرب به صبى العالمة، ولكنى عندما انفعلت ضربت به صبى العالمة ولم اكن قد خططت لفعل ذلك، ولكن عندما رأيت صبى العالمة واقع على مؤخرته أحسست أننا نجحنا فى تنفيذ عقاب الإله فيه، فقلت:

" خذ يا قذر "

ثم ضربته بالستة بيضات المتبقية فى جيوبى فتحول كل وجهه إلى اللون الأصفر.

وبينما كنت أنا أقوم بضرب صبى العالمة بالبيض كان النقاش الحاد بين "عاصفة الجبل" و" أبو قميص أحمر " مازال مستمرًا.

حيث قال أبو قميص أحمر إلى " عاصفة الجبل ":

" هل عندك دليل أننى اصطحبت راقصة إلى الفندق ؟ "

فقال " عاصفة الجبل ":

" لقد رأيت الراقصة إياها تدخل فندق كَضُيَـــ عنـــد وقـــت الغروب، هل تستطيع أن تنكر ذلك ؟ "

فقال أبو قميص أحمر:

" ليس هناك أهمية لنكران شىء، فلقد اقمت فى الفندق أنـــا و" يُشكَوَ (صبى العالمة) "، وليس لى علم بدخول الراقصة الفندق عند الغروب أو لا "

فقال له " عاصفة الجبل ":

" إخرس "

ثم ضربه بقبضة يده، فاختل توازن أبو قميص أحمر ولكنـــه قال:

" هذا عنف، هذا تعد، استخدام العنف دون نقاش يوصلنا إلـــى معرفة الصواب من الخطأ، عمل غير قانونى".

فقال "عاصفة الجبل":

" لا أريد سماع المزيد عما هو غير قانونى "

ثم ضربه بقوة، ثم استمر فى ضربه وهو يقول:

" الطريقة الوحيدة التى تجعل شخص شيطان مثلك يقول الحقيقة هى الضرب "

وقمت أنا ايضًا بضرب صبى العالمة بعنف، وفى النهاية تكوم الاثنان تحت شجرة صنوبر لا يحاولان الهرب، ربما بسبب أنهما لا يستطيعان الحركة أو لا يستطيعان الرؤية جيدًا.

ثم قمنا نحن الاثنان بضرب أبو قميص أحمر ضربًا مبرحًا ونحن نقول له:

" هل نلت كفايتك أو تريد المزيد ؟ "

فقال:

" هذا يكفى "

فسألت صبى العالمة:

" وأنت هل نلت كفايتك ؟ "

فقال:

" طبعًا نلت كفايتى "

ثم قال "عاصفة الجبل" لكليهما:

" أنتما شريران، ولذلك نالكما عقاب الإله على أيدينا بهذا الضرب، فليكن هذا درسًا لكما لكى تحسنا أخلاقكما فى المستقبل، فإنكما كنتما تجيدان الدفاع عن تصرفاتكما بالحديث المقنع، ولكن هذا لم يمنع عنكما عقاب الإله "

فاستمعا إلى حديثه هذا دون تعليق، وربما كانا يشعرنا بالتعب فلم يستطيعا الرد عليه.

ثم قال "عاصفة الجبل":

" أنا لن أختبئ ولكن أهرب، سوف أكون موجودًا اليوم حتى الساعة الخامسة فى فندق الميناء إذا كنت تريدون شيئًا منى أو تريدون إبلاغ الشرطة فأفعلوا ما ترونه، أنا موجود فى الفندق "

ثم قلت أنا:

" وأنا أيضًا لن أهرب ولن أختبئ، أنا معه فى نفس الفندق إذا أردتم إبلاغ الشرطة فابلغوها، إفعلوا ما يحلو لكم "

ثم تركت أنا و"عاصفة الجبل" المكان بسرعة.

رجعت إلى منزلى قبل الساعة السابعة صباحًا بقليل، ثم دخلت الحجرة وبدأت فى جمع تجهيز أمتعتى للسفر، فاندهشت صاحبة المنزل وسألتى:

"ماذا تفعل ؟ "

فقلت لها:

"سوف أذهب إلى طوكيو فاتزوج وأعود إلى هنا مع زوجتى"

ثم دفعت الإيجار، وذهبت على الفور إلى القطار حيث ركبت إلى الشاطئ وعندما وصلت إلى فندق الميناء كان "عاصفة الجبل" مازال نائمًا فى حجرته بالطابق الثانى، وقررت أن اكتب استقالتى بسرعة فكتبت إلى مدير المدرسة " بسبب ظروف شخصية قررت الاستقالة والرجوع إلى طوكيو، ارجو قبول الاستقالة " ثم ارسلتها بالبريد إليه.

السفينة تخرج من الميناء فى الساعة السادسة مساءً، وأنا و"عاصفة الجبل" كنا نشعر بالتعب الشديد فنمنا نومًا عميقًا

وعندما استيقظنا كانت الساعة الثانية ظهرًا، سألنا موظفة الفندق إذا كانت الشرطة قد حضرت للسؤال عنا ولكنها قالت لم يحضر أحد، فضحكنا أنا و"عاصفة الجبل" بملء فاهنا وقلنا " إذن، أبو قميص أحمر وصبى العالمة لم يقوما بإبلاغ الشرطة "

وفى تلك الليلة رحلت أنا و"عاصفة الجبل " عن ذلك المكان القذر، وكلما سارت السفينة أبعد عن ذلك المكان كلما شعرت بالراحة، ومن مدينة " كوبيه " ركبنا قطارًا سريعًا إلى " شِنْبَشِ " بطوكيو، وحينما وصلنا طوكيو شعرت أننى عدت إلى الدنيا، ثم افترقنا أنا و"عاصفة الجبل" ولم نلتق من يومها حتى الآن،

أما بالنسبة للسيدة " كيو "، فعندما عدت إلى طوكيو لم أذهب إلى منزلى أولاً، بل ذهبت إلى منزلها مباشرة وأنا احمل أمتعتى، ثم دخلت إلى منزلها بسرعة وقلت لها:

" سيدة كيو، لقد عدت "

فقالت والدموع تنهمر من عينيها:

" من؟ سيدى الصغير، يا لها من سعادة أن تعود بسرعة إلىّ"

وقد اسعدنى لقاؤها سعادة غامرة فقلت لها:

لن أعود مرة أخرى لذلك الريف، بل سوف أبقى فى طوكيو استأجر منزلاً أعيش فيه معك "

ذلك عملت عن طريق أحد المعارف مساعد مهندس فى سكك حديد طوكيو، وكان

خمسة وعشرين ينًا وكان أيجار المنزل ستة ينات، لم ذا مدخل فاخر كما كانت تحلم السيدة "كيو" ولكنها

كانت راضية جدًا بذلك المنزل، ولكن للأسف الشديد مرضت فى شهر فبراير من هذا العام بمرض التهاب رئوى حاد وماتت، وقبل أن تموت استدعتنى وقالت لى "عندما أموت ضع رفاتى فى مدافن عائلتك، فسوف أشعر بالسعادة داخل القبر أنك سوف تحضر لزيارتى".

ولذلك فقبرها فى معبد " يُوجِنْجِ " بمنطقة " كُبِنَطَ " فى طوكيو، حيث توجد مدافن عائلتى.

عام ١٩٠٦ ميلادية

السيرة الذاتية للمترجم

الاسم: ماهر أحمد محمد الشربيني

محل الميلاد والجنسية: جمهورية مصر العربية.

تاريخ الميلاد: ١٩٥٩.

العمل: أستاذ دكتور فى قسم اللغة اليابانية وأدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة.

البريد الالكترونى:

Maher_fr2006@hotmail.co.jp

الموقع الرسمى على الإنترنت

www.maherelsherbini.blogspot.com

التخصص الدقيق: نحو اللغة اليابانية.

التخصص العام: علم اللغة، تخصصات ثانوية: علم تعليم اللغة اليابانية، علم التعليم.

التاريخ الأكاديمى: ١٩٨١ التخرج فى جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية وأدابها.

١٩٨٥ طالب باحث فى جامعة تسوكوبا باليابان.

١٩٨ الحصول على درجة الماجستير فى جامعة هيروشيما كلية اداب قسم علم لغة تخصص لغة يابانية.

الحصول على درجة الدكتوراة فى نفس الجامعة وفى نفس

معاجم: الأول يابانى عربى، الماهر يابانى عربى.

يابانية: المتعدى واللازم فى اللغة اليابانية المعاصرة، التعجب فى لهجة شورى ولهجة يادورى، الاختلاف بين الأداة

wa والأداة ga من ناحية التركيز، صيغة المبنى للمجهول، الاختلاف بين الأدوات ni وde وo، دلالات صيغة المبنى للمجهول فى اللغة اليابانية الحديثة، تحليل أساليب التعبير فى اللغة اليابانية، بحث تقابلى بين تعبيرات المبنى للمجهول فى اللغة اليابانية والعربية، دراسة فى جهة اللغة اليابانية الحديثة.

بحوث باللغة العربية: أنماط ترجمات المبنى لمجهول فى اللغة العربية واللغة اليابانية، الوظيفة الأساسية للأداة wa فى اللغة اليابانية.

تقرير تعليمى: مشكلات تعليم اللغة اليابانية فى جامعة القاهرة والحلول.

نوتة بحثية باللغة العربية: الاختلاف بين أساليب التعبير باللغة اليابانية واللغة العربية، سمات اللغة العربية مقارنة باللغة اليابانية.

نوتة بحثية باللغة اليابانية: أدوات التعجب فى لهجة وسط وجنوب أوكيناوا.

كتب مترجمة من اللغة اليابانية إلى اللغة العربية: قوة أمى، الانطلاق من الصفر، الحياة حق للجميع، الغبى ينجح، مذكرات جرحى قنبلة هيروشيما، قصة البطل الياباني طوكوضا طوراؤ.

أهم الألقاب: الثانى عشر عالميًا الذى حصل على درجة الدكتوراة ف اللغة اليابانية، أول مَن حصل على درجة الدكتوراة فى كلية آدا جامعة هيروشيما، أول عربى يحصل على درجة الدكتوراة فى الل اليابانية، أعلى درجة علمية بين الأساتذة المتخصصون فـ اليابانية على مستوى العالم العربى، أول عربى يصدر معج عربى.